إليكِ يا أُختاه

(إلى كل أمٍ وفتاة)

قصص - مواعظ - حكم

تأليف
الدكتور عمر الحاجي

دار المحبة
دمشق

دار آيــة
بيروت

من وحي التنزيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ
وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ
وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ
وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]

صدق الله العظيم

---

[1] سورة الأحزاب /٣٥/

الإهداء

إلى : طفلتي الغالية عفاف ، سـائلاً المـولى ، تبـارك وتعـالى، أن يجعلك ممن وصفتهم الآية الكريمة /٣٥/ من سـورة الأحـزاب ، إنـه علـى ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ....

[والدك محمد]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على نبي الرحمة و رسول الإنسانية محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم و سائرِ الأنبياء و المرسلين ، و الصحابة و التابعين و من سار على نهجهم إلى يوم الدين، أما بعد :

إن المتتبع لأحوال المسلمين اليوم يجدهم انقسموا إلى تيارين متباعدين متنازعين :

تيار يرفع لواء التشدد و التزمت و إغلاق الأبواب .

و تيار آخر يرفع لواء التحلل من القيم وفتح الأبواب على مصراعيها ، ومن ثم اللهث وراء ما يأتي من الغرب أو الشرق ؛ سواء وافق عاداتنا وتقاليدنا وديننا وشرفنا أم لم يوافق ، هذان التياران المتنازعان أيهما الصحيح ؟!

للأسف كلاهما خاطئ ذلك ؛ لأن الشريعة التي جاء بها سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم هي الشريعة الوسط ، هي الدين المعتدل ، هي الشريعة الموافقة للفطرة السليمة التي خلق الله عليها الخلق.

أما ما نراه من إفراط وتفريط من غلو وتقصير ، فهذه فتاة تخطب فلا يسمح للرجل الشاب أن يرى شيئاً منها ، حتى بوجود أبيها وأخيها أو أمها ، ثم يقولون : لا يجوز أن يرى الرجل المرأة إلا ليلة الزفاف !!

وتلك فتاة قبل أن تخطب تذهب مع عشيقها إلى السينما أو أماكن الرقص أو المنتزهات أو...أو...ثم يقولون : نحن عصريون ، نحن تقدميون نحن نثق بالشاب ونثق بالفتاة ... ولا رقابة ولا حسيب ولا أحد يسأل !!

هذان تياران لا يمثلان الإسلام أبداً ...

ففي الإسلام الحقيقي :

يجب أن يرى الرجل خطيبته ، وإليك الدليل : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : إني خطبت امرأة . فقال النبي : " هل نظرت إليها " قال : لا ، قال : " انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم

بينكم " أي أن يحصل بينكما الائتلاف والموافقة ، وفي الإسلام الحقيقي:

يجب على الرجل أن يشاور امرأته ، والدليل على ذلك : أم سلمة (أم المؤمنين) رضي الله عنها أشارت على الرسول الكريم في صلح الحديبية . والله تعالى يقول في سورة البقرة /٢٣٣/ :

﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾

والنبي ﷺ يقول : " آمروا النساء في بناهّنَّ "

أي خذوا رأي الأم في بناها ، لأنها أعرف بهن وأخبر بأحوالهن وأدرى بأسرارهن ...

... في الإسلام الحقيقي :

تتعلم المرأة جميع العلوم بشرط ألا يضر ذلك في حشمتها وحجابها وعفافها ، تذهب إلى المسجد لتحضر صلوات الجماعة ولتسمع الدروس ، ودليلنا على ذلك ما قالته السيدة عائشة رضي الله عنها : (رحم الله نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين).

... في الإسلام الحقيقي :

تساعد زوجها في كل شيء ، فهذه السيدة الزهراء رضي الله عنها تكنس البيت ، تعجن ، تطبخ ، تخبز ، تجوع ، مع سيدنا علي وتصبر ، تقف جنبه في الصلاة ، تدعو الله ، تناجيه ...

... وفي الإسلام الحقيقي :

إذا دعا داعي الجهاد انطلقت إلى ساحة المعركة تحمس زوجها و أولادها ، و دليلنا على ذلك ما قالته الخنساء بعد استشهاد أولادها الأربعة في (القادسية) :

الحمد لله الذي شرفني بتقبلهم في سبيله و جعلهم شفعاء لي يوم القيامة !!

وتلك أم الفضل زوج العباس عم النبي ﷺ قيل لها : إن ابنك فلاناً قتل في البلدة الفلانية ، وابنك فلاناً مات في البلدة الفلانية ، فقالت : لقد باعدت بينهم الهمم ، ولو كانوا ذوي همم منحطة لماتوا عندي .

المرأة تفتي الرجال ، ودليلنا أن الإمام (الزركشي) له كتاب اسمه (الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة) كانت ترد على الصحابة ؛ فلان مخطئ في كذا وفلان مخطئ في كذا ...و(سكينة بنت الحسين) : أخذ عنها الشافعي و غيره ، و كان لها مجلس للفتوى يحضره الرجال ، والإمام (ابن حجر العسقلاني) (أعظم شارح للبخاري) يقول: إن من شيوخي فلانة بنت فلانة . والإمام (الكاساني) له كتاب اسمه (بدائع الصنائع) في المذهب الحنفي وهو شرح لكتاب شيخه (تحفة الفقهاء) لذلك قالوا : شرح تحفته وتزوج ابنته . وكانت الفتوى تخرج وعليها توقيع ابنته وزوج ابنته .

هذه لقطات من تاريخنا السامق الشامخ ، والذي أعطى المرأة حقوقاً لو علمتها لصاحت من أعماقها : أريد تعاليم الله ، أريد سنة محمد رسول الله ، أريد أن أدعو إلى ما كان عليه الرعيل الأول ... لا إفراط في الإسلام الحقيقي ولا تفريط ، إسلام الاعتدال والوسطية ، إسلام الفطرة الإنسانية ، لا تشنج في الإسلام ولا تفلت أيضاً ... هذا ما نريد أن ننبه عليه في هذا الكتاب ، و لقد رجعت إلى كتبنا الصافية : من تاريخ وتفسير وأدب و سيرة و ... وليس الهدف إلا كشف الغطاء عما كان يحدث في زمان الصالحين والتابعين.

ولا بد أن نذكر بما حدث مع سيدنا الفاروق عمر ﷺ ، لتعلم الفتاة المسلمة أنها إن عادت إلى دينها الحقيقي بلغت ذروة سعادتها ؛ تلك السعادة التي عبرت عنها أم كلثوم بنت الإمام علي وزوج الفاروق عمر رضي الله عنهم جميعاً حينما قال لها عمر مرة وقد أغضبته في أمر من أمور البيت : (لأشقينك فقالت : لا تستطيع، فإني أرى سعادتي في إيماني ، وإيماني في قلبي وقلبي لا سلطان لأحد عليه إلا ربي)

أسأل الله تعالى أن يجعل في أقوالنا وأعمالنا الهداية والإخلاص والرشد ، وأن يعيد المرأة والرجل إلى الدين الحقيقي ، وأن ينفع بنا وأن يعطف قلب سيدنا رسول الله ﷺ علينا ... إنه نعم المولى ونعم النصير.

[دمشق: أبو عمر] ١٤١٥ هجري

بلاغة عجيبة ...

قال الأصمعي : كنت عند أمير المؤمنين هارون الرشيد إذ دخل رجل ومعه جارية للبيع ، فتأملها الرشيد ، ثم قال : خذ جاريتك ، فلولا كلف في وجهها وخنس في أنفها لاشتريتها . فانطلق بها ، فلما بلغت الستر قالت : يا أمير المؤمنين ، اردني إليك أنشدك بيتين حضراني ، فردها الرشيد فأنشأت تقول :

ما سلم الظبي على حسنه   كلا و لا البدر الذي يوصف
الظبي فيه خنس بين   و البدر فيه كلف يعزف

فأعجبته بلاغتها فاشتراها وقربها إليه ، وكانت أحظى جواريه عنده .

[الأذكياء : ٢٤٦]

ما تفردت به السيدة عائشة ...

قال الحافظ الذهبي : روينا عن علي بن جدعان عن جدته عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران : لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني ، ولقد تزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري ، ولقد قبض ورأسه في حجري ، ولقد قبرته في بيتي ، ولقد حفت الملائكة بيتي ، وإن كان الوحي لينزل عليه وإني لمعه في لحافه ، وإني لابنة خليفته وصديقه ، ولقد

نزل عذري من السماء ، ولقد خلقت طيبة عند طيب ، ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً) .

[سير النبلاء جزء خاص عن عائشة: ٢٣]

امرأة فاسق ...

روى الإمام الغزالي رحمه الله أن رجلاً من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته إذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه ، فاستأجرت حمالين و حملته إلى المصلى ، فما صلى عليه أحد ، فحملته إلى الصحراء للدفن ، فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنتظر للجنازة ، ثم قصد أن يصلي عليه ، فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد و صلوا عليه .

وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال : قيل لي في المنام انزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليست معها أحد إلا امرأة فصلي عليه فإنه مغفور له !!

فزاد تعجب الناس ، فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وكيف كانت سيرته ، قالت : كما عرف ؛ كان طول نهاره في الماخور مشغولاً بشرب الخمر ، فقال : انظري هل تعرفين منه شيئاً من أعمال الخير قالت : نعم ثلاثة أشياء ؛ كان يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ

ويصلي الصبح في جماعة ، ثم يعود إلى الماخور ويشتغل في الفسق ، والثاني أنه كان أبداً لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين ، وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده ، وكان شديد التفقد لهم والثالث : أنه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول: يا رب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث ؛ يعني نفسه؟

فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره .

[إحياء علوم الدين : ١٢/٦]

أمّي أمّي ...

عن محمد بن المنكدر قال : استأذنت امرأة على النبي ﷺ وقد كانت أرضعته ، فلما دخلت عليه قال : " أمّي أمّي" ثم بسط لها رداءه فقعدت عليه [١] .

---

[١] رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق : رقم ٢١٣ .

أم كلثوم و عمر ...

روى ابن عبد ربه : خطب عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت أبي بكر رضي الله عنهما و هي صغيرة فأرسل عمر إلى عائشة ، فقالت : الأمر إليك ، فلما ذكرت ذلك عائشة لأم كلثوم .

قالت : لا حاجة لي فيه .

قالت عائشة : أترغبين عن أمير المؤمنين .

قالت : نعم ، إنه خشن العيش شديد على النساء . فأرسلت عائشة إلى المغيرة بن شعبة فأخبرته ، فقال لها : أنا أكفيك ، فأتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين بلغني أنك خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر ، قال : نعم أفرغبت بها عني ، أم رغبت بي عنها ؟ قال : لا واحدة منهما ، ولكنها حدثة نشأت تحت كنف خليفة رسول الله ﷺ في لين ورفق ، وفيك غلظة ، ونحن نهابك وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك فكيف بها ؟ إن خالفتك في شيء فسطوت بها كنت قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك ، فقال : كيف لي بعائشة وقد كلمتها ؟ قال : أنا لك بها ، وأدلك على خير لك منها ؛ أم كلثوم بنت علي من فاطمة بنت رسول الله ﷺ . وكان علي قد عزل بناته لولد جعفر بن أبي طالب، فلقيه عمر فقال: يا أبا الحسن أنكحني ابنتك أم كلثوم ابنة فاطمة ، قال: حبستها لابن جعفر ، قال : إنه

والله ما على الأرض من أحد يرضيك من حسن صحبتها بما أرضيك به فأنكحني يا أبا الحسن ، قال علي : قد أنكحتها يا أمير المؤمنين ! [1] .

فأقبل عمر فجلس بين القبر والمنبر – في الروضة – واجتمع إليه المهاجرون والأنصار فقال : زفوني، قالوا: بمن يا أمير المؤمنين ؟ قال: بأم كلثوم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " كل سبب و نسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي "

فولدت له أم كلثوم زيد بن عمر ورقية بنت عمر ، وزيد بن عمر هذا هو الذي لطم سمرة بن جندب عند معاوية إذ تنقص علياً فيما يقال.

[أخبار النساء في العقد الفريد : ٣٣]

عالم جليل يتعلم التأويل من أعرابية ...

قالت أم غسان الأعرابية المكفوفة : إن تقبل الله مني صلاة لم يعذبني . فقيل لها : كيف ذلك ، قالت : لأن الله عز وجل لا يثني في رحمته وحلمه ، قال : وكنت سمعت حديث معاذ " من كتبت له حسنة دخل الجنة " و لم أدر ما تفسيره حتى سمعت أم غسان تقول هذا ، فعرفت تأويله.

[عيون الأخبار: لابن قتيبة: ٣١٩/٢]

[1] للتفصيل أكثر حول العلاقة بين عمر وعلي وزواجه من أم كلثوم يراجع كتابنا : علي بن أبي طالب .... مستشار أمين للخلفاء الراشدين

الخنساء ترثي صخراً ...

توفي صخر قبل إسلام أخته الخنساء ، فبكته بكـاءً مـراً حـتى اشـتهرت بذلك ، ولكن لما أسلمت وجاءها خـبر استـشهاد أولادهـا الأربعـة قالـت وواثق بقلب مطمئن : أرجو أن يحشرني الله معهم . ومما جـاء في رثـاء أخيهـا صخر :

قـذى بعينـك أم بـالعين عـوار ... أم أقفرت إذ خلت مـن أهلـها النـار
كأن عـيني لـذكراه إذا خطـرت ... فيض يسيل علـى الخـدين مـدرار
تبكي خناسٌ[1] على صخر و حـق لهـا ... إذ رابها الـدهر إن الـدهر ضـرار
لا بد مـن ميتـةً في صـرفها عـبر ... والدهر في صـرفه حـول وأطـوار
يا صـخر وراد مـاء قـد تـوارده ... أهـل المـوارد مـا في ورده عـار
وإن صـخراً لحامينـا و سـيدنا ... وإن صـخراً إذ نـشتوا لنحـار
وإن صـخراً لتـأتم الهـداة بـه ... كأنـه علـم في رأسـه نـار
لم تلقـه جـارة يمـشي بطاحتـها ... لريبـة حـين يخلـي بيتـه الجـار
مثـل الـرديني لم تنفـد شـبيبتي ... كأنه تحت طي الـبرد أسـوار شـبيبته
طلق اليدين بفعـل الخـير معتمـد ... ضم الدسـيعة[2] بـالخيرات أمـار
حمـال ألويـة ، هبـاط أوديـة ... شـهاد أنديـة للجـيش جـرارا

[جواهر الأدب:٢/٣٩٠]

(١) خناس : الخنساء .

(٢) الدسيعة :العطية الجزيلة ،أو المائدة الكريم [المنجد] .

الدنيا دار زوال ...

لما قدم سعد بن أبي وقاص ﷺ القادسية أميراً عليها من عند عمر بن الخطاب ﷺ أتته حرقة بنت النعمان بن المنذر في خدمها ووصائفها ، فلما وقفن بين يديه ، قال : أيكن حرقة بنت النعمان ؟ قالت : ها أنا ذا ، فما أردت بتكرارك الاستفهام ؟ إن الدنيا دار زوال لا تدوم لأهلها على حال ، تنتقل بهم انتقال الظلال ، وتعقبهم حالاً بعد حال ، إنا كنا ملوك هذا المصر قبلك ، يجبى إلينا خراجه ، ويطيعنا أهله مدة من الدهر ، فلما أدبر عنا الأمر صاح بنا صائح الأيام ، فصدع شملنا و شتت ملأنا ، وكذلك الدهر يا سعد ، فلا تغتر بحال الدنيا فإنها زائلة عنك كما زالت إليك . ثم سألته حوائجها فقضاها ، فدعت : لا أزال الله عنك نعمة أتمها عليك .

[صفوة الأخبار و منتقى الآثار :٧٩]

هل تخرج النساء إلى صلاة العيد ...

اتفق الفقهاء ــ منهم الحنفية و المالكية ــ على أنه لا يرخص للشابات من النساء الخروج إلى الجمعة والعيدين وشيء من الصلاة لقوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [1]

[1] سورة الأحزاب :/٣٣/

والأمر بالقرار نهي عن الانتقال . ولأن خروجهن سبب الفتنة بلا شك ، والفتنة حرام وما أدى إلى الحرام فهو حرام .

وأما العجائز فلا خوف في أنه يرخص لهن الخروج في الفجر والمغرب والعشاء والعيدين واختلفوا في الظهر والعصر والجمعة .

وعبارة الشافعية والحنابلة : لا بحضور النساء مصلى العيد غير ذوات الهيئات ؛ فلا تحضر المطيبات ولابسات ثياب الزينة أو الشهرة ؛ لما روت أم عطية ، قالت : (كان رسول الله ﷺ يخرج العواتق [1] والحيض وذوات الخدور في العيد ، فأما الحيض فكن يعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة الإسلام) [2] وإذا أردن الحضور تنظفن بالماء ولا يتطيبن ولا يلبسن الشهرة من الثياب ؛ أي الثياب الفاخرة ، ويعتزلن الرجال فلا يختلطن هم ، ويعتزل الحيض المصلى للحديث السابق ولقوله ﷺ : " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله و ليخرجن تفلات " [3] أي غير عطرات لأن المرأة إذا تطيبت و لبست الشهرة من الثياب دعا ذلك إلى الفساد [4] .

[الفقه الإسلامي و أدلته : ٢/٣٦٦]

---

[1] العواتق :جمع عاتق ، وهي المرأة الشابة أو ما تدرك

[2] رواه الجماعة .

[3] رواه البخاري و مسلم .

[4] ما زالت المسألة خلافية ، فقد وردت آثار كثيرة وقوية تؤيد ما ذهب إليه الشافعية والحنابلة

-وهذا ما نميل إليه

روى مسلم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : " إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها "

يرى ابن حزم في قول رسول الله ﷺ "صلاة الجماعة تفضل صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة " أنه عام ، لايجوز أن يخص منه النساء

حديث رسول الله ﷺ " إني لأدخل في الصلاة أريد أن أطيلها ، فأسمع بكاء الصبي ، فأتجوّز في صلاتي خشية أن تفتن أمه "

حديث رسول الله ﷺ " خير صفوف الرجل المقدم ، وشرها المؤخر ، وشر صفوف النساء المقدم وخيرها المؤخر "

حديث رسول الله ﷺ مشيراً إلى أحد أبواب المسجد " لو تركنا هذا الباب للنساء " قال ابن عمر : فلم أدخل من هذا الباب حتى الآن ـــ رضي الله عنهم جميعاً .

لقد طُعن عمر ﷺ وهو يصلي إماماً بالمسلمين ، وكان من الحضور زوجته عاتكة وقيل : أم كلثوم بنت علي !!

تروي أسماء ـــ في صلاة الكسوف ـــ أنها صلت في المسجد مع النساء خلف رسول الله ﷺ .

كان الرجال ـــ وقتها ـــ يعقدون أزرهم في أعناقهم (من ضيق الأُزر) وكان في الصلاة خلفهن النساء ، لا يرفعن رؤوسهن حتى يرفع الرجال)..

.... هذا كله ـــ في حال خيفت الفتنة ـــ أما ما عدا ذلك ، فلا تُمنع النساء من الخروج إلى العيد أو الجمعة أو الجماعة ، ولا يُلتفت لمن يقول : قال الرسول ﷺ لأم حميد : " إن صلاتك في بيتك أفضل من صلاتي معي " فهذا قال عنه ابن حزم (إنه حديث موضوع) .

ما ذنب النساء اللآتي يلدن البنات ...

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴾ [1]

و قال في كتابه الكريم :

﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [2]

تحوي البيضة الملقحة التي سيتشكل منها الجنين (٢٢) زوجاً من الصبغيات الجسمية مع زوج من الصبغيات الجنسية ، وتأتي هذه الصبغيات من اجتماع بويضة الأنثى التي تحوي دائماً : (٢٢ صبغياً جسمياً + الصبغي الجنسي X) ومن نطفة الرجل التي تحوي : (٢٢ صبغياً جسمياً + صبغي جنسي إما X أو y) . لأن نصف نطاف الرجل تحتوي الصبغي X و نصفها تحتوي الصبغي y ، أما بويضة المرأة فدائماً تحمل الصبغي الجنسي X ، وإذا اتحدت البيضة مع نطفة حاوية على الصبغي الجنسي X كان الجنين أنثى ، وإذا اتحدت مع نطفة حاوية على الصبغي y كان الجنين ذكراً .

أي حسب المعادلة:

---

[1] النجم /٤٥-٤٦/ .

[2] القيامة /٤٠-٣٦/ .

.نطفة (y)+ بويضة (X) = (Xy) ذكر .

نطفة (X) + بويضة (X) = (XX) أنثى .

فنطاف الرجل إذاً هي المسؤولة عن تحديد الجنس لأنها تحمل الأشكال المتغايرة الجنسية ، وهذا ما ذكره القرآن قبل أربعة عشر قرناً حين قال : ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾

وما أكثر الرجال – مع الأسف – الذين دفعهم جهلهم إلى ترك زوجاتهم لأنهن لا ينجبن إلا إناثاً .

ولو أنهم هؤلاء الجهلة في آيات القرآن الكريم لعلموا أن الرجل هو الذي يحدد نوع الجنين ذكراً أم أنثى ، وليست المرأة إلا كالأرض تنبت ما يزرع بها وصدق الله العظيم :

﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ ﴾ [1] .

[مع الطب في القرآن الكريم: ٢٧]

---

(1) سورة البقرة /٢٢٣/ .

ما علي أن تكون جارية ...

روى العلامة الأبشهي : كان لأعرابي امرأتان ، فولدت إحداهما جارية والأخرى غلاماً ، فرقصته أمه يوماً وقالت معايرة لضرتها :

الحمد لله الحميد العالي　　أنقذني العام من الجوالي
من كل شوهاء كشنٍّ بالي　　لا تدفع الضيم عن العيال [1]

فسمعتها ضرتها ، فأقبلت ترقص ابنتها وتقول :

و ما علي أن تكون جارية　　تغسل رأسي و تكون الفالية [2]
و ترفع الساقط من خماريه　　حتى إذا بلغت .... ثمانية
أزرتها بنقبة ... يمانية　　أنكحتها مروان أو معاوية
أصهار صدق و مهور عالية

قال : فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال ، وقال : إن أمها حقيقة ألا يكذب ظنها ويخاب عهدها ، فقال معاوية : لولا أن سبقنا إليها لأضعفنا لها المهر ولكن لا نحرم الصلة ؛ فبعث إليها بمائتي ألف درهم والله أعلم .

[المستطرف : ٢٦٨]

---

[1] الشن : القربة البالية .

[2] الفالية : المسرحة والمنظفة .

إذا ابتلي الرجل بمحبة امرأة ...

روى ابن القيم رحمه الله عن الجاحظ أنه قال : إذا ابتلي الرجل بمحبة امرأة لنظرة نظر إليها ، ولمحة منها ، لم يكن يزوج مثله مثلها وكانت ممتنعة ، فالحيلة في مثله ، ذلك أن يرسل إليها امرأة قد كملت فيها سبع خصال منهن :

أن تكون كتومة السر ، وأن تكون خداعة لها معرفة بالمكر ، وأن تكون فطنة متيقظة ، وأن تكون ذات حرص ، وأن تكون ذات حظ من مال ، ولا تحتاج إلى الناس ولا ينكر الناس ، اختلافها ودخولها عليها ؛ بأن يكون إما بياعة طيب أو قابلة أو صانعة لآلة العرائس ، وتقدم إليها أرق وألطف ما تقدر عليه ، ولا تدع شيئاً من الشكوى واللطف ، وتخبرها أن نفسه في يدها وأنها متمثلة بين عينيه وأنه لا ينسى ذكرها، وأنه يراها في المنام كل ليلة تضربه وتخاصمه ، وأنه إن لم ير منها نظرة أو خلوة هلك ، وأنه لم يمنعه من خطبتها إلا خشية الامتناع من أهلها إن كان دونهم في الحسب والجاه والمال ، وخوف التمنع منها هي أيضاً فإنها إذا سمعت هذا وأمثاله مرة أو مرتين لم تدع ، تمكنه بمال إن قدرت عليه، وأذنت له في خطبتها من أوليائها ، فإذا شاوروها في ذلك رضيت وقد تمكن قوله من قلبها ، توصل منها ما أراد بحلال التزويج دون حيلة من حيل الحرام !! .

[أخبار النساء : ١٨٦]

ربط الولد بالقرآن ...

روى الطبراني عن علي كـرم الله وجهـه أن الـنبي ﷺ قـال : " أدبـوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم وحـب آل بيتـه وتـلاوة القـرآن، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظلـه مـع أنبيائـه وأصـفيائه) وأشار العلامة (ابن خلـدون) في مقدمتـه إلى أهميـة تعليم القـرآن الكـريم للأطفال وتحفيظه ، وأوضح أن تعليم القـرآن الكـريم هـو أسـاس التعلـيم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الإسـلامية ؛ لأنـه شـعار مـن شـعائر الدين يؤدي إلى تثبيت العقيدة ورسوخ الإيمان .

ولقد نصح ابن سينا في كتاب (السياسة) بالبدء بتعلـيم الولـد القـرآن الكريم بمجرد استعداده جسدياً وعقلياً لهذا التعليم ، ليرضع منـذ الـصغر اللغـة العربية الأصلية ، وترسخ في نفسه معالم الإيمان ...

وأوصى الإمام (الغـزالي) في إحيائـه بتعلـيم الطفـل القـرآن الكـريم وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار ثم بعض الأحكام الدينية .

[تربية الأولاد في الإسلام: ٢/ ٨٢١]

أحوال غريبة ...

روى الشيخ الحريفيش رحمه الله قال : قال محمد بن مروان — وكان من أهل الفقر والورع — كنت عند الركن اليماني بالكعبة شرفها الله تعالى وقد خفف الطواف وإذا بأربع جوار قد أقبلن وعليهن سيما القبول ، فتعلقت الكبرى منهن بالأستار وقالت بلسان الذلة والانكسار:

إليك حجي لا للبيت والحجر ... ولا طوافي بأركان وجدران

ثم رفعت رأسها وقالت : إلهي الشوق أقلقني والحب هيمني وجداً عليك، وها أنا بين يديك ، إلهي إن كانت زلتي تطردني فمحبتي إلى بابك تجذبني ، وإن كان ذنبي عن بابك يبعدني فرجائي في عفوك يقربني ، وإن كانت خطاياي تقيدني فإخلاصي في متابتي إليك يطلقني ، إلهي فمتى إليك أصل وإلى حضرة جمالك أتصل ؟ يا أنيس المستوحشين ، ويا حبيب المحبين ، ويا أمان الخائفين ، ويا راحم المذنبين ، ويا قابل التائبين ، ويا أرحم الراحمين ارحمني برحمتك واشملني بمغفرتك ، ثم تنهدت وأنشدت :

أستغفر الله عما كان من زللي ... ومن ذنوبي وتفريطي وإصراري
يا رب هب لي ذنوبي يا كريم فقد ... أمسكت حبل الرجا يا خير غفار

ثم جلست وهي كئيبة عانية ، فقامت الثانية ، فتململت وتقلقلت وبكت ومادت ونادت : يا منتهى الآمال ، يا حامل الأبرار على نجب الأعمال ، يا مسرج قناديل الود في قلوب العارفين ، يا أنيس المستوحشين ، يا طبيب القلوب ، يا غافر الذنوب ، قد ذاب جسمي من اشتياقي إليك

، وقد استحييت من إقدامي عليك فارحمني واعف عني يا أرحم الراحمين ، ثم جالت وقالت :

أتيتك أشتكي سقمي ودائي وعندك يا منى قلبي دوائي
فلا أحد سواك إليه أشكو فيرحم عبرتي ويرى بكائي
فيا مولى الورى جد لي بعفو ومن بنظرة فيها شفائي

ثم جلست وهي من وجدها غائبة ، فقامت الثالثة ، فبكت ثم قالت : إلهي ذنوبي طردتني عن بابك ، ودوام الغفلة أبعدني عن جنابك ، وقد وقفت ببابك بالذلة والافتقار ، ورجوت العفو عن ذنوبي والأوزار ، وقد هربت منك إليك وها أنا بين يديك ، ثم تنهدت وأنشدت تقول :

ببابك ربي قد أنخت ركائبي ومالي من أرجوه يا خير واهب
سواك فجد لي بعفو يا من أنت أهله لأعطي من الأفضال أسنى المواهب
إذا لم أمت شوقاً إليك وحسرة عليك فلا ... بلغت مآربي

ثم جلست وعيونها بالبكاء دامعة .

فقامت الرابعة : فبكت وتحسرت واستقالت من ذنوبها ، وقالت : إلهي، أمرت المجتهدين بالوقوف على بابك ، وما أظن أني أفهم ، لولا أن العفو من صفاتك لما ابتليت بالذنوب أهل ولايتك ، إلهي إن كنت غير مستأهلة لما أرجوه من مغفرتك فأنت أهل أن تجود عليَّ بسعة رحمتك ، يا من لا تخفى عليه خافية ، ويا من نعمه لم تزل وافية ، استر علي ما خفي من ذنوبي ، فأنت غاية مقصدي ومطلوبي ، ثم أنشدت :

تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني
لئن أبعدتني عن جنابك زلتي فإن رجائي فيك حسن يقين

وظني جميـــل إنـــي منـــك أرتجـــي عواطفك الحـــسنى فخـــذ بيمـــيني

[الروض الفائق: ١٨٥]

إذا دخلت عليه قام إليها ...

روى الإمام البخاري بسنده إلى عائشة بنت طلحة قالت : قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : ما رأيت أحداً أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فرحب بها وقبلها وأجلسها في مجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فرحبت وقبّلته وأجلسته في مجلسها ، فدخلت عليه في مرضه الذي توفي بها وقبّلها .

[الأدب المفرد : ٢٨٨]

كانت من ذوات الاقتصاد ...

قال الجاحظ : أقبل على القوم شيخ فقال : هل شعرتم بموت (مريم الصنّاع) فإنها كانت من ذوات الاقتصاد وصاحبة إصلاح؟ قالوا : فحدثنا عنها ، قال : نوادرها كثيرة وحديثها طويل ، ولكني أخبركم عن واحدة فيها كفاية . قالوا : وما هي ؟ قال : زوجت ابنتها وهي بنت اثنتي عشرة سنة فحلتها الذهب والفضة وكستها المروي (١)، والوشي (٢) ، والقز والخز (٣) ، وعلقت المعصفر (٤) ، ودقت الطيب . وعظمت أمرها في عين الختن ، ورفعت من قدرها عند الأحماء فقال لها

---

(١) المروي قماش منسوب إلى مرو .

(٢) الوشي قماش مزخرف .

(٣) القز والخز : الحرير .

(٤) المعصفر : الستائر ذات اللون الأصفر .

زوجها : أنى لك هذا يا مريم ؟ قالت : هو من عند الله . قال : دعي عنك الجملة وهاتي التفسير ، والله ما كنت ذات مال قديماً ولا ورثته حديثاً ، وما أنت خائنة في نفسك ولا في مال بعلك إلا أن تكوني سقطت على كنز ، وكيف دار الأمر ، فقد أسقطت عني مؤونة، وكيفتني هذه النائبة ؟ قالت : اعلم أني منذ ولادتها إلى أن زوجتها كنت أرفع من دقيق كل عجنة حفنة ، وكنا — كما قد علمت — نخبز في كل يوم مرة ، فإذا اجتمع من ذلك مكوك [1] بعته . قال زوجها : ثبت الله رأيك وأرشدك ، ولقد أسعد الله من كنت له سكناً [2] ، وبارك لمن جعلت له إلفاً ، ولهذا وشبهه قال رسول الله ﷺ : الذود [3] ، إلى الذود إبل ، وإني لأرجو أن يخرج ولدك على عرقك الصالح وعلى مذهبك المحمود ، وما فرحي بهذا منك بأشد من فرحي بما ثبت الله بك في عقبي [4] من هذه الطريقة المرضية.

فنهض القوم بأجمعهم إلى جنازتها وصلوا عليها ، ثم انكفأوا [5] إلى زوجها فعزوه على مصيبته وشاركوه في حزنه .

[البخلاء : ٣٧-٣٨]

---

(١) المكوك : معيار يكال به يتسع صاعاً ونصف الصاع .

(٢) سكناً : ما يستأنس به ويسكن إليه من أهل وولد ومال .

(٣) الذود من الإبل : ما فوق الاثنين ودون عشرة .

(٤) عقبي : خلفي .

(٥) انكفأوا : عادوا ورجعوا .

قال : إذا متُّ تزوجي ...

روى الحافظ الذهبي: قالت أم سلمة لأبي سلمة : بلغني أنه ليست امرأة يموت زوجها ، وهو من أهل الجنة ، ثم لم تزوج إلا جمع الله بينهما في الجنة ، فتعال أعاهدك ألاّ تزوج بعدي ولا أتزوج بعدك ، قال : أتطيعينني ؟ قالت : نعم . قال : إذا متُّ تزوجي . اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني لا يحزنها ولا يؤذيها ؛ فلما مات قلت : من خير من أبي سلمة ؟ فما لبثت وجاء رسول الله ﷺ ، فقام على الباب فذكر الخطبة إلى ابن أخيها أو ابنها فقالت : أرد على رسول الله ﷺ أو أتقدم عليه بعيالي . ثم جاء الغد فخطب مثل ذلك ، ثم قالت لوليها : إن عاد رسول الله ﷺ فزوج . فعاد رسول الله ﷺ فتزوجها .

[سير أعلام النبلاء : ٢/٢٠٣]

وجوب النفقة للزوجة على زوجها ...

من الآيات الدالة على وجوب نفقة الزوجة على زوجها قول الله تعالى :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ

بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا

كَثِيرٗا ﴾ [1] .

ومن الذين استدلوا بها الإمام الشافعي في كتابه الأم : (ج٥ص٨٧) ومن الواضح أن الآية الكريمة في صدد تنظيم وتحديد علاقات الأزواج بزوجاتهم ، فكان من جملة ما أوجبت على الرجال أن يعاشروهن بالمعروف . وقد حدد الشافعي المراد بالمعروف بشكل عام بقوله : ((وجماع المعروف ؛ إعفاء صاحب الحق من المؤونة في طلبه ، وأداؤه إليه بطيب النفس لا بضرورته إلى طلبه ، ولا تأديته بإظهار الكراهية لتأديته وأيهما ترك فظلم ؛ لأن مطل الغني ظلم ومطله تأخير الحق)) [2] وقال الزجاج في تحديد المعروف مع الزوجة : هو النصفة في المبيت والنفقة ((والإجمال في القول)) [3] ومن مجموع ذلك كله يظهر لنا أنه لما كان الزوج مأموراً بالمعاشرة بالمعروف مع زوجته ، ولما كان الإنفاق على الزوجة داخلاً في الأمر بالمعاشرة بالمعروف ، بل هو من أظهر وأهم مصاديقه فلذلك فإن الآية الكريمة المباركة يمكن أن تعدّ من أقوى الأدلة على وجوب النفقة للزوجة على زوجها .

[نفقات الزوجة في التشريع الإسلامي :٣٥]

---

(1) سورة النساء :/ ١٩/ .

(2) الأم : ٥/٨٦ .

(3) التفسير الكبير للفخر الرازي . : ١٠/١٢ .

لماذا قتل النبي يحيى ؟ ...

قال الحافظ ابن كثير : روى الحافظ ابن عساكر في (المستقصى في فضائل الأقصى) من طريق العباس بن صبح عن مروان عن سعيد بن عبد العزيز عن قاسم مولى معاوية قال : كان ملك هذه المدينة – دمشق – هداد بن هداد ، وكان قد زوج ابنه بابنة أخيه أريل ملكة صيدا ، وقد كان من جملة أملاكها سوق الملوك بدمشق وهو الصاغة العتيقة قال : وكان قد حلف بطلاقها ثلاثاً ، ثم إنه أراد مراجعتها فاستفتى يحيى بن زكريا عليهما السلام ، فقال : لا تحل لك حتى تنكح زوجاً غيرك. فحقدت عليه وسألت من الملك رأس يحيى وذلك بإشارة أمها ، فأبى عليها ، ثم أجابها إلى ذلك وبعث إليه وهو قائم يصلي بمسجد جيرون من أتاه برأسه في صينية ، فجعل الرأس يقول له : لا تحل له ، لا تحل له ، حتى تنكح زوجاً غيره ، فأخذت المرأة الطبق فحملته على رأسها وأتت به أمها وهو يقول كذلك ، فلما تمثلت بين يدي أمها خسف بها إلى قدميها ثم إلى حقويها – كشحها – وجعلت أمها تولول ، والجواري يصرخن ويلطمن وجوههن ، ثم خسف بها إلى منكبيها فأمرت أمها السياف أن يضرب عنقها لتتسلى برأسها ، ففعل فلفظت الأرض جثتها عند ذلك ، ووقعوا في الذل والفناء . ولم يزل دم يحيى يفور حتى قدم (بخت نصر) فقتل خمسة وسبعين ألفاً ، قال سعيد بن عبد العزيز : وهو دم كل نبي ولم يزل يفور حتى وقف عنده أرميا عليه السلام فقال : أيها الدم أفنيت بني إسرائيل فاسكن بإذن الله .

فسكن ، فرفع السيف وهرب من هــرب مــن أهــل دمــشق إلى بيــت المقدس فتبعهم إليها فقتل خلقاً كثيراً لا يحصون كثــرة وســبا منــهم ثم رجــع عنهم .

[البداية والنهاية :٢/٥٠]

أفاطم قد أبليت في نصر أحمدٍ ...

روي أن علياً كرم الله وجهه بعد رجوعه من وقعــة أحــد نــاول فاطمــة رضي الله عنها سيفه وقال : اغسلي عنه الدم ، فــوالله لقــد صــدقني اليــوم ثم قال :

أفاطم هاك الــسيف غــير ذمــيم ... فلــست برعديــد ولا بلئــيم
أفاطم قد أبليت في نــصر أحمــد ... ومرضـــاة رب بالعبـــاد رحــيم
أريد ثــواب الله لا شــيء غــيره ... ورضـــوانه في جنـــة ونعــيم
وكنت امــرءاً أسمــو إذا الحــرب شمــرت ... وقامت على ســاق بغــير ملــيم
أنمت ابن عبد الــدار حــتى ضــربته ... بذي رونق يفري العظــام صــميم
فغادرته بالقـــاع فــارفض جمعــه ... وأشفيت منهم صدر كــل حلــيم
وسيفي بكفي كالــشهاب أهــزه ... أجز بــه مــن عــاتق وصــميم

[ديوان الإمام علي : ٨٨]

تطاول هذا الليل فالعين تدمع ...

قيل : إن الخليفة الأموي (عبد الملك بن مروان) بعث بعثاً إلى اليمن ، فأقاموا سنين حتى إذا كان ليلة وهو بدمشق قال : والله لأعسنّ [١] ، الليلة مدينة دمشق ، ولأسمعن الناس ماذا يقولون في المبعث الذي أغزيت فيه رجالهم وأغرقت فيه أموالهم . فبينما هو ببعض أزقتها إذ هو بصر امرأة قائمة تصلي ، فسمع إليها ، فلما انصرفت إلى مضجعها قالت : اللهم يا غليظ الحجب ويا منزل الكتب ، ويا معطي الرغب ، ويا مسير البخت [٢] ، أسألك أن تحكم بيني وبين عبد الملك بن مروان الذي فعل بنا هذا فقد صير الرجل نازحاً والمرأة متقلبة في فراشها ، ثم أنشأت تقول :

تطاول هذا الليل فالعين تدمع ... وأرقني حزني فقلبي موجع
فبت أقاسي الليل أرعى نجومه ... وبات فؤادي عاتياً يتقرع [٣]
إذا غاب منها كوكب في مغيبه ... لمحت بعيني آخراً حين يطلع
إذا ما تذكرت الذي كان بيننا ... وجدت فؤادي للهوى يتقطع
وكل حبيب ذاكر لحبيبه ... يرجى لقاء كل يوم ويطمع
فذا العرش فرج ما ترى من صبابتي ... فأنت الذي ترى أموري وتسمع

[أعلام النساء : ٥/٢٧٩]

---

(١) عسّ : طاف في الليل .

(٢) البخت : الإبل .

(٣) يتقرع : يقلب ويضرب .

إلهي أنصفني من عمر ...

روى حجة الإسلام الغزالي قال : قال زيد بن أسلم : رأيت ذات ليلة عمر بن الخطاب ﷺ يطوف مع العس ، فتبعته وقلت له : أتأذن لي أن أصحبك ؟ فقال : نعم ، فلما خرجنا من المدينة رأينا ناراً من بعد فقلنا : يكون هناك مسافر . فقصدنا النار ، فرأينا امرأة أرملة ومعها ثلاثة أطفال صغار وهم يبكون وقد وضعت لهم قدراً على النار وهي تقول : إلهي أنصفني من عمر وخذ لي منه بالحق ، فإنه شبعان ونحن جياع .

فلما سمع ذلك عمر تقدم وسلم عليها وقال لها : أتأذنين أن أدنو إليك؟ فقالت المرأة : إن دنوت بخير ، فبسم الله ، فتقدم وسألها عن حالها وعن حال أطفالها فقالت : وصلت وهؤلاء الأطفال معي من مكان بعيد، وأنا جائعة والأطفال جياع ، وقد بلغ مني ومنهم الجهد والجوع فمنعنا من الهجوع ، فقال عمر : وأي شيء في هذا القدر ؟ فقالت : تركت لهم فيها ماءً أشاغلهم به ليظنوا أنه طعام ، قال زيد : فعاد أمير المؤمنين وقصد دكاناً يباع فيه الدقيق فابتاع ملء جراب ، ومضى إلى دكان القصاب فابتاع منه دسماً ، ووضع الجميع على كاهله وحمله يطلب به المرأة والأطفال ، فقلت : يا أمير المؤمنين ناولنيه لأحمله عنك ، فقال : إن حملته عني فمن يحمل عني ذنوبي ؟ ومن يحول بيني وبين دعاء تلك المرأة علي ؟ وجعل عمر يسعى ويبكي إلى أن وصلنا إلى المرأة فقالت: جزاك الله عني خير الجزاء . فأخذ عمر جزءاً من الدقيق وشيئاً من الدسم فوضعه في القدر وجعل يوقد النار ، وكلما أرادت أن تخمد نفخها ، والرماد يسقط على وجهه ومحاسنه حتى

نضج الطبيخ ، فوضعه في القصعة وقال للأطفال : كلوا ، فأكلوا وأكلت المرأة . فقال عمر : أيتها المرأة لا تدعي على عمر فإنه لم يكن عنده منك ومن أطفالك خبر [1] .

[نصيحة الملوك : ٩٧]

ما هو تأثير المرأة على الزوج ...

يقول الشيخ محمد الغزالي : المرأة الجبانة تعجز زوجها عن النهوض بواجباته وتحمل المخاطر واقتحام العقبات ، والمرأة البخيلة تمنع رجلها من بذل العون وإكرام الضيف ودعم الضعاف ، وإن خذلان الداخل يعوق الامتداد في الخارج ، ويجعل الرجل خادماً لمطالب بيته ومآرب زوجته وأولاده ، وهذا طريق لا نهاية له .

وقد أمر الله عزَّ و جلَّ الرجال أن يلبوا نداء التضحية ولو تعلقت نساؤهم بأذيالهم ، وحذرهم من النكوص وإيثار الراحة واجتماع الشمل على حساب المبادئ والعقائد ، وهذا معنى الآية :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَـٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[2]

---

[1] للتفصيل أكثر حول حياة وأخلاق سيدنا عمر يراجع كتابنا :الأخلاق الإسلامية للناشئة ط : دار المحبة بدمشق

[2] سورة التغابن :/١٤/.

العداوة ليست هنا الخصومات المعروفة وإنما هي انهزام الرجل أمام مطالب أسرته ، وقعوده عن الجهاد كي يبقى إلى جوارهم .

وقد تدبرت تاريخ السلف الأول فوجدت تعاوناً فريداً بين أعضاء الأسرة على خدمة الإسلام والوفاء بحقه واقتسام المغارم في نصرته بين الأزواج والزوجات . تقول أم سلمة رضي الله عنها : لما أجمع أبو سلمة على الهجرة أعد لي بعيري وحملني عليه مع ابننا سلمة ، ثم خرجنا إلى المدينة فتبعه رجال من أهلي معترضين طريقه قائلين : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها في البلاد؟ونزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه ، وغضب عند ذلك رهط بني سلمة وقالوا : والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، قالت: فتجاذبوا الولد بينهم حتى كادوا أن يخلعوا يده ، ثم انطلقوا به وذهب زوجي إلى المدينة وحده ، ففرقوا بيني وبينه وبيني وبين ابني ، فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي ، ومكثت على ذلك نحو عام ، حتى مرَّ بي رجل من بني عمومتي فرأى ما بي ورق قلبه لي ، فقال لأهلي : ألا تتركون هذه المسكينة تلحق بزوجها ؟ فقالوا لي : إلحقي بزوجك إن شئت . فاسترددت ابني وارتحلت بعيري وخرجت أريد المدينة وما معي من أحد من خلق الله، حتى إذا كنت بالتنعيم قريباً من مكة لقيت عثمان بن طلحة فسألني : إلى أين ؟ قلت : ما معي إلا الله وابني هذا . فأخذ بزمام البعير وهو يقول : فوالله ما لك من مترك . وانطلق مسرعاً بي ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ؛ كان إذا نزل محطة أناخ بي

ثم تأخر عني حتى أنزل ، ثمّ قيد بعيري إلى شجرة ، ثمّ ذهب بعيداً إلى شجرة أخرى فاضطجع تحتها ...

حتى إذا دنا الرواح قام إلى بعيري فأعده ، ثم استأخر عني حتى أركب فإذا استويت عليه أخذ بالزمام يقودنا ، وما زلنا كذلك حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف قال : هنا يقيم أبو سلمة ، فادخلني على بركة الله ، ثم انصرف قافلاً إلى مكة بعدما أدى واجبه الشريف الرائع .

واجتمع الشمل مرة أخرى في دار الهجرة بعد شتات وأحزان،لكن أبا سلمة واصل كفاحه في نصرة الإسلام ، وشاء الله تعالى أن يكون من شهداء أحد وأن تبقى أم سلمة وحيدة مستوحشة حتى قدر الرسول جهادها ومصابها فبنى بها وأعز جانبها .

إن صرح الإسلام قام على تضحيات ثقال ، قامت بها أسر شجاعة تواصى رجالها ونساؤها بالحق والصبر .

[قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة :١٢٩]

أم الشهداء الستة ...

روى أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله أن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ ، ورزقها الله سبعة بنين كلهم شهدوا بدراً مسلمين ، وذلك أنها تزوجت (الحارث بن رفاعة) فولدت له معاذاً ومعوذاً ، ثم طلقها ، فقدمت مكة فتزوجت (بكير بن عبد ياليل) فولدت له خالداً وإياساً وعاقلاً وعامراً ، ثم رجعت إلى المدينة فراجعها الحارث بن رفاعة فولدت له عوفاً ، فشهدوا كلهم بدراً مسلمين فاستشهد (معاذ) و(معوذ) و(عاقل) ببدر واستشهد (خالد) : يوم الرجيع و(عامر) يوم بئر معونة و(إياس) يوم اليمامة .

[صفة الصفوة : ٢/٧١]

الموقف السليم من قضية تحديد النسل ...

يقول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي : النسل من المقاصد الأساسية للزواج في نظر الإسلام حتى يتحقق بقاء النوع الأساسي ويقوم بدوره في عمارة الأرض إلى ما شاء الله ، وإلى هذا يشير القرآن :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (١)

ولا ريب أن القوة العددية من النعم التي يمن الله بها على الناس ومما يفخر بها المفاخرون ويخوف بها المتربصون ، والقرآن يقول في معرض الامتنان :

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ (٢)

والشاعر العربي يقول :

ملأنا البر حتى ضاق عنا ... وماء البحر نملؤه سفينا

ولآخر يعتذر عن قلة العدد بقوله :

تعيرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها : إن الكرام قليل

ولكن مما لا ينازع فيه أن الإسلام لا يريد كثرة كغثاء السيل ، بل يريد الكم والكيف معاً ، فإذا تعارضا فالكيف مقدم على الكم ، ومن ثم لا

---

(١) سورة النحل :/٧٢/

(٢) سورة الأعراف /٨٦/

أجد مانعاً من الشرع يحول بين الأسرة وبين (تنظيم نسلها) لا (تحديده) على معنى أن تجعل بين كل طفل وآخر مدة من الزمن يتمكن فيها الطفل من استيفاء حقه في الرضاع والرعاية ، والرضاع حولان كاملان لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴿ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [1] ، وكذلك إذا كانت صحة الأم أو مقدرتها على حسن الرعاية والتربية بدنياً ونفسياً واجتماعياً ، لا تمكنها من توالي الحمل والولادة والإرضاع ... إلخ،فلا تكلف نفس إلا وسعها ولا تضار والدة بولدها ، والله يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر ، والمهم هنا مصلحة الأم ومصلحة الطفل ولا ضرر ولا ضرار ، وقد كان الصحابة إذا أرادوا ألا تحمل المرأة عزلوا عنها ولم ينههم الله ولا رسوله عن ذلك . وأحب أن أنبه هنا إلى :

١- لا يجوز أن يكون من المسوغات لمثل هذا الأمر خوف الرزق ؛ فإن الله تعالى قد تكفل برزق كل حي كما قال تعالى :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [2] .

والله قبل أن يخلق الناس بارك في الأرض وقدر فيها أقواتها ، ولكن إذا خاف أن يجره كثرة الأولاد إلى التورط في الحرام مثل قبوله الرشوة أو الدخول في المكاسب المحظورة أو نحو ذلك ، فهذا اعتبار ديني يحسب حسابه .

---

[1] سورة لقمان /١٤/ .

[2] سورة هود /٦/ .

٢- يجب أن يبقى تنظيم النسل مسألة تخضع لظروف الأسرة يتفق عليها الزوجان دون أن يحرجا أنفسهما في دين أو دنيا ، ولا ينبغي أن يكون ذلك فلسفة عامة للدول يحمل عليها الناس جميعاً ، وأولى من تركيز الجهد على تحديد النسل أن تبذل جهود علمية منظمة لنتعلم منها الاستخدام الأمثل للطاقات البشرية المعطلة عندنا التي تستهلك ولا تنتج ، وتستورد ولا تنشئ ، وتأخذ ولا تعطي .

٣- إن بعض الأمم بلغ عدد سكانها ألف مليون نسمة أو أكثر ولم تضق بهم وجعلت ذلك مصدر قوة لها ، واستغلتها إلى أقصى حد ممكن،ونحن عندنا من مصادر الثروة ما يسع أضعاف أعدادنا لو أننا نحن العرب والمسلمين ـ حققنا التعاون والتكامل فيما بيننا ، وأكمل كل منا نقص أخيه ، وأحسنا استغلال ما وهبنا الله من نعم وخبرات.

كنت في السودان قريباً بمناسبة مرور سنة على بدء تطبيق الشريعة، ورأينا هناك حاجة السودان إلى استغلال المساحات الشاسعة من أرضه الصالحة للزراعة ؛ التي تبلغ نحو مائتي مليون فدان منها حوالي (٨٠ مليوناً) قابلة للزراعة بأدنى النفقات ، فلماذا لا يساهم الخليج ببعض ملايينه أو بلايينه التي تعمل في أوروبا وأمريكا ؟ ولماذا لا تساهم مصر بخبراتها الفنية وأيديها العاملة ؟ولماذا ؟ ولماذا؟؟؟.

[لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر :١٦٧]

فقيه ينقذ امرأة من الطلاق ...

روى القاضي ابن الزبير في (الذخائر والتحف) : لما أعضلت مسألة الرشيد فقهاء الإسلام أشخص الليث بن سعد إليه فأخرجه منها ؛ وذلك أن الرشيد خاصم زوجته أم جعفر – زبيدة – فقالت له : والله لا رأيت الجنة ولا دخلتها .

فقال لها : إن لم أكن من أهل الجنة فأنت طالق ثلاثاً فأشخص مالك بن أنس من المدينة ، وسفيان بن عينية من مكة ، وإسماعيل ابن عياش من حمص ، والليث بن سعد من مصر ، وسألهم عن ذلك ، فما أفتاه أحد منهم غير الليث فإنه قال : يا أمير المؤمنين تصدقني عما أسألك عنه؟ قال : نعم . قال : هل تخاف مقام الله ؟ قال : نعم . قال : فليست لك جنة واحدة لك جنتان قال الله تعالى :

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [1] .

راجع زوجتك فلا حنث عليك . فأمر له بعشرة آلاف دينار وأقطعه ضيعة بريف مصر تعرف (بقر قشندة) .

[القلائد من فرائد الفوائد : ١١١]

---

[1] سورة الرحمن :/٤٦/

من لطيف التعزية ...

روى الحافظ ابن ناصر الدمشقي عن أبي الدرداء ﷺ قال : كان لسليمان بن داوود ـ صلوات الله وسلامه عليهما – ابن يجد به وجداً شديداً فمات الغلام ، فحزن عليه حزناً شديداً ورؤي ذلك في قضائه ومجلسه .

فبعث الله تعالى إليه ملكين في هيئة البشر فقال : ما أنتما ؟ فقالا : خصمان . قال : اجلسا مجلس الخصوم فقال أحدهما : إني زرعت زرعاً فأتى هذا فأفسده . قال سليمان عليه السلام : ما تقول يا هذا ؟ قال:أصلحك الله ، إنه زرع في الطريق ، وإني مررت به فنظرت يميناً فإذا الزرع ، ونظرت شمالاً فإذا الزرع ونظرت قارعة الطريق فإذا الزرع فركبت قارعة الطريق ، فكان في ذلك فساد زرعه ، قال سليمان عليه السلام : ما حملك على أن تزرع بالطريق ؟ أما علمت أن الطريق سبيل الناس ولا بد للناس من أن يسلكوا سبيلهم .

قال : فكأنما كشف عن سليمان الغطاء . وهذا من لطيف التعزية لمن حل به رزية – مصيبة – .

[برد الأكباد عن فقد الأولاد : ١٠٠]

اللعنة على قاطع الرحم ...

يؤكد البيان السماوي أن اللعنة نازلة لا محالة على الذين يقطعون أرحامهم ، ثم لا بد وأن تكون النهاية لهم نهاية خاسرة كما في قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾

(١)

لقد قطعوا أرحامهم وأفسدوا في الأرض وتركوا ما أخذه الله عليهم فاستحقوا لعنة الله ؛ وهي الطرد من رحمته ، وأنى لمن طرد من رحمة الله أن يكون موفقاً أو فائزاً أو مطمئناً أو ... أو... ويوم ننقلب إلى الله فإن جهنم ــ وساءت مصيراً ــ لكل من قطع رحمه و لم يصلها ...

وهكذا يهدد المولى سبحانه وتعالى تهديداً شديد اللهجة ، ثم يضع ميزاناً دقيقاً فيقول في حديث قدسي فيما يرويه عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ قال : " إن الله تبارك وتعالى يقول : أنا الله وأنا الرحمن ، خلقت الرحم فشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته " (٢) .

وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ : " قال الله تعالى للرحم : خلقتك بيدي ، وشققت لك من اسمي ، وقربت مكانك مني، وعزتي وجلالي لأصلن من وصلك ولأقطعن من قطعك حتى ترضين " (١) .

---

(١) سورة الرعد /٢٥/

(٢) متفق عليه

(١) رواه الترمذي

أرأيت إلى هذه المكانة السامقة للرحم عند الخالق عزَّ و جلَّ ؟ أرأيت إلى هذا الأمر الخطير الذي يقسم الله تعالى بعزته وجلاله من أجله؟

أرأيت إلى أن الرحمن الرحيم سيمد يد الرحمة والعون إلى كل من وصل رحمه ولو بالقليل من الوصل – ولو بالكلمة الحسنة – وسيقطع رفده وعونه عن كل من قطع رحمه ، وعندها العذاب المهين في الدنيا والآخرة . أرأيت إلى الرحمن الرحيم كيف يجعل رضاه من رضى الرحم، وغضبه من غضبها ؟

ثم يعلن النبي – صلوات الله عليه – بصراحة تامة أن من قطع رحمه و لم يصلها فلا بد له من دخول جهنم كما في قوله : " الرحم شجنة من الرحمان ، فمن قطعها حرم الله عزَّ و جلَّ عليه الجنة " [٢] .

وفي رواية أخرى : " لا يدخل الجنة قاطع " [٣] .

أما الفاروق ﷺ فيلخص لنا الأمر بكلمات رائعة فيقول : تعلموا النسب ؛ فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها ، ثم يقول : وقد سمعت من رسول الله ﷺ قوله : " تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم " [١] .

[الأخلاق الإسلامية للناشئة : ١٦٥/٣]

---

[٢] رواه الترمذي و البيهقي

[٣] متفق عليه

[١] رواه الترمذي وأحمد والحاكم .

أعرابي يتزوج امرأتين ...

قال الأصمعي : قيل لأعرابي : مـن لم يتـزوج امـرأتين لم يـذق لـذة العيش ، فتزوج امرأتين ثم ندم ، فقال :

تزوجـت اثنـتين لفـرط جهلـي ... بمـا يـشقى بـه زوج اثنـتين
تزوجت اثنتين أصير بينهما خروفـاً ... أنعَّـم بـين أكـرم نعجـتين
فصرت كنعجـة تمـسي وتـضحي ... تـردد بـين أخبـث ذئبـتين
رضى هذي يهـيج سـخط هـذي ... فما أعرى من إحـدى الـسخطتين
وألقـى في المعيـشة كـل بـؤس ... كـذاك المـرء بـين الـضرتين
لهـذي ليلـة ولتلـك أخـرى ... عتـاب دائـم في ٠٠الليلـتين

[صفوة الأخبار و منتقى الآثار : ٢٣٨]

مسلمة تغزو قبرص ...

كانت من خير النساء ، وهي صحابية جليلة أسلمت عن إيمان، وبايعت عن صدق ، وهاجرت عن رضا ، وكان رسول الله ﷺ يقدرها حق القدر ويكرمها ويشرفها بزيارته إياها بمنزلة في قباء ، وما ذهب الرسول إلى قباء إلا زارها ، وقال لديها وطعم من طعامها ، وذات مرة كان نائماً عندها ثم استيقظ ضاحكاً ، وقال عليه الصلاة والسلام : " عرض علي أناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة " فقالت أم حرام :

يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال :

" أنت من الأولين "

وبعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى وفي خلافة عثمان بن عفان عزم المسلمون على غزو جزيرة قبرص ، وأعدت العدة للغزو، وكان مع الغزاة عبادة بن الصامت الذي تزوج أم حرام وصحبها معه من المدينة المنورة إلى الشام ، ومن دمشق انضم عبادة وزوجته إلى الغزاة المجاهدين ...

إنها أم حرام ، تلك المرأة التي ركبت البحر الأبيض ـ وكان يسمى الأخضر – مع المسلمين لتصل إلى قبرص بل لتكون من الأولين ، وكانت وفاتها في سنة (٢٧) هـ وقيل (٢٩) هـ ودفنت هناك لتبقى شاهداً واضحاً على دور المرأة المسلمة ، وكانت أم حرام من رواة الأحاديث الصحيحة ، وهي خالة أنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين.

[بتصرف من : نساء صنعن التاريخ : ١٨١]

العلم الشرعي في البيت ...

تعليم أهل البيت فريضة شرعية لا بد أن يقوم بها رب الأسرة إنفاذاً لأمره تعالى في الآية الكريمة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[1]

وهذه الآية أصل في تعليم أهل البيت وتربيتهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . وإليك بعض ما قاله المفسرون في هذه الآية : قال قتادة: يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصيته ، وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به ، ويساعدهم علي ،فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها ، وزجرتهم عنها .

وقال الضحاك ومقاتل : حقٌّ على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه ما فرض عليهم وما نهاهم عنه .

وقال علي ـــ كرم الله وجهه ـــ: علموهم وأدبوهم .

وقال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه : (باب تعليم الرجل أمته وأهله) ، ثم ساق حديثه ﷺ :

---

[1] سورة التحريم /٦/ .

" ثلاثة لهم أجران ... ورجل كانت عنده أمه فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران "

قال ابن حجر في شرح الحديث : مطابقة الحديث للترجمة – أي عنوان الباب – في الأمة بالنصب وفي الأهل بالقياس ، إذ الاعتناء بالأهل الحرائر في تعليم فرائض الله وسنن رسوله آكد من الاعتناء بالإماء [1] .

وفي غمرة مشاغل الرجل ووظيفته وارتباطاته قد يغفل عن تفريغ نفسه ليعلم أهله ، فمن الحلول لهذا أن يجعل يوماً يخصصه موعداً لأهل البيت .

وقال البخاري – رحمه الله – في باب (هل يجعل للنساء على حده في العلم) وساق حديث أبي سعيد الخدري – ﷺ – : قالت النساء للنبي ﷺ : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً لقيهنّ فيه فوعظهن وأمرهن . قال ابن حجر : وفي رواية أبي هريرة قال : " موعدكن بيت فلانة ، فأتاهن وحدثهن " [2] .

ويؤخذ من الحديث تعليم النساء في البيوت ، وحرص نساء الصحابة على التعلم ، وأن توجيه الجهود إلى الرجال فقط دون النساء تقصيرٌ كبيرٌ من الدعاة وأرباب البيوت .

[٤٠ نصيحة لإصلاح البيوت : ٢١]

---

(١) فتح الباري : ١/ ١٩٠.

(٢) فتح الباري : ١/ ١٩٥ .

كنا نجلس إلى أم الدرداء ...

روى ابن الجوزي – رحمه الله – عن عون بن عبد الله قال : كنا نجلس إلى أم الدرداء فنذكر الله عندها ، فقالوا : لعلنا قد أمللناكِ .

قالت : تزعمون أنكم قد أمللتموني ، فقد طلبت العبادة في شيء فما وجدت شيئاً لصدري ولا أحرى أن أصيب الذي أريد من مجالس الذكر .

[صفة الصفوة : ٤/٢٩٦]

هل يجوز للمسلمة أن تظهر أمام الكافرة ؟ ...

اختلف الفقهاء في المراد من قوله تعالى : ﴿ أَوْ نِسَآئِهِنَّ ﴾ (١)

قال القرطبي : أو نسائهن يعني المسلمات ، ويخرج نساء المشركين من أهل الذمة وغيرهم ، فلا يحل لامرأة مؤمنة أن تكشف شيئاً من بدنها بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون أمة لها .

وكره بعضهم أن تقبل النصرانية المسلمة أو ترى عورتها ، وكتب عمر ﷺ إلى أبي عبيدة بن الجراح يقول : إنه بلغني أن نساء أهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساء المسلمين فامنع من ذلك وحُلْ دونه فإنه لا يجوز أن ترى الذمية عرية المسلمة (١) .

---

(١) سورة النور :/٣١/ .

(١) عرية المرأة أي ما يعرى منها وينكشف .

فقام عند ذلك أبو عبيدة وابتهل – دعا وتضرع – وقال : أيما امرأة تدخل الحمام من غير عذر لا تريد إلا أن تبيض وجهها فسود الله وجهها يوم تبيض الوجوه [٢] .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يحل للمسلمة أن تراها اليهودية أو النصرانية لئلا تصفها لزوجها [٣] . وقال بعضهم المراد بقوله تعالى :

﴿ أَوْ نِسَآئِهِنَّ ﴾ جميع النساء ، فيدخل في ذلك المسلمة والكافرة.
قال الألوسي : وذهب الفخر الرازي إلى أنها كالمسلمة ، فقال : والمذهب أنها كالمسلمة ، والمراد بنسائهن جميع النساء ، وقول السلف محمول على الاستحباب ، ثم قال : وهذا القول أرفق بالناس اليوم ، فإنه لا يكاد يمكن احتجاب المسلمات عن الذميات [٤] . وقال ابن العربي : والصحيح عندي أن ذلك جائز لجميع النساء ، وإنما جاء بالضمير للإتباع فإنها آية الضمائر ؛ إذ فيها خمسة وعشرون ضميراً لم يروا في القرآن لها نظيراً فجاء هذا الإتباع[٥] .

وقال المودودي: والذي يجدر بالذكر في هذا المقام أن الله تعالى لم يقل (أو النساء) ، ولو أنه قال كذلك لحل للمرأة المسلمة أن تكشف عورتها وتظهر زينتها لكل نوع من النساء من المسلمات ، والكافرات ، والصالحات ، والفاسقات ، ولكنه تعالى جاء بكلمة :

---

[٢] تفسير القرطبي : ٢٣٣/١٢ .

[٣] تفسير القرطبي : ٢٣٣/١٢ .

[٤] تفسير الألوسي : ١٤٣/١٩ .

[٥] أحكام القرآن لابن العربي : ٣٢٦/٣ .

﴿ نِسَآيِهِنَّ ﴾ فمعناها أنه حدّ حرية المرأة المسلمة في إظهار زينتها إلى (دائرة خاصة) وأما ما هو المراد بهذه طائفة : إن المراد بها النساء المسلمات فقط ، وهذا ما رآه ابن عباس ومجاهد وابن جريج في هذا الآية واستدلوا بما كتبه عمر ﷺ إلى أبي عبيدة بن الجراح ـ ﷺ ـ .

وتقول طائفة أخرى : إن المراد بـ ﴿ نِسَآيِهِنَّ ﴾ جميع النساء وهذا هو أصح المذاهب عند الفخر الرازي ، إلا أننا لا نكاد نفهم لماذا خصّ النساء بالإضافة .

وقال : ﴿ نِسَآيِهِنَّ ﴾ . وتقول طائفة ثالثة : إن المراد بـ ﴿ نِسَآيِهِنَّ ﴾ النساء المختصات بهن بالصحبة والخدمة والتعارف ؛ سواء أكن مسلمات أو غير مسلمات ، وأن الغرض من الآية أن تخرج من دائرة النساء (الأجنبيات) اللاتي لا يعرف شيء عن أخلاقهن وآداهن وعاداهن ، فليست العبرة (بالاختلاف الديني) بل هي (بالاختلاف الخلقي) فللنساء المسلمات أن يظهرن زينتهن بدون حجاب ، ولا حخرج للنساء الكريمات الفاضلات ولو من غير المسلمات ، وأما الفاسقات اللاتي لا حياء عندهن ولا يعتمد على أخلاقهن وآداهن ، فيجب أن تحتجب عنهن كل امرأة مؤمنة صالحة ولو كن مسلمات لأن صحبتهن لا تقل عن صحبة الرجال ضرراً على أخلاقها [1] . أقول : هذا الرأي وجيه وسديد حبذا لو تمسكت به المسلمات في عصرنا الحاضر ، إذاً لحافظن على أخلاقهن وآداهن ،وكفين شر هذا التقليد الأعمى للفاسقات الفاجرات في الأزياء والعادات

---

[1] بتصرف من تفسير سورة النور للمودودي .

الضارة الذميمة التي غزتنا بها الحضارة المزيفة (حضارة الغـــرب) الـــتي يـــسميها بعضهم حضارة القرن العشرين ، وما هي بحضارة (إنما هـــي قـــذارة وفجـــارة ، ولقد أحسن من قال :

إيه عصر العـــشرين ظنـــوك عـــصراً نـــير الوجـــه مـــسعد الإنـــسان

لست (نوراً) بل أنت (نـــار) وظلـــم مذ جعلـــت الإنـــسان كـــالحيوان

[روائع البيان تفسير آيات الأحكام : ١٦٢/٢]

هارون الرشيد و فصاحة عربية ...

روى ابن عبد ربه : دخلت امرأة على هارون الرشيد ، وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت : يا أمير المؤمنين ، أقر الله عينك ، وفرحك بما آتاك ، وأتم سعدك ، لقد حكمت فقسطت .

فقال لها : من تكونين أيتها المرأة ؟

فقالت : من آل برمك ، ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم ، وسلبت نوالهم .

فقال : أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ، و نفذ فيهم قدره ، وأما المال فمرده إليك ، ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه فقال : أتدرون ما قالت هذه المرأة ؟

فقالوا : ما نراها قالت إلا خيراً ، قال : ما أظنكم فهمتم شيئاً ، أما قولها : أقر الله عينك أي أسكنها ، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت ، وأما قولها: فرحك بما آتاك ، فأخذته من قول الله تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ [1] .

وأما قولها : و أتم سعدك فأخذتها من قول الشاعر :

إذا تم أمر بدا نقصه ترقب زولاً إذا قيل تم

وأما قولها : لقد حكمت فقسطت، فأخذته من قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [1] .

---

[1] سورة الأنعام : / ٤٤ / .

القرآن يبين أن المرأة عاقلة مدبرة ...

من خلال استقراء جانب القصص في القرآن الكريم ، نجد مثال المرأة يتنوع ؛ من ملكة سبأ إلى امرأة فرعون إلى ... الخ .

ولو أخذنا بلقيس ملكة سبأ ، ماذا كان موقعها عندما وصلتها رسالة سليمان عليه السلام مع الهدد ؟ لقد جمعت قومها ، واستشارتهم ، وهذا دليل على وجود عقل راجح تتميز به شخصيتها ، فهي لم تصدر أمراً ملكياً غير قابل للطعن ، إنما كما حدثنا القرآن الكريم :

﴿ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [٢] .

وبالفعل استشار القوم بعضهم بعضاً ثم أجمعوا على أن بلقيس ذات قرار حكيم أكثر منهم ، فقالوا : أنت صاحبة القرار الأول والأخير ، وما علينا إلا تنفيذ ما تأمريننا به : ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى

---

[١] سورة الجن : / ١٥ / .

[٢] سورة النمل : / ٢٩-٣٢ / .

مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [1]

وهنا يبرز عقلها الراجح : من خلال دراسة شخصية سيدنا سليمان عليه السلام ؛ أهو ملك ؟ أم داعية إلى الهدى والسلم ؟ فما الحل لكشف هذا اللغز ؟ أرسلت إليه بهدية ... ثم يحكي لنا القرآن الكريم كيف عادت فأسلمت إلى الله واتبعت سليمان عليه السلام ، وهذا دليل على إمكانية انتصار المرأة على عوامل الضعف الأنثوي والذي قد يؤثر سلباً على طريقتها في التفكير واتخاذ القرارات .

من لها إلا علي ... ! ؟

روى محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال : خاصم غلام من الأنصار أمه إلى عمر بن الخطاب ﷺ فجحدته ، فسأله البينة ، فلم تكن عنده ، وجاءت المرأة بنفرٍ ، فشهدوا أنها لم تتزوج ، وأن الغلام كاذب عليها ، وقد قذفها ، فأمر عمر بضربه ، فلقيه علي ﷺ ، فسأل عن أمرهم ، فأخبر، فدعاهم ، ثم قعد في مسجد النبي ﷺ وسأل المرأة فجحدت ، فقال للغلام : اجحدها كما جحدتك . فقال : يا بن عم رسول الله ﷺ إنها أمي ، قال : اجحدها وأنا أبوك ، والحسن والحسين أخواك ، قال : جحدها وأنكرها .

فقال علي لأولياء المرأة : أمري أني قد زوجت هذا الغلام من هذه المرأة الغريبة منه ، يا قنبر ائتني بطينة فيها دراهم .

---

[1] سورة النمل : / ٣٣-٣٥ / .

فأتاه بها ، فعد أربعمائة وثمانين درهماً ، فدفعها مهـــراً، فلمـــا ولى قالـــت المرأة : يا أبا الحسن ، الله الله هـــو النـــار ، هـــو والله ابـــني ، قـــال : وكيـــف ذلك، قالت : إن أباه كان زنجياً ، وإن إخوتي زوجوني منـــه ، فحملـــت بهـــذا الغلام فنشأ فيهم ، وأنفت أن يكون ابني ، فقـــال علـــي : أنـــا أبـــو الحـــسن . وألحقه بها ، وثبت نسبه !! .

[صفوة الأخبار و منتقى الآثار :٣١٦]

ماذا عن تعدد الزوجات عند النبي ؟ ...

يقول الشيخ الشعراوي : ... محمد ﷺ لم يتزوج و إنما زوج ، إذن المفروض أن يصعد الخلاف في المسألة إلى الله وليس لمحمد رسول الله ﷺ ، لأن الآية تقول :

﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ [1]

فكان ربنا هو الذي يطلق لرسوله محمد ، و هو الذي يزوجه ، كذلك آية امرأة بن زيد بن حارثة :

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [2]

فمن الذي زوج ؟ الذي زوج هو الله ، إذن فرسول الله ﷺ منفعل وليس فاعلاً للعملية ، فمن يريد أن يبحث ، عليه أن يصعد المسألة إلى الله تعالى ويقول : لماذا فعل ربنا هكذا ؟ ثم الذين يبحثون المسألة إحصائياً نقول لهم : هل الرسول وسع عليه أم ضيق ؟ صحيح أن النبي ﷺ كان جامعاً لتسعة ، ومن كان جامعاً لأكثر من أربعة من أصحابه قال له : أمسك أربعاً وفارق سائرهن ، لكن هو لم يفعل في نفسه ،لماذا ؟؟ هؤلاء بخصوصهن مطلوبات ، بدليل أننا لو بحثنا لوجدنا الإباحة في المعدودات لا في العدد ، وهناك فرق أن يكون المباح المعدود والمباح العدد، المباح المعدود : يعني أن يكون عددهن تسعة بحيث إذا ماتت واحدة أو طلقها فعليه أن يأتي بواحدة غيرها ، هذا يكون لو أبيح له معدودات بحيث إذا نقصت واحدة يستبدل واحدة مكان أخرى ، وهذا معنى قوله تعالى :

---

[1] سورة التحريم : / ٥ / .

[2] سورة الأحزاب : / ٣٧ / .

﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ ﴾ [1]

إذن نتكلم عن المعدودات لا عن العدد ، بدليل أنه لم يكن هناك نسق عاطفي في هذا الزواج ، فالرسول ﷺ في سن الخامسة والعشرين تزوج خديجة وكانت فوق الأربعين ، وبعد أن ماتت تزوج سودة بنت زمعة ، فما حظ سودة من جمال يعجب رسول الله ؟ لقد كان زوجاً لأجل الخدمة فقط ، ثم تزوج عائشة وهي بنت تسع سنوات لدرجة أنها لم تدخل عليه إلا بعد ثلاث سنين لكي تكون مهيأة لبيت الزوجية ، وبعد ذلك نجد أن أم سلمة صاحبة عيال ... والخامسة ...وغيرهن... كل واحدة لها قصة ، إذن فالاستثناءات هنا للمعدودات لا للعدد ، وكان يجب أن نخضع لهم لو أن ذلك عدد رسول الله في الأزواج .

وأيضاً فإن أي صحابي كان عنده أكثر من أربع أمسك أربعاً وفارق سائرهن ، المفارقة هذه ستجد لها من يتزوجها ، ولكن هؤلاء أمهات المؤمنين ، فإذا قلنا : يا رسول الله أمسك أربعاً وطلق خمساً .فأين يذهبن؟.

وأمهات المؤمنين لا يحل لأحد أن يتزوج منهن ، إذن فهذه بخصوص هؤلاء، وهناك أيضاً نظرة عاطفية أخرى حيث نجد أن في نساء رسول الله ﷺ من كانت تهب قسمتها لعائشة – رضي الله عنهنَّ جميعاً – ، امرأة تهب قسمتها لضرتها ! ما مدلول ذلك ؟ إنها تفطن جيداً لماذا تزوجها رسول الله؟ إنه تزوجها ليعطيها نيشاناً – وساماً – بأنها أم المؤمنين فقط . وما دام ليعطيها وسام أم المؤمنين فقط فهي مدركة أنها لا تغني الرجل في مثل هذه المسائل ...

---

[1] سورة الأحزاب : / ٥٢ / .

[بتصرف من (أسئلة حرجة و أجوبة صريحة): ١٨٦]

ما هي صفات الزوجة الصالحة ...

قال حجة الإسلام الغزالي –رحمه الله – هنـاك خـصال مطيبـة للعـيش، و هي ثمانية :

١- أن تكون صالحة ذات دين : ومن الأحاديث الـتي رغبـت في ذلـك قول المصطفى ﷺ :

" تنكح المرأة لمالها ، و جمالهـا ، وحـسبها ،و دينـها ، فعليـك بـذات الدين تربت يداك " [(١)] .

وقوله : " من نكح المرأة لمالها وجمالهـا حـرم جمالهـا ومالهـا ، ومـن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها " [(٢)] .

وقوله : " لا تنكح المرأة لجمالهـا ، فلعـل جمالهـا يرويهـا ، ولا لمالهـا فلعل مالها يطغيها ، وانكح المرأة لدينها " [(٣)] .

٢- حسن الخلق : وذلك أصـل مهـم في طلـب الفـراغ ، والاسـتعانة على الدين ، فإنها إن كانت سليطة ، بذيئـة اللـسان ، سـيئة الخلـق كـافرة للنعم ، كان الضرر منها أكثر من النفع .

٣- حسن الوجه إذ به يحصل التحصن وقد قـال ﷺ : " خـير نـسائكم من إذا نظر إليها زوجهـا سـرته ، وإذا أمرهـا أطاعتـه ، وإذا غـاب عنـها حفظته في نفسها وماله " [(١)] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ، وابن حبان .

(٣) رواه ابن ماجه .

٤- أن تكون خفيفة المهر كما في الحديث الشريف : " خير النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً "[٢] .

وكان عمر ﷺ يقول: " ما تزوج رسول الله ﷺ ولا زوج بناته بأكثر من أربع مئة درهم "[٣] .

٥- أن تكون المرأة ولوداً : لقوله ﷺ : " تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة "[٤] .

٦- أن تكون بكراً : قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيباً " هلا بكراً تلاعبها و تلاعبك "[٥] .

وقوله : " عليكم بالأبكار فإهن أعذب أفواهاً ، و أنتق أرحاماً ، و أقل خباً وأرضى باليسير "[٦] .

٧- أن تكون نسيبة : أي من أهل بيت الدين و الصلاح ؛ فإنها ستربي بناتها و بنيها ، لذلك قال ﷺ : " إياكم و خضراء الدمن ، فقيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء "[١] .

وقوله : " تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع "[٢] .

٨- ألاّ تكون من القرابة : فإن ذلك يقلل الشهوة .

---

[١] رواه ابن ماجه والنسائي وأحمد والحاكم .

[٢] رواه ابن حبان .

[٣] رواه مسلم والترمذي .

[٤] رواه أحمد وابن حبان والبيهقي .

[٥] رواه البخاري ومسلم .

[٦] رواه ابن ماجه .

[١] رواه الدارقطني وابن عدي والقضاعي (كشف الخفا) .

[٢] رواه ابن ماجه والحاكم وابن عدي والدارقطني .

[بتصرف من إحياء علوم الدين : ٢/٩٢-٩٨]

برّ الأم ...

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قلت : يا رسـول الله ﷺ مـن أبـر؟ قال : أمك ، قلت : من أبر ؟ قال : أمك ، قال : مـن أبـر ؟ قـال : أمـك ، قلت : من أبر ؟ قال : أباك ثم الأقرب فالأقرب) [٣] .

وعن ابن عباس أنه أتـاه رجـل فقـال : إني خطبـت امـرأة فأبـت أن تنكحني ، وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه ، فغـرت عليهـا فقتلتـها ، فهـل لي من توبة ؟ قال : أمك حية ؟ قال : لا ، قـال : تـب إلى الله عـزَّ وجـلّ، وتقرب إليه ما استطعت . فذهبت فسألت ابن عبـاس : لم سـألته عـن حيـاة أمه ؟ فقال : إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عزَّ و جـلّ مـن بـر الوالـدة [٤].

[الأدب المفرد: ١٤]

---

[٣] رواه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود والترمذي .

[٤] رواه الطبري وعبد الرزاق والخرائطي .

السارق و المرأة الصالحة !! ...

حكي أن سارقاً دخل حجرة رابعة العدوية – رحمها الله – فأخذ شيئاً من متاعها ، فلما قصد الخروج لم يجد سبيلاً ، فعاد ووضع المتاع، فوجد سبيلاً ، هكذا فعل ثلاثاً ، فنودي : إنا نحفظ بيتها ، والله خير حافظاً.

[محاسن الإسلام :٦٤]

لو أن فاطمة بنت محمد سرقت ...

حدث في عهد رسول الله ﷺ أن امرأة مخزومية سرقت قطيفة وحلياً ، فوجب عليها الحد ، فجاء أسامة بن زيد ﷺ يشفع فيها عند رسول الله ﷺ لما يلحق بأهلها العار إذ أقيم عليها الحد ، فأنكر رسول الله ﷺ شفاعة أسامة ، وقال له : أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام ، فخطب الناس ، فقال : إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف ، تركوه ، وإذا سرق الضعيف ، أقاموا عليه الحد ، وأيم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " [1] .

---

[1] متفق عليه .

من أي جنس هؤلاء ؟ ...

روى ابن الجوزي رحمه الله : عن علي – ﷺ – أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث إليه بخميلة ووسادة أدم ، حشوها ليف ، ورحيين [١] ، وسقاء وجرتين، فقال علي لفاطمة ذات يوم : والله سنوتُ [٢] حتى اشتكيت صدري ، و قد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه ، فقالت : وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يداي ، فأتت النبي ﷺ فقال : ما جاء بك وما حاجتك أي بنية ؟ قالت : جئت لأسلم عليك واستحت أن تسأله فرجعت ، فقال : ما فعلت ؟ قالت : استحييت أن أسأله . فأتياه جميعاً ، فقال علي : يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري ، وقالت فاطمة : لقد طبخت حتى مجلت [٣] يداي وقد جاءك الله عزَّ وجلَّ بسبي وسعةٍ فأخذ منا فقال : " والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ، ولكني أبيع وأنفق عليهم أثمانهم " . فرجعا وأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما ، إذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما ، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما ، فثارا [٤] .

فقال : مكانكما ، ثم قال : ألا أخبركما بخير مما سألتماني ؟ قالا : " بلى ، قال : كلمات علمنيهن جبريل ، تسبحان في دبر كل صلاة عشراً ، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً ، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً

---

(١) رحيين : حجري الطاحونة .

(٢) سنوتُ : أخرجت الماء من البئر بواسطة الدلو ونحوه .

(٣) مجلت : تقطعت من العمل .

(٤) فثارا : أي قاما منتبهين .

وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين . قال : فوالله ما تركتهن منذ علمينهن رسول الله ﷺ[1] .

[صفة الصفوة :٢/١٠]

زفاف ينفق فيه ما لا ينفق بغيره ...

(بوران) هي بنت الحسن بن سهل ، من أكمل النساء أدباً وأخلاقاً قيل : اسمها خديجة وعرفت ببوران ، وكان المأمون قد تزوجها لمكان أبيها منه . وليس في تاريخ العرب زفاف أنفق فيه ما أنفق في زفافها .

احتفل أبوها وعمل من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله في عصر من العصور ، وكان ذلك (بفم الصلح) وانتهى أمره إلى أن نثر على الهاشميين والقواد والوجود بنادق مسك فيها رقاق بأسماء ضياع وأسماء جوارٍ وصفات دواب وغير ذلك !!

فكانت البندقة [2] إذا وقعت في يد الرجل فتحها فيقرأ ما في الرقعة ، فإذا علم ما فيها مضى إلى الوكيل المرصد لذلك فيدفعها إليه ويتسلم ما فيها ؛ سواء كان ضيعةً أو ملكاً آخر أو فرساً أو جارية أو مملوكاً !! [3] .

ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر ، وأنفق على المأمون وقواده وجميع أصحابه وسائر من كان

---

(١) للتوسع عن الحياة التي عاشها الإمام علي ﷺ من زهد وورع ..يراجع كتابنا الأخلاق الإسلامية للناشئة .. أ كتابنا : علي بن أبي طالب .. مستشار أمين للخلفاء الراشدين .

(٢) البندق : الذي يرمى به ، الواحدة بندقة والجمع بنادق .

(٣) للتوسع أكثر حول التبذير والإسراف في العهد العباسي يراجع كتابنا المسيرة التاريخية لتطبيق الزكاة ، العهد العباسي .

معه من أجناده وأتباعه ، وكانوا خلقاً لا يحصى ، حتى على الجمالين والمكارية والملاحين وكل من ضمه عسكره ، فلم يكن في العسكر من يشتري شيئاً لنفسه ولا لدوابه .

وذكر الطبري في تاريخه [1] أن المأمون أقام عند الحسن تسعة عشر يوماً يُعَدُّ له في كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج إليه ، وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألفَ ألف درهم ، وأمر له المأمون عند منصرفه بعشرة آلاف ألف درهم ، وأقطعه (فم الصلح) فجلس الحسن وفرق المال على قواده وأصحابه وحشمه .

توفيت بوران سنة ٢٧١هـ ، ٨٨٤م

[فوات الوفيات : ٢٨٧/١]

النظر إلى الوالدين حجة مبرورة ...

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من رجل بار ينظر إلى والديه – أو والدته – نظرة رحمة إلا كتب الله تلك النظرة حجة متقبلة مبرورة . " **قالوا : يا رسول الله ، وإن نظر في اليوم مائة مرة ؟ قال : " الله عزَّ وجلَّ أكبر من ذلك "** [2] .

إن لها حقاً عليك يا رجل ...

[1] تاريخ الطبري : ٢٧٢/١٠ .

[2] رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ورقمه / ٢١٥ / .

روى الحافظ ابن الجوزي – رحمه الله – عن محمد بن معين الغفاري قـال: أتت امرأة عمر بن الخطاب – ﷺ فقالت : يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار و يقوم الليل ، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله .

فقال لها : نعم الزوج زوجك ، فجعلت تكرر عليه القول وهو يقرر عليهـا بالجواب ، فقال له كعب الأسدي : يا أمير المؤمنين ، هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه ، فقال له عمر : كما فهمت كلامها فاقض بينهما .

فقال كعب : علي بزوجها . فأتي بـه ، فقـال لـه : إن امرأتـك هـذه تشكوك ، قال : أفي طعام أو شراب ؟ قال : لا ، فقالت المرأة :

يا أيها القاضـي الحكـيم أرشـده ألهى خليلي عن فراشـي مـسجده
زهـــده في مـــضجعي تعبـــده نهـــاره وليلـــه . . . مـــا يرقـــده
ولست في أمر النـساء أحمـده

فقال زوجها :

زهـدت في فراشـها وفي الحجـل إني امرؤ أذهلـني مـا قـد نـزل
في سورة النمل وفي الـسبع الطـول وفي كتـاب الله تخويـف جلـل

فقال كعب الأسدي :

إن لها حقـاً عليـك يـا رجـل تـصيبها في أربـع لمـن عقـل
فأعطها ذاك ودع عنـك العلـل

ثم قال : إن الله عزَّ وجلَّ قد أحلَّ لك من النساء مـثنى وثـلاث وربـاع، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك ، و لها يـوم وليلـة ، فقـال عمـر :

والله ما أدري من أي أمريك أعجب ، أفمن فهمك أمرهـــا ، أم مـــن حكمـــك بينهما ، اذهب فقد وليتك قضاء البصرة .

[الأذكياء : ٢٣٨]

لطف الرسول بعائشة ...

عن النعمان بن بشير قال : استأذن أبو بكر على الـــنبي ﷺ فـــإذا عائـــشة ترفع صوتها عليه ، فقال : يا بنت فلانة ! ترفعين صـــوتك علـــى رســـول الله ؟ فحال النبي ﷺ بينه وبينها ، ثم خرج أبو بكر فجعل الـــنبي يترضـــاها وقـــال : " ألم تريني حلت بينك وبين الرجل " ؟ ثم أســـتأذن أبـــو بكـــر مـــرة أخـــرى ، فسمع تضاحكهما ، فقـــال : أشـــركاني في ســـلمكما كمـــا أشـــركتماني في حربكما " [1] !! ..

[سير النبلاء (جزء خاص بترجمة عائشة): ٦٣]

مع الحور العين ...

قد تكرر في القرآن وصـــفهنَّ ، ووردت الأخبـــار بزيـــادة شـــرح فيـــه . روى أنس أن رسول الله ﷺ قال : " غدوة في ســـبيل الله أوروحـــة خـــير مـــن الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمـــه مـــن الجنـــة خـــير مـــن الدنيا وما فيها ، ولو أن امـــرأة مـــن نـــساء أهـــل الجنـــة اطلعـــت إلى الأرض

---

[1] رواه أبو داود النسائي وأبو نعيم .

لأضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها " (١) يعني الخمار .

وقال النبي ﷺ : " إن في الجنة سوقاً ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها ، وإن فيها لمجتمع الحور والعين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها ، يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، فطوبى لمن كان لنا وكنا له " (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ (٣) .

قال : " ينظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب ، وإنه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك " (٤) .

وقال أنس : قال رسول الله ﷺ : " لما أسري بي دخلت في الجنة موضعاً يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر ، فقلن : السلام عليك يا رسول الله، فقلت : يا جبريل ما هذا النداء ! قال : هؤلاء المقصورات في الخيام ، استأذن بِهنَّ في السلام عليك فأذن لهن ، فطفقن يقلن : نحن الراضيات فلا نسخط

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) سورة الرحمن : / ٥٨ / .

(٤) رواه أبو يعلى وأحمد وابن المبارك .

أبداً ، ونحن الخالدات فلا نظعن أبداً ، وقرأ رسول الله قوله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾ [٤] " [٥] .

الفصيحة البليغة: أم الخير ...

قال ابن عبد ربه : عن عبد الله بن عمر الغساني عن الشعبي ، قال: كتب معاوية إلى وليه بالكوفة أن يحمل إليه (أم الخير) بنت الحريش ابن سراقة البارقي برحلها ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيراً ، وبالشر شراً بقولها فيه ، فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه ، فقالت : أما أنا فغير زائغة عن طاعة ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري .

فلما شيعها وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير ، مالي عندك ؟ قالت : يا هذا لا يطمعنك برك بي أن أسرك بباطل ، ولا يؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق . فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرم ، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير ، بحق ما دعوتني بهذا الاسم ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، مه ، فإن بديهة السلطان مدحضة لما يجب عمله ، ولكل أجل كتاب ، قال : صدقت فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنت في مسيرك؟ قالت : لم أزل

---

[٤] سورة الرحمن : / ٧٢ / .

[٥] رواه الترمذي (بلفظه) ورواه أبو الشيخ .

في خير وعافية حتى صرت إليك ، فأنا في مجلس أنيق عند ملك رفيق ، فقال معاوية : بحسن نيتي ظفرت بكم ، قالت : يعيذك الله من دحض المقال وما تردي عاقبته .

قال : ليس هذا أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمار بن ياسر رضي الله عنه ؟ ، قالت : لم أكن زورته قبل ولا رويته بعد ، وإنما كانت كلمات قلتها عند الصدمة ، فالتفت معاوية إلى جلسائه وقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ فقام رجل وقال : كأني بها وعليها برد زبيدي كثيف بين النسيج ، وهي على جمل ورأمك وقد أحيط حولها ، وبيدها سوط منتشر الضفيرة ، وهي كالفحل يهدر في شقشقه [1] تقول : يا أيها الناس ، اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، إن الله قد أوضح لكم الحق، وأبان الدليل ، وبين السبيل ، ورفع العلم، ولم يدعكم في عمياء مدلهمة، فأين تريدون رحمكم الله ؟ أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم فراراً من الزحف، أم رغبة عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحق ؟ أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [2]

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول : اللهم عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وبيدك يا رب أزمة القلوب ، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله ، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل والرضي التقي ، والصديق الأكبر ، إنها

---

(1) الشقشقة : شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج .

(2) سورة محمد : / ٣١ / .

إحنٌ بدرية [1] ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أحدية وثب بها واثب حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس ، ثم قالت :

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ [2]

صبراً يا معشر المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم وثباتٍ من دينكم ، فكأني بكم غداً ولقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة ، لا تدري أين يسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وباعوا البصيرة بالعمى، وعما قليل ليصبحن نادمين حتى تحل بهم الندامة فيطلبون الإقالة ولات حين مناص ، إنه من ضل عن الحق وقع في الباطل ، ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسعوا لها ، فالله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، ويظهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان ، فإلى أين تريدون رحمكم الله ؟ عن ابن عم رسول الله ﷺ وصهره وأبي سبطيه ؟ خلق من طينته وتفرع من نبعته، وخصه بسره ، وجعله باب مدينته ، وأعلم بحبه المسلمين ، وأبان ببغضه المنافقين ، هاهو ذا مفلق الهام ، ومكسر الأصنام، صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزي بدر وأفنى أهل أحد وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن ، فيالها من وقائع زرعت في القلوب نفاقاً ، وردة وشقاقاً ، وزادت المؤمنين إيماناً ، وقد

---

[1] إحنٌ : أحقاد ، وبدرية : نسبة إلى معركة بدر .

[2] سورة التوبة : / ١٢ / .

أجتهدت في القول ، وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أم الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي و لو قتلتك ما حرجت في ذلك [1] .

فقالت : والله ما يسوءني أن يجري قتلي على يدي من يسعدني الله بشقائه .

ثم راح يسألها عن : عثمان ، وعن طلحة بن عبد الله ، وعن الزبير رضي الله عنهم ، وهي تجيبه بكل ثقة ووضوح ، ثم طلبت أن يعفيها من الأسئلة ، ثم أمر لها بجائزة رفيعة ، وردها إلى قومها مكرمة .

[بتصرف من أخبار النساء في العقد الفريد : ٢٦]

---

[1] أي لما وقع عليّ اللوم .

من الدستور الإلهي ...

قال الله تعالى في الحياة الزوجية :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [1]

وقال أيضاً :

﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [2] .

وقال أيضاً : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [3]

وقال أيضاً :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [4]

وقال أيضاً : ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [5] .

---

(1) سورة الروم : / ٢١ / .

(2) سورة البقرة : / ٢٣٧ / .

(3) سورة النساء : / ٣٥ / .

(4) سورة البقرة : / ٢٢٨ / .

(5) سورة النساء : / ١٢٨ / .

بر الوالدين – أو الوالدة – المشركين ! ...

روى الإمام البخاري بسنده المتصل إلى أسماء بنت أبي بكر قالت : أتتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ فسألت النبي : أفأصلها ؟ قال : نعم ، قال ابن عيينة فأنزل الله تعالى فيها قوله :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [1]

وعن سعد بن أبي وقاص قال : نزلت فيّ أربع آيات من كتاب الله تعالى ، كانت أمي حلفت ألاّ تأكل ولا تشرب حتى أفارق محمداً ﷺ فأنزل الله عزَّ وجلَّ :

﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [2]

والثانية : إني كنت أخذت سيفاً أعجبني ، فقلت : يا رسول الله هب لي هذا فنزلت : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾ [3]

والثالثة : أني مرضت فأتاني رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله إني أريد أن أقسم مالي أفأوصي بالنصف ؟ فقال : لا فقلت : الثلث ؟ فسكت فكان الثلث بعده جائزاً

الرابعة : إني شربت الخمر مع قوم من الأنصار فضرب رجل منهم أنفي بلحيي جمل ، فأتيت النبي ﷺ ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ تحريم الخمر .

[الأدب المفرد : ٢١]

---

(١) سورة الممتحنة : / ٨ / .

(٢) سورة لقمان : / ١٥ / .

(٣) سورة الأنفال : / ١ / .

المأمون وزبيدة زوجة الرشيد ...

روى (ابن خلكان) ما يلي :

أرسلت زبيدة زوجة هارون الرشيد إلى الشاعر أبو العتاهية تطلب منه أن يقول على لسانها أبياتاً تستعطف بها الخليفة المأمون ، فأرسل أبو العتاهية هذه الأبيات :

ألا إن صرف الدهر يدني ويبعد ... ويمتع بالآلاف طراً ويفقد
أصابت بريب الدهر إن هلكت يد ... فسلمت للأقدار والله أحمد
وقلت لريب الدهر إن هلكت يد ... فقد بقيت والحمد لله لي يد
إذا بقي المأمون لي فالرشيد لي ... ولي جعفر لم يفقدا ومحمد

فَسيَّرَتْها له ، فلما قرأها المأمون استحسنها وسأل عن قائلها ، فقيل له (أبو العتاهية) فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعطف على زبيدة وزاد في تكرمتها والبر بها .

[وفيات الأعيان : ٢/٣١٦]

ليلى التي مات الخفاجي من حبها ...

بينما كان الحجاج في مجلس ومعه عنبسة بن سعيد ، إذ دخل الحاجب فقال : امرأة بالباب ، فقال له الحجاج : أدخلها ، فدخلت، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض، فجاءت حتى قعدت بين يديه ، فنظرت فإذا امرأة قد أسنت ، حسنة الخلق ، ومعها

جاريتان لها ، وإذا هي (ليلى الأخيلية) فسألها الحجاج عن نسبها ، فانتسبت له ، فقال لها : يا ليلى ما أتى بك ؟

فقالت : إخلاف النجوم وقلة الغيوم ، وكلب البرد ، وشدة الجهد، وكنت لنا بعد الله الرفد .

فقال لها : صفي لنا الفجاج . فقالت : الفجاج مغبرة والأرض مقشعرة ، والمبرك معتل ، وذو العيال مختل ، والهالك للمقل ، والناس مسنتون ورحمة الله يرجون ، وأصابتنا سنون مجحفة مبلطة ، ولم تدع لنا هبعاً ولا ربعاً ولا عاطفة ولا ناطفة ، أذهبت الأموال ومزقت الرجال ، وأهلكت العيال ، ثم قالت : إني قلت في الأمير قولاً ، قال : هات فأنشأت تقول :

أحجاج لا يفل سلاحك إنما ال ... منايا بكف الله حيث يراها
أحجاج لا تعط العصاة مناهم ... ولا الله يعطي للعصاة مناها
إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة ... تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام إذا هز القناة سقاها
سقاها فرواها بشرب سجاله ... دماء رجال حيث مال حماها
إذا سمع الحجاج رز كتيبة ... أعد لها قبل النزول قراها
أعد لها مصقولة فارسية ... بأيدي رجال يحلبون صراها
فما ولد الأبكار والعون مثله ... بنجد ولا أرض يجف ثراها

فقال الحجاج : قاتلها الله ما أصاب صفتي شاعر منذ دخلت العراق غيرها ، ثم نادى غلامه وقال له : اذهب فاقطع لسانها !! فأمر بإحضار

الحجام ، فالتفتت إليه فقالت : ثكلتك أمك ، أما سمعت ما قال ، إنما أمرك أن تقطع لساني بالصلة ، ثم عادت إلى الحجاج تقول :

حجاج أنت الذي ما فوقه أحد … إلا الخليفة والمستغفر الصمد
حجاج أنت شهاب الحرب إن لقحت … وأنت للناس نور في الدجى يقد

ثم قال الحجاج لجلسائه : أتدرون من هذه ، قالوا : لا والله أيها الأمير ، إنا لم نرقط أفصح لساناً ولا أحسن محاورة ولا أملح وجهاً ولا أرصن شعراً منها .

قال: هذه (ليلى الأخيلية) التي مات (توبة الخفاجي) من حبها ، ثم التفت إليها فقال : أنشدينا بعض ما قال فيك توبة ، فقالت : نعم أيها الأمير، و هو الذي يقول :

فهل تبكينْ ليلى إذا مت قبلها … وقام على قبري النساء النوائح
كما لو أصاب الموت ليلى بكيتها … وجاد لها دمع من العين سافح
وأغبط من ليلى بما لا أناله … ألا كل ما قرت به العين صالح
ولو أن ليلى الأخيلية سلمت … علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا … إليها صدىً من جانب القبر صائح

[جواهر الأدب : ١/ ٤٠]

ولا تسرفوا ...

قال الطب الحديث : من مضار الإسراف بالأطعمة :

- السمنة : وهو المرض الخطير الذي نجده غالباً في أبناء الطبقات الغنية ، وعند أصحاب الوظائف الكسولة ، ويحصل نتيجة الإكثار من الطعام ، وخاصة السكاكر والدهون ، وبشكل خاص عند الأفراد الذين لديهم استعداد وراثي . والسمنة في الواقع مرض بشع يحد من إمكانيات الفرد ونشاطه بشكل كبير ، كما يؤهب أو يشارك بعض الأمراض الخطيرة كاحتشاء العضلة القلبية وخناق الصدر ، والداء السكري ، وفرط توتر الدم وتصلب الشرايين ، وكل هذه الأمراض هي اليوم شديدة الشيوع في المجتمعات التي مالت إلى رفاهية الطعام والشراب .

- نخر الأسنان : وهو أيضاً من الأمراض الشائعة بسبب الإكثار من تناول السكاكر الصناعية ، خاصة التي تسمح بتخمرها للعصيات اللبنية بالنمو في جوف الفم .

- الحصيات الكلوية : وهي أكثر حدوثاً عند الذين يعتمدون بشكل رئيسي على تناول اللحوم والحليب والجبن .

- تصلب الشرايين : وهو داء خطير يشاهد بشكل ملحوظ عند الذين يتناولون كميات كبيرة من الدسم ، حيث يصابون بفرط تدسم الدم.

- النقرس (داء الملوك) : وهو ألم مفصلي يأتي بشكل هجمات عنيفة، وخاصة في مفاصل القدم والإبهام ، ويشاهد أكثر عند الذين يتناولون كميات كبيرة من اللحوم ، ويجب ألاّ ننسى أن نسبة كبيرة من شعوب البلاد المتخلفة لا يحصلون على راتبهم الغذائي ، وأنهم مصابون بواحدة أو أكثر من أمراض سوء التغذية وخاصة الأطفال ، إذ تشير التقديرات العالمية أن سوء التغذية يشكل السبب الأول غير المباشر للوفيات عند الأطفال ... وصدق الله تعالى حين قال :

﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [1]

[مع الطب في القرآن الكريم : ١٣٢]

امرأة توقف حرب قيس وذبيان !! ...

قال الحارث بن عوف لخارجة بن سنان : أترى أني أخطب إلى أحد فيردني ؟ قال : نعم ، قال : ومن هو ؟ قال : أوس بن حارثة بن لام الطائي، قال : اركب بنا إليه ، فركبنا إليه حتى أتينا أوس بن حارثة في بلاده ، فوجدناه في فناء منزله ، فلما رأى الحارث بن عوف قال : مرحباً بك يا حارث ، ما الذي جاء بك ؟ قال : جئت خاطباً ، قال : لست هناك ، فانصرف ولم يكلمه ، فدخل أوس على امرأته مغضباً ، فقالت له: من الرجل الذي سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه ؟

---

(1) سورة الأعراف : / ٣١ / .

فقال: ذلك سيد العرب الحارث بن عوف ، فقالت : فمالك لا تستنزله؟ قال : إنه استهجنني ، قالت : وكيف ؟ .

قال : لأنه جاءني خاطباً ، قالت : ألست تزعم أنه سيد العرب ؟ قال: نعم ، قالت : إذا لم تزوج سيد العرب في زمانه فمن تزوج قال: قد كان ذلك ، قالت : فتدارك ما كان منك ، قال : بماذا ؟ قالت : بأن تلحقه فترده ، قال : وكيف ؟ وقد فرط مني إليه ما فرط ، قالت : تقول له: إنك لقيتني وأنا مغضب بأمر لم تقدم فيه قولاً فلك المعذرة فيما فرط مني ، فارجع ولك عندي كل ما طلبت ، فركب في أثرهما ، قال خارجة : فوالله إنا لنسير إذ حانت مني التفاتة فرأيته ، فقلت للحارث : هذا أوس في أثرنا ، فقال : ما أصنع به ؟ قلت : امضي . فلما رآنا لا نقف قال : يا حارث أربع علي ، فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام ، فرجع مسروراً .

ودخل أوس منزله فقال لها : أي بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب جاءني خاطباً ، وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل فإن في خلقي رداءة وفي لساني حدة ، ولست بابنة عمه فيراعي رحمي ولا هو بجار لك في البلد فيستحي منك ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي بذلك مسبة .

قال لها : قومي بارك الله فيك ، ثم دعا بنته الأخرى فقال لها ذلك، فأجابته بمثل جواب الكبيرة ، ودعا الثالثة وكانت أصغرهن سناً ، فعرض عليها الأمر ، فقالت : والله إني الجميلة وجهاً الرفيعة خلقاً ، الحسنة رأياً ، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير ، فقال لها : بارك الله فيك، فخرج إليه

وقال له : زوجتك بابنتي بهنسة ، قال : قد قبلت نكاحها . وأمر أمها أن تهيئها له وتصلح شأنها ، ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله إياه ، ثم بعثها إليه ، فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج إلي فقلت له : أفرغت من شأنك ؟ فقال : لا والله ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : لما مددت يدي إليها قالت : مه أعند أبي وإخوتي ؟ هذا والله لا يكون . ثم أمر بالراحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ما شاء الله ، ثم قال لي : تقدم ، فتقدمت فعدل عن الطريق ، فما لبث أن لحقني فقلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله ، قلت : ولم ؟ قال : قالت : تفعل بي كما يفعل بالأمة السبية الأخيذة ، لا والله حتى تنحر الجزر والغنم ، وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي ، فقلت: والله إني لأرى همة وعقلاً، فقال : صدقت ، قال : وأرجو الله أن تكون المرأة بالنجيبة .

فوردنا إلى بلادنا ، فأحضر الإبل والغنم ونحر وأولم ثم دخل عليها وخرج إلي ، فسألته فقال : لما دخلت عليها أريدها قالت : والله لقد ذكرت لي من الشرف بما ليس فيك ، قلت : ولم ذاك ؟ قالت : أتتفرغ لنكاح النساء ، والعرب يقتل بعضهم بعضاً - وكان ذلك أيام حرب قيس وذبيان - قلت : فماذا تقولين ؟ .

قالت : اخرج إلى القوم فأصلح بينهم ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك ما تريد ، فقلت : والله إني لأرى عقلاً ورأيا سديداً ، قال : فاخرج بنا ، فخرجنا حتى أتينا القوم ، فمشينا بينهم بالصلح ، فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية ، فحملنا عنهم الديات، فكانت ثلاثة آلاف

بعير ، فانصرفنا بأجمل ذكر ، ثم دخل عليها فقالت له : أما الآن فنعم فأقامت عنده في ألذ عيش وأطيبه !! .

[صفوة الأخبار ومنتهى الآثار : ٢٢٢]

هكذا تاب داود الطائي !! ...

كان بدء توبة (داود الطائي) أنه دخل المقبرة ، فسمع امرأة عند قبر وهي تقول :

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه   لقاؤك لا يرجى وأنت قريب
تزيد بلى في كل يوم وليلة   وتسلى كما تبلى وأنت حبيب

[مختصر التوابين : ٢١٢]

رأي ...

روى العلامة الأبشيهي : قيل إن عيسى عليه السلام لقي إبليس يسوق أربعة أحمرة عليها أحمال ، فسأله ، فقال : أحمل تجارة وأطلب مشترين ، فقال : ما أحدها ؟ قال : الخمور ، قال : ومن يشتريه ؟ قال السلاطين ، قال : فما الثاني ؟ قال : الحسد ، قال : فمن يشتريه ؟ قال: العلماء ، قال : فما الثالث ؟ قال : الخيانة ، قال : فمن يشتريها ؟ قال : التجار ، قال : فما الرابع ؟ قال : الكيد ، قال : فمن يشتريه ؟ قال : النساء

وقال الشاعر :

تمتـــع بهـــا ماســـاعفتك ولاتكـــن جزوعاً إذا بانـــت فـــسوف تـــبين
وخنها وإن كانت تفي لـــك إنها على قدم الأيـــام ســـوف تخـــون
وإن هـــي أعطتـــك الليـــان فإنها لغـــيرك مـــن طلابها ســـتلين
وإن حلفت أن ليس تـــنقض عهـــدها فلـــيس لمخـــضوب البنـــان يمـــين
وإن سكبت يوم الفـــراق دموعهـــا فلـــيس لعمـــر الله ذاك يقـــين

ورأي آخر ...

صفات من يستحب الـــشرع خطبتـــها جلوتها لأولي الألبـــاب مختـــصرا
صـــبية ذات ديـــن زانـــه أدب بكر ولو حكمت في نفـــسها القمـــرا
غريبة لم تكن من أهـــل خاطبـــها تلك الصفات التي أجلـــوا لمـــن نظـــرا
فيها أحاديث جاءت وهـــي ثابتـــة أحاط علماً بها من في العلـــوم قـــرا

إذاً أيهما أفضل ؟!! .

إن النســاء شــياطين خلقــن لنــا نعوذ بــالله مــن شــر الــشياطين

لكن هناك رأي آخر :

إن النســاء ريــاحين خلقــن لنــا وكلنــا يــشتهي شــم الريــاحين

إذاً اختر أنت أي الرأيين؛ لا تكن متشائماً إلى ذاك الحد الأول .

والله أعلم ...

فمات عشقاً ، فكان ماذا ؟ ...

روى ابن القيم رحمه الله عن أبي بكر الأنبــاري عــن أبي اليــسر قــال : دخلت منــزل نخاس لشراء جارية ، فسمعت في بيــت بــإزاء البيــت جاريــة تقول :

وكنا كــزوج مــن قطــا في مفــازة لدى خفض عيش معجــب مونــق رغــد

أصــابهما ريــب الزمــان فــأفردا ولم أر شيئاً قط أوحــش مــن فــرد

فقلت للنخاس : اعرض علي هــذه المنــشدة ، فقــال : إنهــا حزينــة ، فقلت: ولم ذلك ؟ قال : اشتريتها من ميراث فهــي باكيــة علــى مولاهــا ، ثم لم ألبث أن أنشدت :

وكنا كغصني بانة وســط دوحــة نشم جنا الجنات في عيــشة رغــد

فأفرد هذا الغصن مــن ذاك قــاطع فيا فــردة باتــت تحــن إلى فــرد

قال أبو السمراء : فكتبت إلى عبد الله بن طاهر بخبرها ، فكتب إلي : أن ألقي عليها هذا البيت ، فإن أجازته فاشترها ولو كانت بخراج خراسان . والبيت :

قريب صد ذا بعيد وَصل جعلت منه لي ملاذا

فقالت :

فعاتبوه فزاد شوقاً فمات عشقاً فكان ماذا ؟؟

قال أبو السمراء : فاشتريتها بألف دينار وجعلتها إليه ، فماتت في الطريق ، فكانت إحدى الحسرات .

[أخبار النساء :١١٦]

كيف نصلح الصغار ؟ ...

هناك منهج يعتمد على شيئين أساسين :

١- التلقين ٢- التعويد

ونقصد بالتلقين الجانب النظري في الإصلاح والتربية ، ونقصد بالتعويد الجانب العلمي في التكوين والإعداد ، ولما كانت قابلية الطفل وفطرته في التلقين والتعويد أكثر قابلية من أي سن آخر أو من أية مرحلة أخرى ، كان لزاماً على المربين من آباء وأمهات ومعلمين ، أن يركزوا على تلقين الولد الخير ، وتعويده إياه منذ أن يعقل ويفهم حقائق الحياة ، وقد قال الغزالي : والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ،

فإن عُود الخير وعُلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة. ومن الأمثلة على ذلك :

- أمر رسول الله ﷺ المربين أن يلقنوا أولادهم كلمة (لا إله إلا الله) وقد روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : "افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله " هذا جانب نظري ، أما العملي : فهو أن يبين له المربي آثار ذلك في الزهرة والسماء والبحر والأرض وغيرها ليؤمن بقرارة نفسه وأعماقه ووجدانه أنه لا خالق ولا مبدع ولا إله إلا الله سبحانه) .

- أمر رسول الله ﷺ المربين أن يلقنوا أولادهم ركن الصلاة وهم في سن السابعة : (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع) [1] .

هذا جانب نظري ، أما العملي : فهوتعليم الولد أحكامها ، وعدد ركعاتها ، وكيفيتها ، ثم تعويده إياها بالملاحقة والمثابرة ، وأدائها في المسجد جماعة، حتى تصبح في حقه خلقاً وعادة .

- أمر رسول الله ﷺ المربين أن يلقنوا أولادهم أحكام الحلال والحرام: " ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي فذلك وقاية لهم ولكم من النار " [2] .

هذا هو الجانب النظري ، أما العملي : فهو ترويض الولد وتدريبه على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، فإذا وجد المربي الولد فعل منكراً أو

---

[1] رواه الحاكم وأبو داود .

[2] رواه ابن المنذر ، وابن جرير ، عن ابن عباس .

اقترف ذنباً ... من سرقة أو شتيمة ... يحذره ويقول له : إن هذا منكر وهو حرام ... وإن وجده فعل خيراً أو صنع معروفاً من صدقة أو تعاون ... يرغبه ويقول له : إن هذا معروف وهو حلال .

- أمر رسول الله ﷺ المربين بأن يلقنوا أولادهم محبة نبيهم ، ومحبة آل بيته وأصحابه وتلاوة القرآن الكريم : " أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم وحب آل بيته تلاوة القرآن " [٣] .

هذا هو الجانب النظري ، أما العملي : فهو أن يجمع المربي أولاده ويقرأ عليهم مغازي رسول الله ﷺ وسيرة آل بيته وأصحابه ، وشخصيات القادة والعظماء في التاريخ ، ويعلمهم تلاوة القرآن الكريم.

ولا شك أن تأديب الولد وملاحقته منذ الصغر هي التي تعطي أفضل النتائج ، وأطيب الثمرات ، بينما التأدب في الكبر فيه من المشقة لمن يريد الكمال والأثر .

ومن الأمور الهامة التي ينبغي أن يعلمها المربي في تأديب الولد على خصال الخير ومكارم الأخلاق : اتباع أسلوب التشجيع بالكلمة الطيبة حيناً ، وبمنح الهدايا أحياناً ، واتباع أسلوب الترغيب تارة واستعمال طريقة الترهيب تارة أخرى ، وقد يضطر المربي - أحياناً - أن يلجأ إلى العقوبة الزاجرة إذا رأى فيها مصلحة الولد في تقويم الانحراف والاعوجاج ، ورحم الله القائل :

---

[٣] رواه الطبري عن عليّ .

قـــد ينفـــع الأدب الأولاد في صـــغر ولـــيس يـــنفعهم مـــن بعـــده أدب
إن الغـــصون إذا عدلتـــها اعتـــدلت ولا تلين – ولـــو لينتـــه – الخـــشب

[بتصرف من تربية الأولاد في الإسلام : ٦٨٤/٢]

إن العرب اشتقّت اسم الضرتين من الضرّ ...

دخل خالد بن صفوان على الخليفة أبي العباس السفاح فوجده خالياً، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أترقب مذ تقلدت الخلافة أن أجدك خالياً فألقي إليك ما أريده .

قال : فاذكر حاجتك .

قال : يا أمير المؤمنين : إني فكرت في أمرك فلم أرَ من هو في مثل قدرك أقل استمتاعاً بالنساء ، وقد ملكت على نفسك امرأة واحدة واقتصرت عليها ، فإن مرضتَّ وإن غابت غبت ، وإن غضبت حرمت! وإنما التلذذ باستطراف الجواري ومعرفة اختلاف أحوالهن ، والاستمتاع بهن، فلو رأيت الطويلة البيضاء ، والسمراء اللفاء ، والصفراء العجزاء، والغنجة الكحلاء ، والمولدات من المدينات ، والملاح من القند هاريات ذوات الألسن العذبة والقدود المهفهفة والثدي المحققة .

وجعل خالد بعذوبة لفظه واقتداره على الوصف يزيد في قوله ، فلما فرغ من كلامه قال له السفاح : يا خالد ما سلك سمعي قط كلام أحسن من هذا ، لقد حرك في ساكناً .

وبقي السفاح مفكراً عامة نهاره ، ثم دخلت عليه زوجته أم سلمة، فلما رأته دائم الفكر ، كثير السهو ، قليل النشاط ، قالت : إني أنكرك، فهل حدث ما تكرهه ؟

فأخبرها بما قاله له ابن صفوان .

فقالت : فما قلت لابن الفاعلة ؟ قال لها : سبحان الله ! رجل نصحني تسبينه ؟!

فخرجت غاضبة ، وأرسلت غلمانها ومعهم العصي وأمرتهم ألاّ يتركوا فيه عضواً صحيحاً .

أما خالد فقد انصرف إلى داره فرحاً ينتظر الهدية من السفاح ، فلم يشعر إلا بالغلمان ، فأهووا على رأسه بالهروات والعصي ، فهرب واختبأ بداره أياماً ، وعرف زلته وكلامه ، لكن بعد أيام دخل عليه غلمان الخليفة وقالوا : أجب أمير المؤمنين ! هنا أيقن بالهلكة ، فلما دخل عليه وسلم ، أومأ إليه أن اجلس فجلس ، ونظر خالد فإذا خلف ظهر السفاح باب عليه ستور قد أرخيت وأحس بحركة خلفه ، ثم قال الخليفة: يا خالد لم أرك منذ أيام ؟ لقد وصفت لي الجواري والنساء ، فأعده علي الآن .

قال خالد : أعلمتك يا أمير المؤمنين أن العرب اشتقّت اسم الضرّتين من الضرّ ، وأن أحدهم لم يكن عنده من النساء أكثر من واحدة إلا كان في جهدٍ وكدٍّ .

قال السفاح : ويحك لم يكن هذا في كلامك ، قال : بلى ، وأخبرتك أن الثلاث من النساء كأثافي [1] القدر تغلي عليهن !! .

قال السفاح : برئت من قرابتي من رسول الله إن كنت سمعت هذا منك في حديث .

قال : بلى ، وأخبرتك أن الأربع من النساء شر مجموع لمن كن عنده ، يهرمنه وينغصن عليه عيشه ، ويشيبنه قبل حينه ، قال السفاح : ويلك تكذبني ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، فتريد قتلي ؟

فسُمع ضحك شديد وراء الستر ، فقال خالد : وأعلمتك أن عندك ريحانة قريش ، وأنه لا يجب أن تطمع نفسك إلى غيرها من النساء.

فسمع من وراء الستار صوتٌ يقول : صدقت والله يا عماه ، لكن أمير المؤمنين غير وبدل ، ونطق عن لسانك بغير ما ذكرته .

وخرج خالد بن صفوان إلى منزله ، فلم يصل إليه حتى وجهت إليه أم سلمة – زوجة السفاح – ثلاثة تخوت فيها أنواع الثياب ، وخمسة آلاف درهم .

---

(1) كأثافي : جمع أثفيه أحد الحجارة الثلاثة التي ترتكز عليها القدر .

[بتصرف من الهفوات النادرة : ١٥٩]

بنت الشاعر ... شاعرة

الرباب بنت امرىء القيس تزوجها الحسين بن علي [(١)] رضي الله عنهما ، وولدت له سكينة بنت الحسين والتي كانت شاعرة أيضاً ، لما استشهد زوجها الحسين في كربلاء رثته رثاءً رائعاً فكان مما قالته :

إن الذي كان نوراً يستضاء به ... بكربلاء قتيل ... غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة ... عنا ، وجنب خسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يغني ويأوي إليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركم ... حتى أغيب بين الرمل والطين

[طرائف النساء : ٤٣٢]

(١) للتوسع أكثر عن حياة الحسين ﷺ يراجع مقالنا ومضات من حياة الشهيد الحسين،في مجلة الثقافة الإسلامية عدد /٤٤/ ص /٨٣/وما بعدها .

يا حبيب القلب ما لي سواكا !!

قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى : بلغني أن بالجبل المقطم جارية متعبدة [٢] فأحببت أن أزورها ، فلقيت جماعة من المتعبدين ، فسألتهم عنها، فقالوا : أتسأل عن المجانين وتترك العقلاء !! .

فقلت : دلوني عليها ، فقالوا : تراها تجوز بنا تقع مرة وتقوم مرة ، تصيح مرّة وتسكت مرّة ، وتبكي مرّة ، وتضحك مرة ، تراها في الوادي الفلاني ، فخرجت في طلبها ، فلما أشرفت عليها سمعت لها صوتاً ضعيفاً وهي تقول :

يا ذا الذي أنس الفؤاد بذكره ... أنت الذي ما إن سواه أريد
يا منيتي دون الأنام وبغيتي ... يا من له كل الأنام عبيد
تفني الليالي والزمان بأسره ... وهواك غض في الفؤاد جديد

قال ذو النون : فاتبعت الصوت ، فإذا أنا بجارية وهي جالسة على صخرة عظيمة ، فسلمت عليها ، فردت عليَّ السلام ، قالت : يا ذا النون مالك والمجانين ؟ فقلت لها : أمجنونة أنت ؟ فقالت : لو لم أكن مجنونة لما نودي علي بالجنون ، قلت : وما الذي جننك ؟ قالت : يا ذا النون حبه خبلني ووجده أقلقني وشوقه تيمني ، فقالت : وأين محل الشوق منك ؟ فقلت : يا ذا النون ، الحب في القلب ، والشوق في الفؤاد والوجد في السر، ثم بكت بكاءً شديداً حتى غشي عليها ، فلما أفاقت قالت : أواه من

[٢] للتوسع عن حقيقة العبودية يراجع كتابنا : العبودية عن ابن قيم الجوزية ـــ رحمه الله تعالى ـــ .

فرط المحبة ، يا ذا النون هكذا موت المحـبين ، ثم صـاحت صـيحة عظيمـة ، وسقطت إلى الأرض ، فحركتها فإذا هي ميتة رحمة الله عليها :

يا حبيـب القلـب مـالي سـواك ... ارحم اليـوم مـذنباً قـد أتاكـا

أنت سـؤلي ومنـيتي وسـروري ... قد أبى القلـب أن يحـب سـواكا

يـا رجـائي وغـايتي واعتمـادي ... طال شوقي مـتى يكـون لقاكـا

ليس قصدي مـن الجنـان نعيمـاً ... غـير أني أريـدها لأراكـا

يا حبيب القلـوب جـد لي بعفـوٍ ... وأنلني يـا نـور عـيني رضـاكا

أنا أهواك مـا حييـت وإن أمـت ... فبعـدي يـا فـوز مـن يهواكـا

ليس لي عنك مـا حييـت بـراح ... وفـؤادي علـى المـدى يرعاكـا

كل من في حمـاك يهـواك لكـن ... أنا وحدي بكـل مـن في حماكـا

جئت يـا منـيتي إليـك ومـا لي ... غـير ذلي إليـك لا سـواكا

فـذلي وانكـساري ولـوعتي ... وافتقـاري وفـاقتي لغناكـا

هب لي الفـوز واعـفُ عـني لأني ... في البرايـا أصـبحت في أسـراكا

لـيس قربـة إليـك مـن الخلـق ... سوى المـصطفى الـذي ناجاكـا

أحمـد المرتـضى شـفيع البرايـا ... سيد الكـون خـير مـن ناداكـا

فعليـه صـلاة في كـل وقـت ... كلمـا حـرك النـسيم الأراكـا

[الروض الفائق : ١٨٨]

ففيهما فجاهد ...

عن عبد الله بن عمرو قال : جـــاء رجـــل إلى الـــنبي ﷺ يريـــد الجهـــاد فقال: " أحيٌّ والداك ؟ " قال : نعم ، قال : " ففيهما فجاهد " .

[الأدب المفرد: ١٩]

من أطاعهنّ شرّ منهنّ ...

قال الجاحظ : حدثني تمام بن أبي نعيم قال : كان لنا جـــار ، وكـــان لـــه عرس ، فجعل طعامه كله فالوذق [١] فقيل له : إن المؤونة تعظم .

قال : أحتمل ثقل الغرم بتعجيـــل الراحـــة ، لعـــن الله النـــساء ، و مـــا أشك أن من أطاعهن شر منهن ! .

[البخلاء : ١٥٥]

امرأة فاجرة تغري أحد التابعين !! ...

روى ابن الجوزي رحمه الله : أمـــر قـــوم امـــرأة ذات جمـــال بـــارع ، أن تتعرض للربيع بن خيثم ـــ وهو تابعي جليل ـــ فلعلـــها تفتنـــه ، وجعلـــوا لهـــا إن فعلت ذلك ألف درهم ، فلبست أحسن ما قـــدرت عليـــه مـــن الثيـــاب ، وتطيبت بأطيـــب مـــا قـــدرت عليـــه ثم تعرضـــت لـــه وهـــو خـــارج مـــن

---

[١] الفالوذق والفالوذج واحد : تصنع من الحنطة .

مسجده،فنظر إليها ، فراعه أمرها ، فأقبلت عليه وهي سافرة ، فقال لها الربيع : كيف بك لو نزلت الحمى بجسدك ، فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف لو نزل بك ملك الموت ، فقطع منك حبل الوتين ؟ أم كيف بك لو ساءلك منكر ونكير ؟ فصرخت صرخة فسقطت مغشية عليها ، فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق .

[صفة الصفوة : ۳/۱۹۱]

أقل المهر ...

أما الحد الأدنى للمهر فمختلف فيه على آراء ثلاثة :

١. قال الحنفية : أقل المهر عشرة دراهم لحديث " لا مهر أقل من عشرة دراهم " [١] وقياساً على نصاب السرقة : وهو ما تقطع به يد السارق ، فإنه عندهم دينار أو عشرة دراهم ؛ إظهاراً لمكانة المرأة ، فيقدر المهر بماله أهمية ، وأما حديث " التمس ولو خاتماً من حديد " فحملوه عن المهر المعجل ، لأن العادة عندهم تعجيل بعض المهر قبل الدخول ، وقد منع الرسول ﷺ علياً أن يدخل بفاطمة رضي الله تعالى عنهما حتى يعطيها شيئاً ، فقال : يا رسول الله ، ليس لي شيء ، فقال : " أعطها درعك " فأعطاها درعه [٢] .

---

[١] رواه البيهقي ، وابن أبي حاتم .

[٢] رواه أبو داود والنسائي .

٢. وقال المالكية : أقل المهر ربع دينار ، أو ثلاثة دراهم فضة خالصة من الغش ، أو ما يساويها مما يقوم بها من عروض أو من كل طاهر ، لا نجس ، متمول شرعاً من عرض أو حيوان ، أو عقار منتفع به شرعاً ، أي يحل الانتفاع به لا كآلة اللهو ، مقدور على تسليمه للزوجة، معلوم قدراً وصنفاً وأجلاً ، ودليلهم أن المهر وجب في الزواج إظهاراً لكرامة المرأة ومكانتها ، فلا يقل عن هذا المقدار الذي هو نصاب السرقة عندهم ، مما يدل على خطره ، فلو تزوج رجل امرأة بأقل من هذا المقدار ، وجب لها ، إن دخل بها وإن لم يدخل بها وقيل له : إما أن تتم المهر أو تفسخ العقد .

٣. وقال الشافعية والحنابلة : لا حد لأقل المهر ، ولا تقدر صحة الصداق بشيء فصح كون المهر مالاً قليلاً أو كثيراً ، وضابطه : كل ما صح كونه مبيعاً ؛ أي له قيمة ، صح كونه صداقاً ، ومالا فلا ، ما لم ينته إلى حد لا يتمول ، فإن عقد بما لا يتمول ولا يقابل بما يتمول كالنواة والحصاة ، فسدت التسمية ووجب مهر المثل ، ودليلهم :

آ – قول الله تعالى :

﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم ﴾ [1]

فلم يقدره الشرع بشيء، فيعمل به على إطلاقه .

ب – الحديث المتقدم : " التمس ولو خاتماً من حديد " فيدل على أن المهر يصح بكل ما يطلق عليه اسم المال .

---

[1] سورة النساء : / ٢٤ / .

ج – روى عامر بن ربيعة أن امرأة من فزارة تزوجت على نعلين، فقال رسول الله ﷺ : " رضيت من مالك ونفسك بنعلين ؟ " . قالت : نعم ، فأجازه " [٢] .

و أخرج أبو داود عن جابر مرفوعاً " لو أن رجلاً أعطى امرأة صداقاً ملء يده طعاماً ، كانت له حلالاً " .

ء – إن المهر حق المرأة ، شرعه الله إظهاراً لمكانتها ، فيكون تقديره برضا الطرفين ، ولأن المهر بدل الاستمتاع بالمرأة ، فكان تقدير العوض إليها كأجرة منافعها .

هذا هو الرأي الراجح ؛ لقوة دليله من القرآن والسنة ، وقال أصحاب هذا الرأي : يسن أن يكون المهر من أربعمائة درهم إلى خمسمائة ، وألا يزيد على ذلك ، لما روت أم حبيبة (أن رسول الله ﷺ تزوجها وهي بأرض الحبشة ، ولم يبعث لها رسول الله بشيء ، وكان مهر نسائه أربعمائة درهم) [١] .

وروت عائشة رضي الله عنها : (أن صداق النبي ﷺ على أزواجه خمسمائة درهم) [٢] .

والمستحب الاقتداء به عليه السلام ، والتبرك بمتابعته ، وإن زاد الصداق على خمسمائة درهم فلا بأس ، لما روت أم حبيبة في الحديث

---

[٢] رواه أحمد وابن ماجه والترمذي .

[١] رواه أحمد والنسائي .

[٢] رواه مسلم .

المتقدم (أن النبي ﷺ تزوجها وهي بأرض الحبشة ، زوجها النجاشي ، وأمهرها أربعة آلاف وجهزها من عنده ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة، فلم يبعث لها رسول الله ﷺ بشيء) ولو كره ذلك لأنكره ...

[الفقه الإسلامي وأدلته : ٢٥٧/٧]

ما لأبي حمزة لا يأتينا ؟!!...

كان لأبي حمزة زوجتان ، فولدت إحداهما بنتاً ، فعز عليه واجتنبها، وصار في بيت ضرتها إلى جنبها ، فأحست به يوماً في بيت صاحبتها ، فجعلت ترقص ابنتها الطفلة وهي تقول :

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا ... تا الله ما ذلك في أيدينا
بل نحن كالأرض لزارعينا ... ينبت ما قد زرعوه فينا
وإنما نأخذ ما أعطينا

فرجع إلى منزله وصالحها وعرف قبح ما فعل ، وطابت نفسه بها ...

صدقت فأنكحك الصِّدق ...

روى الإمام ابن قتيبة قال : خطب بلال على أخيه امرأة من بني حسل من قريش ، فقال : نحن من قد عرفتم ، كنا عبدين فأعتقنا الله ،

وكنا ضالين فهدانا الله ، وفقيرين فأغنانا الله ، وأنا أخطب على أخي خالد فلانة ، فإن تنكحوه فالحمد لله، وإن تردوه فالله أكبر. فأقبل بعضهم على بعض فقالوا : هو بلال وليس مثله يدفع ، فزوجوا أخاه . فلما انصرفا قال خالد لبلال : يغفر الله لك ، ألا ذكرت سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله ﷺ ؟! قال بلال : مه ! صدقتُ فأنكحك الصدق .

[عيون الأخبار : ٤/٧٣]

أين دينها منها يومئذٍ ؟ ...

خطب يزيد بن معاوية إلى أبي الدرداء ﷺ ابنته الدرداء ، فرده ، فقال رجل من جلساء يزيد : أصلحك الله ، أتأذن لي أن أتزوجها ؟ قال: اغرب ويلك ، قال : فأذن لي ، أصلحك الله .

قال : نعم ، فخطبها ، فأنكحها أبو الدرداء الرجل ، فسار ذلك في الناس أن يزيد خطب إلى أبي الدرداء فرده ، وخطب إليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه

قال أبو الدرداء : إني نظرت للدرداء ، ما ظنكم بالدرداء إذا قامت على رأسها الخصيان ونظرت في بيوت يلمع فيها بصرها ، أين دينها منها يومئذ ؟

[صفة الصفوة : ٢/٧٥٤]

أعرابي يتحدث عن أفضل النساء ...!

روى ابن عبد ربه : سئل أعرابي عن النساء ــ وكان ذا تجربة وعلم بهن ــ فقال :

أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت ، التي إذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإذا صنعت شيئاً جودت ، التي تطيع زوجها ، وتلزم بيتها ، والعزيزة في قومها ، الذليلة في نفسها ، الودود الولود وسسكل أمرها محمود .

[العقد الفريد : ٦/١٠٧]

الابن يضرب أباه ؟! ...

عن أبي حفص البسكندي ــ وكان من علماء سمرقند – أنه أتاه رجل فقال : إن ابني ضربني وأوجعني . فقال : سبحان الله ! الابن يضرب أباه ؟!

قال : نعم ضربني وأوجعني . فقال : هل علمته الأدب والعلم ؟

قال : لا ، قال : فهل علمته القرآن ؟ قال : لا قال : فأي عمل يعمل ؟ قال : الزراعة ، قال : هل علمت لأي شيء ضربك ؟ قال : لا

قال : فلعله حين أصبح ، وتوجه إلى الزرع ، وهو راكب على الحمار والثيران بين يديه ، والكلب من خلفه وهو لا يحسن القرآن فتغنى وتعرضت له فظن أنك بقرة !! فاحمد الله حيث لم يكسر رأسك .

برّ الوالدين ...

قال رسول الله ﷺ : " بروا آبائكم تبركم أبنائكم " [١]

وقال : " إنَّ الله يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب " [٢] .

وقال أيضاً : " من بر والديه طوبى له زاد في عمره " [٣] .

وقال أيضاً : " من أرضى والديه فقد أرضى الله ، ومن أسخط والديه فقد أسخط الله " [٤] .

وقال أيضاً : " الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس) [٥] .

وقال أيضاً : " اثنان يعجلهما الله في الدنيا : البغي وعقوق الوالدين"[٦] .

---

[١] رواه الطبراني في الأوسط .

[٢] رواه البخاري وابن ماجه والطبراني والحاكم .

[٣] رواه أبو يعلى والطبراني .

[٤] رواه ابن النجار عن أنس .

[٥] رواه البخاري ، والطبراني في الكبير .

[٦] رواه البخاري والترمذي والنسائي .

أين الوفاء ...

ومن طريف ما يروى في الغدر ممثلاً بالحيوانات أن رجـلاً دخـل الباديـة ، قال : فإذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولـة ، وإلى جانبـها جـرو ذئـب ، فقالت : أتدري ما هذا ؟ قلـت : لا ، قالـت : هـذا جـرو ذئـب أخـذناه صغيراً ، وأدخلناه بيتنا وربيناه ، فلما كبر فعل بشاتي ما ترى ، وأنشدت :

بقرت شـويهتي وفجعـت قـومي ... وأنـت لـشاتنا ابـن ربيـب
غـذيت بـدرها ونـشأت معهـا ... فمـن أنبـاك أن أبـاك ذيـب
إذا كـان الطبـاع طبـاع سـوءٍ ... فـلا أدب يفيـد ولا أديـب

لكن من أعظم الوفاء ...

مما روي : أنه لما قدّم (هدبة) للقتل بحضرة مـروان بـن الحكـم ، قالـت زوجته : إن (لهدبة) عندي وديعة مهله حتى آتيه بهـا ، فقـال : أسـرعي فـإن الناس قد كثروا . وكان مروان قد جلس لهـم بـارزاً عـن داره، فمـضت إلى السوق ، وأتت إلى قصاب ، فأخذت منه شـفرة ، فجـدعت أنفهـا وقطعـت شَفَتَها ، ثم أقبلت حتى دخلت بـين النـاس ، فقالـت : أتـراني (يـا هدبـة) متزوجةً بعدما ترى !؟

فقال : الآن طابت نفسي بالموت ، فجزاك الله من حليلةٍ وفية خيراً!.

[صفوة الأخبار ومنتقى الآثار: ٢٥]

هلْ أتاكَ خبرُ حَمالةِ الحَطَبْ ؟ ...

هي أم جميل بنت حرب بن أمية ، امرأة أبي لهب بن عبد المطلب ، وهي عمة معاوية ، ذكرها ابن هشام ، في السيرة النبوية فقال : قال ابن إسحاق :

فذُكر لي أن أم جميل ، حمالة الحطب ، حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدها فهر من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك ؟ فقد بلغني أنه يهجوني ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله إني لشاعرة ، ثم قالت :

مُذمّماً عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تراها رأتك ؟ فقال: ما رأتني ، لقد أخذ الله ببصرها عني .

وقالت من الشعر :

-زين العشيرة كلها في البدو منها والحضر.
-ورئيسها في النائبات وفي الرحال وفي السفر.
-ورث المكارم كلها وعلا على كلّ البشر.
- ضخم الدسيعة ماجد يعطي الجزيل بلا كدر.

[طرائف النساء : ١٦٩]

أمّا (درّة) بنتُ أبي لَهَب ...

قَدِمَتْ (درة بنت أبي لهب) رضي الله عنها مهاجرة ، فنزلت دار (رافع بن المعلى الزرقي) ﷺ ، فقال لها نسوة جلسن إليها من بني زُريق: أنت بنت أبي لهب الذي قال الله فيه :

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ [1]

ما يغني عنك مهاجرك [2] ؟

فأتت (درّة) النبي ﷺ ، فشكت إليه ما قلن لها ، فسكنها رسول الله ﷺ وقال : " اجلسي " ثم صلى بالناس الظهر ، وجلس على المنبر ساعة ثمّ قال :

" يا أيها الناس ، مالي أوذى في أهلي ؟ فوالله إن شفاعتي لتنال حيّ حاء وحَكَم ، وصَدا ، وسَهلب [3] يوم القيامة " .

[رواه الطبراني]

---

[1] سورة المسد : / ١-٢ / .

[2] أي يعيرونها بأبيها ، وماذا يفيدك هجرتك .

[3] أسماء قبائل من العرب .

إذا أَعْسَرَ الزّوجُ بالنفّقةِ ...

اتفقت كلمة الفقهاء الأحناف – أو كادت – على أن ليس للزوجة التي أعسر زوجها بالنفقة حق الفراق ، وإنما أوجبوا عليها الصبر والاستدانة عليه ، وتجد التصريح بذلك على ألسنة جملة من كبار فقهائهم منهم الفقيه السرخسي حيث يقول : وكل امرأة قضي لها بالنفقة على زوجها وهو ـــ صغير أو كبير ـــ معسر لا يقدر على شيء فإنها تؤمر أن تستدين ثم ترجع عليه ... إلى أن قال : وإن أمرهنّ – أي القاضي ، أمر زوجات المعسر– بالاستدانة فلم يجدن ذلك لم يفرق بينه وبينهنّ ، ولم يجبره على طلاقهن عندنا ، وعند الشافعي يفّرق بينه وبينهنَّ إذا طلبن ذلك [1] وقال المرغياني : ومن أعسر بنفقة امرأته لم يفرق بينهما ويقال لها استديني عليه [2] وجاء في تنوير الأبصار : ولا يفرق بينهما بعجزه عنها ولا بعدم إيفائها حقها ، ولو موسراً ، وجوزّه الشافعي بإعسار الزوج ، وبتضرّرها بغيبته ، وبعد الفرض يأمرها القاضي بالاستدانة لتحيل عليه وإن أبى الزوج . وعلق ابن عابدين على (ولا يفرق بينهما بعجزه عنها) فقال : أي غائباً كان أو حاضراً [3] .

وقال صاحب الكنز : ولا يفّرق بعجزه عن النفقة وتؤمر بالاستدانة عليه [4].

[نفقات الزوجة : ١٢٣–١٢٤]

---

(١) المبسوط : للسرخسي : ١٨٧/٥–١٩٠ .

(٢) الهداية للمرغياني : ٤١/٢ .

(٣) تنوير الأبصار وشرحه ، وحاشية ابن عابدين : ٨٨٦/٢ .

(٤) كنز الدقائق ـــ المطبوع بهامش شرح الزيلعي : ٥٤/٣ .

هندُ تجيب هنداً !! ...

في معرض حديثه عمّا جرى في أحد قال الحافظ ابن كثير : قال ابن اسحاق : ووقعت (هند بنت عتبة) ـ كما حدثني صالح بن كيسان ـ والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ ، يجدعن الآذان والأنوف . حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدما وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها (وحشياً) ، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة وصرخت بأعلى صوتها قائلة :

-نحن جزيناكم بيوم بدرِ والحرب بعد الحربِ ذات سُعْر.
-ما كان لي عن عتبة من صبر ولا أخي وعمّه وبكرِ.
-شفيتُ نفسي وقضيتُ نذري شفيتَ وحشي غليل صدري.
-فشكرُ وحشيٍ عليَّ عُمري حتى ترمّ أعظمي في قبري.

قال : فأجابتها (هند بنت أثاثة بن عباد بن المطّلب) قائلةً :

-خزيت في بدرٍ وبعد بدرِ يا بنت وقّاع عظيمِ الكفر.
-صبّحك الله غداةَ الفجر الهاشميّين الطوال الزُهر.
-بكلّ قطّاعٍ حُسام يفري حمزةُ ليثي وعليٌّ صقري.
-إذا رام شيبٌ وأبوك غدري فخضبا منه ضواحي النّحر.
ونذرِك السوءَ فشرُّ نذرِ.

[البداية والنهاية : ٢/٣٨]

لكلٍّ وظيفةٌ ...

هل تعمل المرأة كل الأعمال ؟ هل تشتغل بالأعمال الشاقة ؟ أم هل يجب أن تقبع في البيت ، في غرفة مظلمة ، في لباسٍ رثةٍ ، لا تغادر المطبخ؟!!

لا هذا ... ولا ذاك ، فالإسلام لم يمنع المرأة من العمل أو التعليم ؛ إنما ضمن شروط تتوافق وقواعده ومبادئه : من حشمة وعدم اختلاط وعدم تعرضها للفتن والمضايقات... الخ .

ودليلنا على ذلك الرعيل الأول من أمهات المؤمنين ، والصحابيات الجليلات ، فهذه السيدة عائشة تحدث الصحابة وتجيب على استفساراتهم ، بل تستدرك أخطاءهم في كثير من الأمور الفقهية !! وتلك تداوي الجرحى في المعارك و... الأدلة التاريخية كثيرة من السيرة و...

لكن أن يتشدّد المتشددون ويتنطّع المتنطّون ، باسم الغيرة على الإسلام وباسم الحفاظ على العفاف والشرف... لينادوا بأن تجلس المرأة فلا تخرج في عمرها إلا مرتين :

مرّة إلى بيت زوجها !! ومرّة إلى قبرها !!

كل ذلك تحت مظلة الدين ، والدين من ذلك بريء . لكلٍّ عمل ، ولكلٍّ وظيفة تراعي طبيعة تكوينه ، فالرجل طبيعة جسمه تقضي أن يمارس الأعمال الصعبة الشاقة والسفر والتجوال ، والمرأة طبيعة أنوثتها تعني الرقّة والتربية ... وهل تربية الأطفال عمل سهل !؟! الرجل يتميز بالعقل الراجح

، يحاكم الأمور بعيداً عن العاطفة ، لذلك لو كلفناه أن يقوم بدور تربية الأطفال فستكون النتيجة الفشل الذريع ، والمرأة تتميز بالعاطفة لذلك تصبر إن جاع الصغير ، وتستيقظ إذا بكى ، وتسهر الليالي إن اشتكى و... و...

فهل إذا نادينا بالمساواة ، يكون الهدف أن تعمل عمله ويعمل عملها؟!

أبداً ، المساواة التي نعنيها ، أن يأخذ كلٌّ منهما حقوقه ، ويعرف واجباته ليكتمل بناء الأسرة الواحدة ، ويكون المجتمع مجتمعاً هادئاً نظيفاً، وإلا لنستمع إلى ما قالته الدكتورة (روزفريش) وهي أستاذة الصحة العامة بجامعة هارفارد ، وقد نشر ذلك الخبر الجريدة الدولية (الهير الدتريبيون) في عددها (٣٢٦٥٠) بتاريخ ١٦/٢/١٩٨٨م حيث قامت الدكتورة بدراسة أجرتها على (٥٣٩٨) امرأة تتراوح أعمارهن ما بين (٢١-٨٠) عاماً ، وتقدمت بنتائج هذا البحث إلى الاجتماع السنوي للجمعية الأميركية لتقدّم العلوم ، وهذه أهم ما خلصت إليه :

1- تصاب اللاعبات الرياضيات النشيطات باضطراب في الدورة الطمثية ، ويصبحن غير مُخصبات ، مادمن يَقُمنَ بالممارسة الرياضية ، ويمكن أن تعود الخصوبة إلى وضعها الطبيعي بالتوقف عن الممارسة الرياضية ، وأضافت الباحثة نصيحتها إلى النساء قائلة: لا يمكن للمرأة أن تعمل كل شيء ، بمقدور كل واحدة منكن أن تصبح نجمة رياضية أو لاعبة (ألمبياد) شهيرة ، ولكنها إذا رغبت في إنجاب طفل فإن عليها أن تتوقف عن اللعب

، ذلك لأن المستوى الأدنى من التمارين يمكن أن يكـون لـه عواقـب ضـارة على الجهاز التناسلي في المرأة .

2- ولقد أظهـرت الدراسـة أن (٢٦٢٢) امـرأة ممـن كـنّ يمارسـن الألعاب الرياضية ، قـد بـدت علـيهن أعـراض سـرطان الثـدي أو الـداء السكري ، أو سرطان الجهاز التناسلي ، في مقابل القـسم الآخـر مـن النـساء وعدده (٢٧٧٦) اللواتي لم تظهر عليهن هذه الأعراض .

3- بينت دراسة جامعة هـارفرد إضـافة إلى دراسـة أخـرى أجرتهـا جامعة ألبرتا أن الأعمـال النـشيطة الـتي تمارسـها المـرأة تـؤثر في إنتـاج (الإسترجينات) التي تتحكم في الإنجاب لدى المرأة .

4- أشارت هذه الدراسة مع أخرى مماثلة أجرتهـا جامعـة كنديـة ، أن النساء اللواتي يمارسن الأعمال المجهدة يُصبن باضـطراب الإخـصاب حـتى لـو استمر الطمث لديهن على وضعه النظامي .

هذهِ أمُّ عُمارة ...

روى الحافظ الذهبي : قالت أم عمارة (نسيبة المازنية) : رأيتني ، وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ ، فما بقي إلا نفرٌ ما يُتِمّون عشرة ، وأنا وابناي وزوجي بين يديه ، نذبّ عنه ، والناس يمرون منهزمين ، ورآني ولا ترس معي ، فرأي رجلاً مولياً ومعه ترس ، فقال : " ألق ترسك إلى من يقاتل " فألقاه ، فأخذته ، فجعلت أترّس به عن رسول الله، وإنما فعل بنا الأفاعيلَ أصحاب الخيل ، ولو كانوا رجّالةً مثلنا أصبناهم ، إن شاء الله فيقبل رجل على فرس ، فيضربني ، وترَّست له ، فلم يصنع شيئاً وولى ، فأضرب عرقوب فرسه ، فوقع على ظهره فجعل النبي ﷺ يصيح : " يا بن أم عمارة ، أمك ! أمك ! " .

قالت : فعاونني عليه حتى أوردتُه شعوب ـ الموت ـ

[سير أعلام النبلاء : ٢/٢٧٩]

اتركْ وليَّ الله !! ...

روى الإمام أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله : قال (أبو قدامة الشامي) : كنت أميراً على الجيش في بعض الغزوات ، فدخلت بعض البلدان ، فدعوت الناس إلى الغزو ، ورغبتهم في الثواب ، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها ، ثم تفرق الناس ، وركبت فرسي وسرت إلى منزلي، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تنادي : " يا أبا قدامة " فقلت: هذه مكيدة من الشيطان ، فمضيت و لم أجب .

فقالت : ما هكذا كان الصالحون ، فوقفت ، فجاءت ودفعت إليَّ رقعة وخرقة مشدودة وانصرفت باكية ، فنظرت إلى الرقعة ، فإذا فيها مكتوب : إنك دعوتنا إلى الجهاد ورغبتنا في الثواب ، ولا قدرة لي على ذلك ، فقطعت أحسن ما فيَّ ، وهما ضفيرتاي وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك ، لعل الله يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي .

فلما كانت صبيحة القتال : فإذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتل ، فتقدمت إليه وقلت : يا فتىً أنت غلام غِرٌّ راجل ، ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها ، فارجع عن موضعك هذا، فقال: أتأمرني بالرجوع وقد قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [1] فحملته على هجين كان معي ،

---

[1] سورة الأنفال : / ١٥-١٦ / .

فقال : يا أبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم ، فقلت : أهذا وقت قرض ؟ فما زال يلحّ عليّ حتى قلت : بشرط ، إن منّ الله بالشهادة أكون في شفاعتك .

قال : نعم، فأعطيته ثلاثة أسهم ، فوضع سهماً في قوسه وقال : السلام عليك يا أبا قدامة ، ورمى به فقتل رومياً ، ثم رمى بالآخر ، وقال : السلام عليك سلام مودّع ، فجاءه سهم فوقع بين عينيه ، فوضع رأسه على سرجه ، فتقدمت إليه وقلت : لا تنسها . فقال : نعم ولكن لي إليك حاجة ، إذا دخلت المدينة فأتِ والداتي وسلّم خرجي إليها وأخبرها .

فهي التي أعطتك شعرها لتقيد به فرسك ، وسلم عليها ، فإنها العام الأول أُصيبت بوالدي ، وفي هذا العام بي ، ثم مات، فحفرت له حفرة ودفنته ، فلما هممنا بالانصراف عن قبره قذفتهُ الأرض فألقته على ظهرها !! فقال أصحابي : إنه غلام غر ولعله خرج بغير إذن أمه فقلت : إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا ، فقمت وصليت ركعتين ودعوت الله عزَّ وجلَّ ، فسمعت صوتاً يقول : يا أبا قدامة ، اترك ولي الله ...

فما برحت حتى نزلت عليه طيور بيض فأكلته ، فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته ، فلما قرعت الباب خرجت أخته إلي فلما رأتني عادت وقالت : يا أماه هذا أبو قدامة ليس معه أخي ، فقد أصبنا في العام الأول بأبي وفي العام بأخي ، فخرجت أمه إلي فقالت : أمعزياً أم مهنئاً ؟ قلت : ما معنى هذا ؟ فقالت : إن كان مات فعزني ، وإن كان استشهد فهنئني ، فقلت : لا بل مات شهيداً فقالت : له علامة فهل رأيتها ؟ قلت :

نعم وله علامة ! إن الأرض لم تقبله ، ونزلت الطيور أكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها ، فقالت : الحمد لله.

فسلّمت إليها الخرج ، ففتحته فأخرجت منه مسحاً وغلاًّ[1] من حديد، وقالت : إنه كان إذا جنّه الليل – أظلم عليه – لبس المسح وغلّ نفسه بهذا الغُلّ ، وناجى مولاه قائلاً : احشرني من حواصل الطيور ، وقد استجاب الله دعاءه .

[صفة الصفوة : ١٩٨/٤]

فاشكُر مَحَاسِنَ والدِيَكْ : ...

– وعليك برّ الوالدين فضيلة	وارع بذي الأرحام نعم وفضله.
– يا طالما عطفوا عليك برافة	ربوك في حُجر الدلال وظِلّه.
– فاشكر محاسن والديك وعزهم	واخفض لهم عزّ الجناح بذله[1]

---

[1] المسح : الكساء من الشعر ، والغلّ : القيد .

[1] للتوسع أكثر يراجع كتابنا : الأخلاق الإسلامية للناشئة فصل برّ الوالدين ، ط/ دار المحبة بدمشق .

الحزنُ في القلب ، أمّا النياحةُ فلا ...

المصاب بفقد والد أو ولد أو زوج أو صديق أو... لا يُلام على حزن قلبه ودموع عينيه، وإنما النياحة ونحوها من القول والفعل تحرم عليه.

فعن ابن عباس –رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ أنه قال : " رضا القلب والعين من الله عزَّ وجلَّ ورضا اليد واللسان من الشيطان "

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال : " أربع في أمتي من أمر الجاهلية ، لا يتركوهن ، الفخر في النساب والطعن في الأنساب والإستسقاء بالنجوم ، والنياحة [1]

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : " أيّما نائحة ماتت قبل أن تتوب ألبسها الله سربالاً من قطران وأقامها للناس يوم القيامة " [2] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ ، قال : لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة [3] .

وصّح عن رسول الله ﷺ فيما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال : " ليس منّا من ضرب الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية " [4] وجاء عن سلمة بن محارب قال : وضع إبراهيم بن النبي ﷺ في حجره وهو

---

[1] رواه مسلم والترمذي وأحمد .

[2] رواه أبو يعلى وابن عدي .

[3] رواه أبو داود وأحمد والطبراني .

[4] رواه البخاري ومسلم .

يجود بنفسه ، فقال ﷺ : " لولا أنه وعدٌ صادقٌ وموعدٌ جامعٌ وأن الماضي فرطُ الباقي ، وأنَّ الآخر لاحقٌ بالأول لوجدنا عليك يا إبراهيم " [1] .

ودمعت عيناه ، فقال ﷺ :

" تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يُرضي الربّ عزّ وجلّ ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون " [2] .

وروى الحافظ أبو عبد الله الحاكم في (تاريخه) عن سعيد بن المسيب ﷺ قال : دخلنا مقابر المدينة مع علي بن أبي طالب ﷺ ، فقام على قبر فاطمة رضي الله عنهما ، وانصرف الناس فقال :

أرى علل الدنيا عليَّ كثيرةً ... وصاحبها حتى الممات عليلُ
لكل اجتماعٍ من خليلين فُرقةٌ ... وإنّ بقائي بعدكم لقليل
وإن افتقاري فاطماً بعد أحمد ... دليلٌ على أن لا يدوم خليلُ

---

[1] رواه ابن ماجه .

[2] رواه البخاري ومسلم .

زوجٌ من عود... خيرٌ من قعود ...

قال ابن عائشة : كان أبو الإصبع العدواني غيوراً ، وكان له أربع بنات ، فأبى أن يزوجهن ، فقالت واحدة منهن : لتقل كل واحدة منا ما بنفسها ، فقالت كبراهن :

ألا ليت زوجي من أناسٍ ذوي غنى حديث الشباب طيب النشر والذكر
لصوق بأكباد النساء كأنه خليفة جارٍ لا يقيم على الهجر

قلن لها : أنت تريدين شاباً غنياً ، فقالت الثانية :

عظيمُ رماد القدر رحبٌ فناؤه له جفنةٌ يشقى بها النيبُ والجزرُ
له خلقان : الشيب من غير كبرةٍ تشين ولا وانٍ ولا ضرع غمرُ

فقلن لها : أنت تريدين سيداً ، فقالت الثالثة :

ألا هل تراها مرةً وخليلها يضم كبعل المشرفيّ المهندِ
عليه رواءٌ لليسار ورهطه إذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقلن لها : أنت تريدين ابن عم لك قد عرفته .

وقلن للصغرى : ما تقولين أنت ؟ فقالت : لا أقول شيئاً ، فقلن لها: لن ندعك لأنك اطلعت على أسرارنا وكتمت سرّك ، فقالت : لا أدري ما أقول ، إلا أنه زوج من عود ، خير من قعود !

قال : فخُطبن ، فزوجهن جميعاً .

[طرائف النساء : ٢١٤]

آباء وأمهاتٌ لمْ يلدوا ...

قال الثعالبي في (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) : يقال : أبو مروة وهو إبليس ، وأبو يحيى وهو قابض الأرواح ، وأبو دثار للكلة التي يتوقّى بها البعوض ، وأبو رياح لتمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة كبيرة بباب الجامع ، يدور مع الريح حيث هبت ، ويمينه ممدودة ، وأصابعها مضمومة إلا السبابة ، فإذا أشكل على أهل حمص مهبّ الريح عرفوا ذلك به ، فإنه يدور بأضعف نسيم يصيبه ، ولذلك كني بأبي رياح ، وقد يقال للرجل الطائش الذي لا ثبات له : أبو رياح تشبيهاً به ، ويقال : أبو مالك كناية عن الجوع والكبر ، قال الشاعر :

أبو مالك يعتادنا في الظهائر يُلمُّ فيلقى رحله عند جابر

والعرب تسمي الخبز جابراً وعاصماً وعامراً ، وإنما سمي الكبر بهذه الكنية لأنه يملك الرجل فيلزمه ولا يفارقه ويقال : أم القرى للنار ، وأم النجوم للمجرّة ، وأم خنور للدنيا وهي كنية الضبع ، وأم الطعام للحنطة ، وأم عامر للضبع ، وأم عوف للجرادة ، وأم طلحة للقملة ، وأم ملدم للحمى ، مأخوذة من اللدم ، وهو ضرب الوجه حتى يحمّر ، وأم الخلّ للخمر ، وأم عبيد للمغارة ، وأم شملة للشمس ، لأنها تشمل الخلف بطلوعها ، وأم جابر للسنبلة ، وأم الندامة للعجلة ، وأم الفضائل للعلم ، وأم الرذائل للجهل ...

[القلائد من فرائد الفوائد: ١٢٨]

مَعَ الشعْبي ! ...

روى الإمام السيوطي قال : أسند السلفي في كتابه الطيوريـــات : أن عبـــد الملك بن مروان خرج يوماً فلقيته امرأة ، فقالت : يا أمير المؤمنين !

قال : ما شأنك ؟

قالت : توفي أخي وترك ستمائة دينار ، فدفع إليّ من ميراثه دينار واحد !

فقيل : هذا حقك .

فعمي الأمر فيها على عبد الملك ، فأرسل إلى الشعبي ، فسأله ، فقال: نعـــم، هذا توفي ، فترك ابنتين فلهما الثلثان أربعمائة .

وأماً فلها السدس مائة .

وزوجة فلها الثمن خمسة وسبعون

واثني عشر أخاً فلهم أربعة وعشرون

وبقي لها واحد !! .

[تاريخ الخلفاء : ٢٢١]

ما هي هذه القرابة ... ؟

روى ابن قتيبة : قال يحيى بن أكثم يمتحن رجلاً للقضاء : ما تقول في رجلين زوّج كلٌّ واحد منهما الآخر أُمَّه ، فولد لكل واحد من امرأته ولد ، ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها ، فقال له يحيى : كل واحدٍ من الولدين عمّ الآخر لأمه!! .

[عيون الأخبار :١/٦٥]

أما تعرفينَ هذا ؟! ...

روى ابن عبد الحكم قال : جاءت إلى عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – امرأة من أهل الكوفة فقالت :

يا أمير المؤمنين ، ما أصبتُ أنا ولا بناتي مما قسم أمير المؤمنين قليلاً ولا كثيراً .

قال : ومَنْ بك ؟

قالت : العَرْفاء والمناكب .

قال : ارجعي إليّ حتى العشية ، فأكتب لك ، ثم قال: مَهْ ، فلعلي لا أبلغ العشاء، ادخلي على فاطمة بنت عبد الملك-يعني زوجته- ، فبينما هي عند فاطمة ، إذ قام عمر ، فسكب وضوءاً لنفسه ، فقالت المرأة لفاطمة بنت عبد الملك :

ألا تأخذين عليك ثيابك من هـذا الرجـل يـرى رأسـك مكـشوفاً ؟ قالت لها : أما تعرفين هذا ؟ هذا أمير المؤمنين يسكب لنفسه وضوءاً .

قالت المرأة : ثمّ دعاني وكتب لي كتاباً .

[سيرة عمر بن عبد العزيز : ٤٥]

حمرة التفاح مع خضرتهِ !! ...

روى ابن عبد ربه قائلاً : أهدت جارية مـن جـواري الخليفـة المـأمون تفاحة وكتبت إليه :

إني يا أمير المؤمنين لما رأيت تنـافس الرعيـة في الهـدايا إليـك ، وتـواتر ألطافهم عليك ، فكرت في هدية تخـفّ مؤونتـها وتهـون كلفتـها ، ويعظـم خطرها ، ويجلُّ موقعها فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعت ، ويكمـل فيـه هـذا الوصف إلا التفاح ، فأهديت إليك منها واحدة في العـدد كـثيرة في التـصرف ، وأحببت يا أمير المؤمنين أن أعرب لك عن فـضلها وأكـشف عـن محاسـنها ، وأشرح لك لطيف معانيها ، وما قالـت الأطبـاء فيهـا وتفـنّن الـشعراء في أوصافها ، حتى ترمقها بعين الجلالة ، وتلحظهـا بمقلـة الـصيانة، فقـد قـال أبوك الرشيد : أحسن الفاكهة التفاح ؛ اجتمع فيه الـصفرة الدريـة ، والحمـرة الخمرية ، والشقرة الذهبية ، وبياض الفـضة ، ولـون التـبر ، يلـذ بهـا مـن الحواس ؛ العين ببهجتها ، والأنف بريحها ، والفم بطعمها .

والتفاحة يا أمير المـؤمنين ، إن حملتـها لم تـؤذك ، وإن رُميت بهـا لم تؤلمك ، قد اجتمع فيها ألوان قوس قزح مـن الخـضرة والحمـرة والـصفرة ، قال الشاعر :

حمـرة التفـاح مـع خـضرته ... أقرب الأشـياء مـن قـوس قـزح
فعلـى التفـاح فاشـرب قهـوةً ... واسـقنيها بنـشاط وفـرح
ثم غـنني لكـي تطـربني ... طرفك الفتـان قلـبي قـد جـرح

فإذا وصلت إليك يا أمير المـؤمنين ، فتناولهـا بيمينـك واصـرف إليهـا بعينك ، وتأمل حسنها بطرفـك ، ولا تخدشـها بظفـرك ، ولا تبعـدها عـن عينك ، ولا تبذلها لخدمك ، فإذا طال لبثها عنـدك ، ومقامهـا بـين يـديك ، وخفت أن يرميها الـدهر بـسهمه ، ويقـصدها بـصرمه ، فتـذهب بهجتـها وتحيل نضرتها ، فكلها هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر !!

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

[العقد الفريد :٧٨/٧]

والذي قدَّرَ فهدى :

في عالم الطيور أمور يقف الإنسان أمامها مندهشاً عاجزاً عن الكلام ، وكأنه يسمع من بعيد قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [1]

وقوله : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [2]

من ذلك ما أورده د. شوقي أبو خليل :

اللقلق : يطير شتاءً من ألمانيا وهولندة والنمسة مسافة خمسة آلاف ميل ، حتى أواسط إفريقية ، ثم جنوبي إفريقية حيث يفتش عن الجراد طعامه المفضل ! فمن ألهمه أن مأدبته المفضلة الشهية هناك ، على بعد آلاف الأميال : وقد وصل إليها فعلاً ، بأجهزة ملاحة دقيقة مخلوقة في دماغه الصغير ؟؟!!

نشرت مجلة الأهرام بتاريخ ١٩٧١/٩/٤ العدد (٣٠٩٤٨) هذا الخبر : بندقية صغيرة صوبها بدوي على أول أفواج الطيور القادمة إلى شواطئنا الدافئة فراراً من البرد الزاحف على شمال أوروبة ، فاصطاد ببغاء معمراً مكتوباً على طوق من النحاس حول ساقيه (ببغاء معمّر، اعتاد السَّفر لأمريكة ويعود منها كل عام ... وهو ضرير !!)

---

[1] سورة السجدة : / ٧ / .

[2] سورة الأعلى : / ٢-٣ / .

التوقيع : مكتب هجرة الطيور (همرفست) بالنرويج ، ... هل تساءلت ، كيف عرف هذا الببغاء الضرير طريقه دون أن يضلّ مواطن الدفء ؟!.

فالإنسان الضرير لا يسير إلا بعكاز ، وكلما سار قليلاً يسأل ، يسترشد هدفه ، أما الببغاء الضرير : يقطع آلاف الأميال دون ما يحتاجه الإنسان الضرير في مثل حالته : فكيف يتم هذا ؟!.

وأيضاً فهناك أمور غريبة جداً : فقد تبتعد أطفال الكروان التي لم يتجاوز عمر الواحد منها يوماً واحداً عن بيتها وأمها مسافة تقدَّر ببضعة أميال ، ثمّ تعود إلى بيتها وأمها ، وعمرها يوم واحد فقط ، دون أن تضلّ!

أما الغزال الإسكتلندي الأحمر ، فإنه يمتاز أنه يعرف طريقه إلى وطنه حتى ولو نقل إلى أماكن بعيدة مثل نيوزلندا ، فقد شوهد وهو يسبح في البحار عائداً إلى وطنه من تلك المنطقة النائية ...

وهناك سمك سليمان له هجرة غريبة : يترك البحر ويرجع إلى مجرى الماء العذب الذي نشأ فيه ، وهو يكافح ضد تيار الماء ، فيقفز فوق الصخور ، ويجتاز الشلالات بالاتجاه المعاكس ، وقد توجد منه أعداد كثيرة، لدرجة أن الأسماك تملأ الغدير ، وعندما تصل الأسماك إلى المكان الذي تسعى للوصول إليه ، فإنها تضع بيضاً وتموت ... أما كيف تستطيع أن تجد الغدير ذاته ! أو النهر نفسه الذي خرجت منه — وهي التي ليس لديها مصّورات تعتمد عليها في معرفة الطريق ، كما أن قدرتها على الرؤية

تحت الماء ضعيفة ، ولا يوجد من يوجههـا في طريقهـا ـ فهـو أمـر أكثـر عجباً من الراديو والتلفاز .

لا ... بل إن الله عزَّ وجلَّ هو الذي يلهمها طريقها ويوجهها : لقد قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[1] .

[غريزة أم تقدير إلهي : ٢٠]

ابن يَرثي والدته :

قال الشريف الرضي يرثي والدته فاطمة بنـت الناصـر والـتي توفيـت في ذي الحجة سنة (٣٨٥) وهي قصيدة طويلة منها :

أبكيك لـو نقـع الغليـلَ بُكـائي ... وأقولُ لـو ذهـبَ المقـالُ بـدائي

وأعـوذُ بالـصبر الجميـلِ تعزّيـاً ... لو كان بالـصبر الجميـل عزائـي

طـوراً تكـاثرني الـدموعُ وتـارةً ... آوي إلى أكـرومَتي وحيـائي

كـم عـبرةٍ موهتـها بأنـاملي ... وسـترتُها مـتجملاً بردائـي

أبدي التجلّـد للعـدوّ، ولـو درى ... بتململـي لقـد اشـتفى أعـدائي

ما كنتُ أذخـرُ في فـداك رغيبـةً ... لـو كـان يرجـع ميـتٌ بفـداءِ

(١) سورة الفرقان : / ٢ /.

إلى أن يقول :

لو كان يبلغك الصفيح رسائلي أو كان يسمعك التراب ندائي
لسمعت طول تأوهي وتفجعي وعملت حُسنَ رعايتي ووفائي
كان ارتكاضي في حشاكِ مُسبباً ركضَ الغليلِ عليكِ في أحشائي

[ديوان الشريف الرضي : ١/٢٩]

مِنْ بَرَكاتِ رسولِ الله ...

روى ابن حجر العسقلاني – رحمه الله – : أهدت الصحابية (أم أوس البهزيّة) سمناً إلى رسول الله ﷺ ، ووضعته في عكة [1] ، فقبله رسول الله ، وأخذ ما فيه ، ودعا لها بالبركة وردّها إليها ، فرأتها ممتلئة سمناً ، فظنت أنه لم يقبلها ، فجاءت ولها صُراخ ، فقال : " أخبروها بالقصة " .

فأخبروها أن رسول الله ﷺ أخذ ما فيها ودعا لها ، فأكلت منه بقية عمر النبي ﷺ ، وولاية أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، رضي الله عنهم .

[الإصابة في تمييز الصحابة: ٤٣١]

[1] العكة : وعاء من جلد يستعمل للسمن .

تُبدي صُدوداً أو تُخفي تَحتهُ صِلَةْ ...!!

روى ابن عبد ربه الأندلسي :

كانت (ماردة) جارية بارعة الجمال ، أحبّها الرشيد كثيراً ، فعتبت عليه مرة مظهرة له الكراهية ، مضمرة المحبة ، فقال فيها الرشيد :

تبدي صدوداً وتخفي تحته صلة   فالنفس راضية والطّرف غضبان
يا من وضعت له خدّي فذلّله   وليس فوقي سوى الرحمن سلطان

وغضبت عليه مرة ، وغضب عليها وتمادى بينهما الهجر أياماً ، فأمر جعفر بين يحيى العباس بن الأحنف فقال :

راجعْ أحبتك الذين هجرتهم   إن المتيمّ قلمّا يتجنّبُ
إن التجنب إن تطاول منكما   دبّ السلّو له فعزّ المطلب

وأمر إبراهيم الموصلي فغنى فيه الرشيد ، فلما سمعه بادر إلى (ماردة) فترضّاها ، فسألت عن السبب في ذلك فعرفته ، فأمرت لكل واحدٍ من العباس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم ، وسألت الرشيد أن يكافئهما عنها ، فأمر لهما بأربعين ألف درهم !! .

[العقد الفريد :١٠٥/٨]

الشاعرة : أمّ ذرّ الغفاريّ ...

روى ابن حجر في الإصابة قال : هي شاعرة من شواعر العرب ، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يبتسم قال لأبي ذرّ :

" يا أبا ذر حدثني ببدء إسلامك "

قال أبو ذرّ : كان لنا صنم يُقال له (نُهم) فصببتُ له لبناً ووليّت ، فحانت مني التفاتة ، فإذا كلب يشرب ذلك اللبن ، فلما فرغ رفع رجله فبال على الصنم ، فأنشأت أقول :

ألا يا نُهم إني قد بدا لي ... مدى شرف يبعد منك قربا
رأيت الكلب سامك خطّ خسفٍ ... فلم يمنع قفاك اليوم كلبا

فسمعتني أم ذرّ ، فقالت :

لقد أتيت جُرماً وأصبت ... عظماً حين هجرت نُهما

فأخبرتها الخبر فقالت :

ألا فابغنا ربّاً كريماً ... جواداً في الفضائل يا بن وهب
فما من سامه كلب حقير ... فلم يمنع يداه لنا بربٍّ
فما عبد الحجارة غير غاوٍ ... ركيك العقل ليس بذي لبٍّ

[لطائف النساء :٢٢٦]

نَصَحَتْ ... فَأَوْجَزَتْ :

روى العلامة الأبشيهي : لما ظلم (أحمد بن طولون) قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها ، فقالت لهم : متى يركب ، قالوا في غد ، فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه ، وقالت : يا أحمد يا بن طولون !

فلما رآها عرفها ، فترجّل عن فرسه ، وأخذ منها الرقعة وقرأها ، فإذا فيها : ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخولتم فعسفتم ، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم هذا ، وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير خاطئة ، لا سيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوعتموها ، وأجساد عريتموها ، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم ، اعملوا ما شئتم فإنا صابرون ، وجوروا فإنا بالله مستجيرون ، واظلموا فإنا إلى الله متظلمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون ، قال : فعدل لوقته.

[المستطرف : ١١٩]

وأيّ شأنه لم يكن عجباً ؟!..

عن عطاء قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: أخبرني بأعجب ما رأيت من رسول الله.

قالت : وأيّ شأنه لم يكن عجيباً ؟ إنه أتاني ليلةً ، فدخل معي لحافي ثم قال : ((ذريني أتعبّد لربي)) فقام فتوضأ ، ثم قال يصلي ، فبكى حتى سالت دموعه على صدره ، ثم ركع فبكى ، ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى ، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال يؤذنه بالصلاة .

فقلت: يا رسول الله ، وما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ؟

قال: " أفلا أكون عبداً شكوراً ، ولم لا أفعل وقد أنزل الله عليّ هذه الليلة :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [1]

[رواه ابن حبان ، وابن أبي الدنيا ، وابن مردويه ...]

العلم يرفع ولو بعد حين ...

روى ابن خلكان قال : قال الخطيب :

وحُكي أن والد أبي سيف مات ، وخلّف أبا يوسف طفلاً صغيراً ، وأن أمه هي التي أنكرت عليه حضور حلقة أبي حنيفة – رحمه الله تعالى – ثم روى الخطيب أيضاً بإسنادٍ متصل إلى عليّ بن الجعد ، قال :

أخبرني أبو يوسف القاضي ، قال :

توفي أبي ، وخلفني صغيراً في حجر أمي ، فأسلمتني إلى قصار أخدمه، فكنت أدع القصّار ، وأمرّ إلى حلقة أبي حنيفة ، فأجلس أستمع، فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة ، فتأخذ بيدي ، فتذهب بي إلى القصار ، وكان أبو حنيفة يُعنى بي ، لما يرى من حضوري وحرصي على التعلّم ، فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي ، قالت لأبي حنيفة :

[1] سورة آل عمران : / ١٩٠ / .

ما لهذا الصبي فساد غيرك ، هذا صبي يتيم لا شيء له ، وإنما أطعمه من مغزلي ، وآمل أن يكسب وانقاً يعود به على نفسه .

فقال لها أبو حنيفة : مُرّي يا رعْناء ، ها هو ذا يتعلّم أكل الفالوذج يُدْهنُ بالفستق !! .

فانصرفت عنه ، وقالت له : أنت يا شيخ قد خرفت وذهب عقلك . ثم لزمته ، فنفعني الله تعالى بالعلم ، ورفعني حتى تقلّدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته .

فلما كان في بعض الأيام قُدّم إلى الرشيد فالوذجةٌ ، فقال لي : يا يعقوب كل منها ، فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها ، فقلت : وما هذه، يا أمير المؤمنين ؟

قال : هذه فالوذجةٌ تدهن بالفستق .

فضحكت ...

فقال لي : ممّ ضحكك !؟ فقلت : خيراً ، أبقى الله أمير المؤمنين ، فقال : لتخبرني وألّح عليّ ، فأخبرته بالقصة من أوّلها إلى آخرّها، فعجب من ذلك ، وقال : لعمري إن العلم لينفع دنيا وديناً ، وترحم على أبي حنيفة وقال : كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه .

[وفيات الأعيان : ٦/٣٨٠]

مَنْ نُقَلِّد ؟ ...

يقول الدكتور القرضاوي : لا تصلح المرأة الغربيــة مثــالاً تحتذيــه المــرأة المسلمة ؛ لأنهــا مخالفــة للمــسلمة في عقيــدتها ومُثلــها وأهــدافها وآدابهــا وتقاليدها.

المرأة الغربية لا ترى في العلاقات الجنسية ما تــراه المــرأة المــسلمة الــتي تقيّدها فكرة (الحلال والحرام) في كل مــا تأخــذ وتــدع ، وليــست طليقــة العنان تفعل ما يحلو لها كالمرأة الغربية الــتي لم تعــد تبــالي بمظــاهر الإباحيــة والانطلاق الغريزي المجنون في الحدائق والطرقات والأماكن العامة .

على أن المرأة الغربية اليوم لم تعد راضية عن نفسها ، وعمــا انتــهى إليــه حالها ، صحيح أنها زاحمــت الرجــال بالمناكــب في مواضــع العلــم والعمــل والأسواق ، ولكنها في النهاية فقدت هناك أنوثتها ، وأصــبحوا يطلقــون علــى المرأة العاملة هناك (الجنس الثالث) أي الــذي لم يعــد لــه خــصائص الجــنس اللطيف من رقة ونعومة وعاطفيــة ، ولم يكــسب خــصائص الجــنس الخــشن بمزاحمته في مواضع عمله ، بل هو جنس بينَ بَــيْن ، كــالغراب الــذي حــاول أن يقلّد النسر ، فلا صار نسراً ولا بقي غراباً !!

[لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر :١٦٨]

النّظرةُ سَهْمٌ منْ سِهَامِ إبليس ...

يقول سيدنا رسول الله ﷺ : " كُتبَ على ابن آدم حظهُ من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، وزنا الأذنين الاستماع ، وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين الخطى ، والنفس تُمني وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه " [١] .

ولم يستثن الشارع الحكيم إلا نظر الفجاءة ، كما في قول الحبيب محمد ﷺ :

" يا عليّ لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى وليس لك الآخرة " [٢]

لكن لم هذا التشديد ؟

يشرح لنا رسول الله ﷺ أخطار النظر فيقول :

" النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجدُ له حلاوته في قلبه " [٣] .

ثم يعطينا البديل الذي أعدّه الله لمن غضّ بصره فيقول :

" ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأةٍ ثم يغضّ بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها " [٤].

---

[١] رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

[٢] رواه الترمذي وأحمد وأبو داود .

[٣] رواه الطبراني .

[٤] رواه أحمد .

لكن ما القصد من الغضّ هنا ؟

ألاّ ينظر الإنسان إلى عورة غيره ، كما قال رسول الله ﷺ معلّماً عمنّ يغض البصر: " لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة " [(١)] بل يشدد البيان النبوي أكثر ، فيقول ﷺ : " يا عليّ لا تنظر إلى فخذ حيٍّ ولا ميّت " [(٢)] أما النساء :

فيسري عليهن الحكم نفسه ، بدليل أن ميمونة وأم سلمة رضي الله عنهما كانتا عند النبي ﷺ إذ دخل عبد الله بن أم مكتوم فقال لهما الرسول:

" احتجبا منه " فقالت أم سلمة : أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال :

" أوعمياوان أنتما ؟ أولستُما تبصرانه ؟ " [(٣)] .

لكن هل كان المنع هنا عاماً ، أم مقيداً ؟

لحكمةٍ إلهية خارقة ، جاء البيان الإلهي بحرف (من) في قوله تعالى :

﴿ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ ﴿ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ ﴾ [(٤)]

وهذه الـ (من) تعني في اللغة العربية : التبعيض .

---

(١) رواه مسلم والترمذي وأحمد .

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه .

(٣) رواه الترمذي .

(٤) سورة النور : / ٣٠-٣١ / .

أي أن الله – تبارك وتعالى – لا يأمركم بصرف كل نظر من أنظاركم، وإنما يأمركم بصرف بعضها.

أو : انظروا إلى كل شيء (عام) ، وغضوا أبصاركم عن كل ما نهيتكم عنه (خاص) كنظر الرجل إلى الأجنبية ونظرها إليه ...

ولقد حدثنا التاريخ : أن امرأةً عربيةً مرّت على جماعة من بني النمير ، فأحدّوا بصرهم إليها ، ولم يغضوا بعيونهم عنها ، فقالت لهم : يا بني نميرٍ ، والله ما أخذتم بواحدةٍ من اثنتين :

لا بقوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [1]

ولا بقول الشاعر :

فغضّ الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا

... أما زوجات النبي ﷺ ورضي الله عنهن ، فتعاليمهن في هذا المجال كثيرة ، منها قول أم سلمة :

(حماديات النساء غض الأطراف)

أي غاية ما يحمد من النساء أن يغضضن من أبصارهن مطرقات راميات بأبصارهن إلى الأرض ، لا يحدّقن في الرجال الأجانب عنهنّ ...

... أما الشعراء فقد أدْلَو دلوهم في ذلك ... قال الشاعر :

ناري ونارُ الجار واحدة وإليه قبلي تنزلُ القدرُ

---

[1] سورة النساء : / ٣٠ / .

مـــا ضـــر لي جـــاراً أجـــاورهُ ألاّ يكـــــون لبابـــــه ســـــترُ
أعمـــى إذا مـــا جـــارتي بـــرزتْ حـــتى يـــواريَ جـــارتي الخـــدرُ

[الأخلاق الإسلامية للناشئة : ١/٧٥]

من وفاء النساء ...

روى ابن قيم الجوزية – رحمه الله – قـــال : قـــال الأصـــمعي : قـــال لي الرشيد : امض إلى بادية البصرة فخذ من تحـــف كلامهـــم وطـــرف حـــديثهم، فانحدرت ، فنـــزلت على صديق لي بالبصرة ، ثم بكرت أنـــا وهـــو إلى المقـــابر ، فلما صرت إليها إذا بجارية ، نادى إلينا ريـــح عطرهـــا قبـــل الـــدنّو منـــها ، عليها ثياب مصبغات وحلى ، وهي تبكي بكاءً شديداً ، فقلـــت : يـــا جاريـــة ما شأنك ؟ فأنشأت تقول :

فإن تسألاني فـــيمَ حـــزني ؟ فـــإنني رهينـــةُ هـــذا القـــبرِ يـــا فتيـــانِ
أهابُكَ إجلالاً، وإن كنـــتَ في الثـــرى مخافـــة يـــومٍ أن يَـــسُؤْكَ مكـــاني
وإني لأســـتحييكَ ، والتـــربُ بيننـــا كما كنتُ أستحييكَ حين تـــراني !

فقلنا لها : ما رأينا أكثر من التفـــاوت بـــين زيّـــك وحزنـــك فـــأخبري بشأنك ؟ فأنشأت تقول :

أزور قـــبرك في حِلْـــيٍ وفي حلـــلٍ كأنني لستُ مـــن أهـــل المـــصيباتِ
فمـــن رآني ، أرى عـــبرىً مفجعـــةً مشهورة الزّي تبكي بـــين أمـــواتِ

فقلنا لها : وما الرجل منك ؟ قالت : زوجي ، وكان يحب أن يراني في مثل هذا الزي ، فآليتُ على نفسي ألاّ أغشى قبره إلا في مثل هذا الزّي لأنه كان يحبه أيام حياته وأنكرتماه أنتما علي !!.

قال الأصمعي : فسألتها عن خبرها ومنزلها ، وأتيت الرشيد فحدثته بما سمعت ورأيت ، حتى حدثته حديث الجارية ، فقال : لا بد أن ترجع حتى تخطبها إليّ من وليّها ، وتحملها إليّ ، ولا يكون من ذلك بدّ ، ووجه معي خادماً ومالاً كثيراً ، فرجعت إلى قومها فأخبرتهم الخبر ، فأجابوا وزوجوها من أمير المؤمنين وحملوها معنا وهي لا تعلم ، فلما صرنا إلى (المدائن) نما إليها الخبر ، فشهقت شهقة فماتت ، فدفناها هنالك ، وسرت إلى الرشيد ، فأخبرته الخبر ، فما ذكرها وقتاً من الأوقات إلا بكى أسفاً عليها .

[أخبار النساء : ١٠٧]

يا لشجاعة خولة !! ...

خولة بنت الأزور ، الشجاعة ابنة الشجاع وأخت الشجاع ، حضرت حروب المسلمين والروم ، وكان القائد سيف الله خالد بن الوليد ﷺ ، ولما احتدمت المعركة رأى خالد فارساً طويلاً يرتدي اللباس السوداء، وقد غطّى وجهه ولم يبق إلا عينيه ، وعلى وسطه حزام ، وينقضّ على الروم انقضاض الأسود إذا ديس عرينها ، فيعجب خالد ، ويلحق خالد هذا الفارس ليعرف من هو ، لكن الفارس ما يلبث يغدو ويروح ، يقاتل

الروم قتال الصناديد ، ولما لحق خالد بهذا الفارس ، قال: ناشدتك الله من أنت ؟!.

فأجاب الفارس الملّثم : أنا ... خولة بنت الأزور ، أُسر أخي ضرار، فجئت أقاتل في سبيل الله !!.

ولما انتهت المعركة ، عادت خولة حزينة لأنها لم تجد أخاها ضراراً ، فبكت بكاءً مرّاً وقالت : ليتني أعرف مكانك لجئت إليك ، عليك مني السلام يا ضرار !!.

أبعد أخي تلذ الغمض عيني وكيف ينام مقروح الجفون ؟
وإني إن يقال مضى ضرار لباكية بمنسجم هتون

هنا ، نظر خالد فإذا فرقة من الروم تنقضّ على المسلمين ، فصاح خالد بالمسلمين أن استعدوا ، وبعد عراكٍ قويّ استسلمت الفرقة الرومانية وألقت سلاحها طالبةً الأمان فسألهم خالد عن ضرار فقالوا :

لقد قتل ضرار ابن عاهلنا وقتل منا عدداً عظيماً ، فتكاثرنا عليه وأسرناه ، وبعثناه إلى عاهلنا لينتقم منه !!. ولقد أرسلنا معه مائة فارس إلى حمص ، والطريق طويل فدعا خالد (رافع بن عميرة) وقال له : ما أعلم أحداً أخبر منك بالمسالك ، وما في الأرض من هو أكثر منك حيلة وتدبيراً، فاختر مائة فارس والحق بهم .

ورجت خولة خالداً أن يسمح لها بالذهاب معهم ، وساروا على بركة الله ، حتى وصلوا (سلمية) وهي تابعة لمحافظة حماة فقال رافع : أبشروا فالقوم لم يصلوا بعد .

فكمنوا لهم حتى اقتربوا ، وكان وسطهم الأسير ضرار ، فكبّرت خولة بنت الأزور فدوّى الوادي ، وكبّر المسلمون ، وطارت خولة كالشهاب الثاقب ، وما هي إلا لحظات حتى قتل الروم وأسر البقية منه، واستطاعت خولة أن تفك أخاها من الأسر ، وعادوا إلى خالد بن الوليد.

... وفي وقعة (صحورا) من أعمال الشام ، وقعت خولة في الأسر مع عدد من النساء المسلمات : فوقفت خولت تخطب الأسيرات : يا نساء المسلمين ، يا بنات تبع وحمير ، أترضين لأنفسكّن علوج الروم ؟ أترضين أن يكون أولادكم عبيداً لهم يسومونهم الخسف والذل ؟ أين شجاعتكن ؟ أين إباء العرب ، أين كرامة الإسلام ؟ أين شجاعتكن التي تتحدث بها أحياء العرب ومحاضر الحَضَر ؟ إن الموت أهون عليكن من خدمة الروم !!.

فقالت عفراء : صدقت والله يا بنة الأزور ، لكننا كالغنم بدون سلاح ، فماذا سنعمل ؟

فقالت خولة: يا بنات التباعية ، خُذن أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب ، ولنعمل بها على هؤلاء اللئام ، فإما الشهادة وإما النجاة ، والله ناصر من ينصره ، ولنخلص أنفسنا من العار قبل أن يجللنا أو يجلل إحدانا ، ولنصدق في اللقاء ، ولنتكل على الله ...

وحُددّت ساعة الصفر لتنفيذ العملية الجريئة ، وقـادت خولـة الأسـرات وقالت : إياكن والضعف والفرار ، لـنكن جميعـاً ، ولا يفتـرق بعـضنا عـن بعض ، حتى لا يقع علينا التـشتيت ، واحطمـن رمـاح القـوم ، واكـسرن سيوفهم ، وكبّرن في القتال ، واصبرن فالله مع الصابرين ...

وانقضوا على الروم ، لتكون الـصدمة الأولى ، فاعتقلـت خولـة رمحـاً، وأخذت تقاتل به ... وهكذا تخلصّ النسوة من الأسر .

توفيت خولة البطلة الشجاعة في خلافة عثمان رضي الله عنهم .

... فهل يُعجب هـذا المثـال المتـشددين المتـنطعين ممـن تـستروا وراء الدين، والذين نادوا أن على المرأة أن تحتجب في بيتـها ضـمن غرفـةٍ مظلمـةٍ ... ولا تخرج حتى توارى في قبرها !!؟؟

وهل يعجب هذا المثال – مـن الرعيـل الأول - أولئـك الـذين رفعـوا لواءً كُتب عليه : الإسلام ظلم المـرأة ، ووضـعها في الدوّنيـة وحرمهـا مـن الحياة ، ومنعها من ممارسة حقوقها !!.

... إن هذا شيء عُجاب !! [1] .

---

[1] للتوسع يراجع كتابنا : دوحة الصالحات .

الحَقّ ...

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ : أيّ الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال : " زوجها "

قلت : فأي الناس أعظم حقاً على الرجل ؟

قال : " أمه " .

[رواه الحاكم]

هلْ أتاكَ خَبَرُ (أمّ ربيعة) ؟ ...

روى الحافظ الخطيب البغدادي قال : قيل إنّ (فروخاً) أبا عبد الرحمن : (أبا ربيعة) خرج في البعوث إلى خرسان أيام بني أمية غازياً ، و(ربيعة) حمل في بطن أمه ، وخلف عند زوجه أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة ، وهو راكب فرساً ، في يده رمح ، فنزل عن فرسه ثم دفع برمحه باب منزله ، فخرج (ربيعة) فقال له : يا عدو الله أتهجم على منزلي ؟ فقال : لا . وقال فروخ : يا عدو الله ، أنت رجل دخلت حرمتي ، فتواثبا ولبّب – أمسك - كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران ، فبلغ ذلك الإمام (مالك بن أنس) والمشيخة ، فأتوا يعينون (ربيعة) ، فجعل (ربيعة) يقول : والله لا فارقتك إلا عند السلطان ، وأنت مع امرأتي ، وكثر الضجيج ، فلما بصروا (بمالك) سكت الناس كلهم ، فقال (مالك) : أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار ،

فقال الشيخ : هذه داري وأنا (فروخ) مولى بني فلان ، فسمعت امرأته كلامه ، فخرجت ، فقالت : هذا زوجي ، وهذا ابني الذي خلفته وأنا حامل به ، فاعتنقا وبكيا ...

فدخل (فروخ) المنزل وقال : هذا ابني ؟ قالت : نعم !!.

قال : فأخرجي المال الذي لي عندك ، وهذه معي أربعة آلاف دينار ، فقالت : المال دفعته ، وأنا أخرجه بعد أيام . فخرج (ربيعة) إلى المسجد وجلس في حلقته ، وأتاه (مالك بن أنس) و(الحسين بن زيد) وأشراف المدينة وأحاط الناس به ، فقالت امرأته : اخرج فصلّ في مسجد رسول الله ﷺ فخرج فصلى ، فنظر إلى حلقة وافرة ، فأتاها فوقف عليه ففرجوا له قليلاً ، ونكس (ربيعة) رأسه يوهمه أنه لم يره ، وعليه قلنسوة طويلة ، فشكّ فيه (أبو عبد الرحمن) .

فقال : من هذا الرجل ؟ فقالوا : هذا (ربيعة بن أبي عبد الرحمن) .

فقال : لقد رفع الله ابني . فرجع إلى منزله .

فقال لوالدته : لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها .

فقالت أمه : أيما أحب إليك، ثلاثون ألف دينار . أو هذا الذي هو فيه من الجاه ؟

قال : لا والله هذا .

قالت : فإني قد أنفقت المال كله عليه .

قال : فوالله ما ضيعته ؟

[تاريخ بغداد : ٨/٤٢١]

لوْ كنتِ ذكّرتني لفَعَلْت !!...

روى حجة الإسلام الغزالي عن محمد بن المنكدر ، عن أمّ درة ــ وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها ــ قالت :

إن معاوية بعث إليها بمال في غرارتين ، ثمانين ومائة ألف درهم ، فدعت بطبق ، فجعلت تقسمه بين الناس ، فلما أمست ، قالت : يا جارية ، هلّمي فطوري ، فجاءها بخبز وزيت !!.

فقالت لها أم درة : ما استطعت فيما قسمت اليوم ، أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه ؟

فقالت : لو كنت ذكّرتني لفعلت !!.

[إحياء علوم الدين : ٤/٢٤]

هل من غداء ؟ ...

خرج معاوية متنـزّها ، فمرّ بحواء [1] ضخم ، فقصد بيتاً منه ، فإذا بفنائه امرأة برزة [2] ، فقال لها : هل من غداء ؟

قالت : نعم ، حاضر ، قال : وما غداؤك ؟ قالت : خبزٌ خمير ، وماء نمير ، وحيس [3] فطير ، ولبن هجير [4] . فثنى وركه ونزل ، فلما تغدّى ، قال : هل لك من حاجة ، فذكرت حاجة أهل الحواء ، قال: هات حاجتك في خاصة نفسك .

قالت : يا أمير المؤمنين ، إني أكره أن تنزل وادياً فيرفّ [5] أوّله ويقفّ [6] آخره ...

[جواهر الأدب : ٤١٥/١]

---

(١) الحواء ككتاب : جماعة البيوت المتدانية .

(٢) الكهلة الجليلة التي تبرز للقوم وتحدثهم مع العفة .

(٣) الحيس : تمر يخلط بسمن ولبن مخضوض .

(٤) الهجير : الخاثر من اللبن .

(٥) رفّ النبات : اهتزّ .

(٦) قفّ النبات : يبس .

هل النّكاحُ في العدّةِ صحيحٌ أمْ فاسد ؟ ...

حرّم الله النكاح في العدة ، وأوجب التربص على الزوجة ، سواءً كان ذلك في عدة الطلاق ، أو في عدة الوفاة ، وقد دلت الآية وهي قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾[1]

على تحريم العقد على المعتدة ، واتفق العلماء على أن العقد فاسد ويجب فسخه لنهي الله عنه ، وإذا عقد وبنى بها فُسخ النكاح ، وحرمت على التأبيد عند (مالك وأحمد) فلا يحلّ نكاحها أبداً عندهما لقضاء عمر ﷺ بذلك ، ولأنه استحل ما لا يحلّ فعوقب بحرمانه ، كالقاتل يعاقب بحرمانه من الميراث .

وقال (أبو حنيفة والشافعي) :

يُفسخ النكاح ، فإذا خرجت من العّدة كان العاقد خاطباً من الخطاب ولم يتأبّد التحريم ، لأن الأصل أنها لا تحرم إلا بدليلٍ من كتاب أو سنة أو جماعة ، وليس في المسألة شيء من هذا .

وقالوا : إن الزنى أعظم من النكاح في العدة ، فإذا كان الزنى لا يحرمها عليه مؤبداً ، فالوطء بشبهة أحرى بعدم التحريم ، وما نقل عن عمر فقد ثبت رجوعه عنه :

---

[1] سورة البقرة : / ٢٣٥ / .

ففي تفسير أحكام القرآن للجصاص : ١/٥٠٤

وفي تفسير الإمام القرطبي : ٣/١٩٤

روى ابن المبارك بسنده عن مسروق أنه قال :

بلغ عمر - ﷺ - أن امرأة من قريش تزوجها رجل من ثقيف في عدتها ، فأرسل إليهما ففرّق بينهما وعاقبهما ، وقال : لا ينكحها أبداً ، وجعل الصداق في بيت المال ، وفشا ذلك بين الناس ، فبلغ علياً - كرم الله وجهه - فقال : يرحم الله أمير المؤمنين ! ما بال الصداق وبيت المال، إنما جهلا فينبغي أن يردّهما السنّة .

قيل : فما تقول أنت فيهما ؟

قال : لها الصداق بما استحل من فرجها ، ويفرق بينهما ، ولا جلد عليهما ، وتكمل عدتها من الأول ثم تعتد من الثاني عدّة كاملة ، ثم يخطبها إن شاء .

فبلغ ذلك عمر - ﷺ - فقال :

يا أيها الناس ردّوا الجهالات إلى السنة !!.

[روائع البيان في تفسير الأحكام : ١/٣٧٨]

غيرة المرأة كفر !! ...

هنالك سببان رئيسيان لغيرة الزوجة :

1- حبّ الزوج والخوف من فقده ، وهذا ما عبّر عنه جعفر الصادق عندما سأله أحدهم : المرأة تغار على الرجل فتؤذيه ؟

فقال : إن ذلك من الحبّ .

فقد تغار عليه على أساس أنها تحبه ، وتخشى أن تفقده ، وتخشى أن تأخذه منها امرأة أخرى ، لا سيما أن الرجل يجوز له أن يتزوج امرأة ثانية وثالثة ... فالغيرة هنا ، تعدّ حالةً طبيعيةً ، بالنظر إلى أنها تنطلق من محبة هذه المرأة لزوجها ، وخشيتها من أن تفقده ، بعيداً عما يمكن أن تؤدي إليه هذه الغيرة من تطرّف في الاتجاه الحادّ ، بحيث تتحرك المرأة لتواجه المسألة على أساس تحريم ما أحله الله ...

والإسلام لا يتدخل في الحالات النفسية للمرأة ، فالمرأة قد لا ترتاح إذا تزوج زوجها بامرأة أخرى ، والإسلام لا يحاسبها على عدم راحتها ، ولكنه يحاسبها على تصرفاتها السلبية التي قد تؤدي إلى أن تمنع زوجها من حقه ، أو أن تؤذيه في ما ليس لها الحق في إيذائه ، ومن هنا جاء في الأثر على لسان عليّ – كرم الله وجهه – : غيرة المرأة كفر !!.

وليس معنى ذلك أنها كفر بمعنى الكفر ، ولكنها تؤدي إلى بعض أجواء الكفر ، وهو تحريم ما أحلّه الله ، لأن المرأة تتطرف مشاعرها السلبية إزاء زواج زوجها من امرأة ثانية ، فتتصرف وكأن هذا الأمر محرّم ، أو

كأن زوجها قد زنا ، وتستعظم هذا الموضوع ، الأمر الذي يدفع إلى أن يكون هذا الاستعظام بمثابة اعتراض على التشريع .

واعتراضٍ على الله سبحانه وتعالى ، في تشريعه هذا الأمر ، بالنظر إلى أن بعض النساء قد يرين ذلك ظلماً وما إلى ذلك ، بقطع النظر عن المبررات الشرعية لذلك .

2- طبيعة تصرفات الرجل ، خصوصاً إذا كان ناجحاً ومحلّ إعجاب النساء ، أو إذا كان ممن يعيشون نزوات معينة ، وما إلى ذلك ، كل هذا يثير غيرة المرأة على زوجها . ونحن نقول : الغيرة حالة إنسانية، وكل إنسان يعيش غريزة التملك سواء الرجل أو المرأة ، فهو يحب أن يمتلك عاطفتها وعقلها ، وهي تحب أن تملكه في عقله وعاطفته ، وعلينا أن نعدَّ العلاقات الإنسانية علاقات متحركة ومفتوحة لا يمكن أن نضبطها بضوابط حديدية ...

لذا لا بد أن يتم التصرّف في مسألة الغيرة بشكل هادئ عاقل موزون ، لأن الحسابات الدقيقة في ما تدرسه المرأة من أوضاع زوجها العقلية والنفسية والحياتية ونزواته وأوضاعه ، قد يفرض عليها إذا أرادت أن تحتفظ بزوجها أن تترك له بعض حياته في ما أحلّه الله – أن تهمل في بعض الحالات ، وتحاسب في بعض الحالات – ولكن حساباً خفيفاً ، يشعر فيه الرجل بلهفة الحب بدلاً من حالة الحقد ...

والمسألة الإنسانية – كلها – يمكن فيها أن يربح قلب إنسان بالكلمة الطيبة والمعاشرة الطيبة ، أكثر مما يمكن أن يربح قلبه وحياته بالأسلوب الضاغط الحاد ، وهذا ما نجده في قول الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1] .

فالكلمة الطيبة صدقة ، والكلمة الطيبة هي التي تفتح القلب ، لذلك على الزوجين اللذين يعيشان الغيرة التي قد تكون في أغلب حالاتها منطقية من عاطفة حب عميق ، أن يعرفا كيف يعالجان المشكلة ، التي يمكن أن تجعل الحياة الزوجية أكثر انفتاحاً وسعادة وإنسانية ، بدلاً من أن يواجهها – الرجل والمرأة – بطريقة تُسقط الحياة الزوجية ، وتهدمها على رؤوس الجميع ...

[بتصرف من تأملات إسلامية حول المرأة :٩٩]

معَ الوَرِعَةِ ... التّقية ...

كان مولدها في مطلع القرن الثاني الهجري ، وعاشت حياةً مليئة بالحب والوجد ، والعشق الإلهي ، من مناجاتها الكثيرة : يا رب أتحرق بالنار قلباً يحبك ، ولساناً يذكرك ، وعبداً يخشاك ؟

ثم يهتف قلبها المشتعل بالحب والشوق :

إن كنت أعبدك خوفاً من أجل محبتك ، فامنحني الجزاء الأكبر ، امنحني مشاهدة وجهك ذي الجلال والإكرام ...

---

(1) سورة الإسراء : / ٥٣ / .

ولقد روى الكلاباذي : أنه دخل جماعة عليها يعودونها من شكوى، فقالوا : ما حالك ؟!.

قالت : والله ما أعرف لعلتي سبباً ، عرضت عليّ الجنة فملت بقلبي إليها ، فأحسب أن مولاي غار عليّ فعاتبني فله العتبى !!.

ولقد روى العطار : أنها كانت تنوح باستمرار ، فسئلت لماذا تنوحين وما ثمة ألم ، عساك تشتكين منه ؟ فأجابت : واحسرتاه ، والعلّة التي أشكوها ليست مما يستطيع الطبيب علاجه ، وما يغنيني على احتمال هذه العلة إلا رجائي أن أحقق غايتي هاتيك في العالم الآخر ، وهي أن أرى وجهه الكريم .

ويروي المناوي في طبقاته ، أن سفيان الثوري ﷺ قال لها يوماً ما حقيقة إيمانك ؟ قالت : ما عبدته خوفاً من ناره ، ولا حباً لجنته ، فأكون كالأجير السوء ، وإنما عبدته حباً وشوقاً إليه ...

... إنها رابعة العدوية ، الورعة ، التقية ، الخائفة ، التي قالت يوماً:

وزادي قليلٌ ما أراه مبلّغي ... أللزاد أبكي أو لطول مسافتي ؟
أتحرقني بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائي فيك ؟ أين محبتي ؟!

[واحة الصالحين : ٢٩٥]

شَهِدا عليها – والله – بالزّور !! ...

يُروى أن – دانيال – كان يتيمـاً ، بـلا أب ولا أم ، وأن عجـوزاً مـن بني إسرائيل ضمّته وكفلته ، وأن ملكاً مـن ملـوك بـني إسـرائيل كـان لـه قاضيان ، وكانت امرأة مهيبة جميلة تأتي الملك فتناصـحه وتقـصّ عليـه ، وأن القاضيين عشقاها ، فراوداها عن نفسهما فأبت ، فشهدا عليهـا عنـد الملـك أنها بغت ، فدخل الملك من ذلك أمر عظيم ، واشـتد غمـه ، وكـان معجبـاً بها ، فقال لهما : إن قولكمـا مقبـول ، وأجلـها ثلاثـة أيـام ، ثم يرجموهـا ونادى في البلد : احضروا رجم فلانة ، فأكثر النـاس في ذلـك، وقـال الملـك لثقته : هل عندك حيلة ؟

فقال : ماذا عسى عندي وقد شهد عليها القاضيان ؟

وخرج الرجل ، فإذا هو بغلمان يلعبـون وفـيهم ــ دانيـال ــ وهـو لا يعرفه ، فقال دانيال : يا معشر الصبيان ، تعالوا حتى أكون أنـا الملـك، وأنـت يا فلان المرأة العابدة ، وفلان وفـلان القاضـيان الـشاهدان عليهـا ، ثم جمـع تراباً وجعل سيفاً من قصب ، وقال للصبيان : خـذوا بيـد هـذا القاضـي إلى مكان كذا وكذا ، ففعلوا ، ثم دعا الآخر فقال له : قـل الحـق، فـإن لم تفعـل قتلتك ، بأي شيء تشهد ؟

والوزير واقف ينظر ويسمع ، فقال: أشهد أنها بغت . قال : متى ؟

قال: في يوم كذا وكذا ، قال : مع من ؟ قال : فلان بـن فـلان ، قـال : في أي مكان ؟ قال : في مكان كذا وكذا .

فقال : ردوه إلى مكانه ، وهـاتوا الآخـر . فـسأله الأسـئلة نفـسها ، فخالف صاحبه ، فقال دانيال : الله أكبر ، شـهدا عليهـا ـــ والله ـــ بـالزور ، فاحضروا قتلهما !!

فذهب الوزير إلى الملك ، وأخبره بالخبر ، فبعـث إلى القاضـيين ، ففـرّق بينهما ، وفعل بهما ما فعل دانيال فاختلفا كمـا اختلـف الغلامـان ، فنـادى الملك في الناس أن احضروا قتل القاضيين . فقتلهما !!.

[صفوة الأخبار ومنتقى الآثار : ٣١٧]

كتمت حبّك ...

كتمتُ حُبّك حـتى منـكِ تكرمـةً	ثم استوى فيـه إسـراري وإعـلاني
كأنه زادَ حتى فاض عـن جـسدي	فصار سقمي به في جـسم كتمـاني

[ديوان المتنبي : ٢٦]

ما هي مسؤولية الأبوين ؟ ...

1- أن يرشدهم – الأبناء – إلى الإيمان بالله ، وقدرته المعجزة ، وإبداعه الرائع : عن طريق التأمل والتفكر ، ولقد ركز كتاب الله تعالى على ذلك :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾[2] .

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا

---

[1] سورة البقرة : / ١٦٤ / .

[2] سورة الطارق : / ٥-١٠ / .

فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾[1] .

2- أن يغرسوا في نفوسهم روح الخشوع والتقوى والعبودية لله رب العالمين ، ولقد مجدّ القرآن هذه الصفات :

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾[2] .

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾[3] .

﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾[4] .

﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾[5] .

وقوله ﷺ فيما يرويه الطبراني :

" اقرؤوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا "

---

(1) سورة ق : / ٥-٨ / .

(2) سورة الزمر : / ٢٣ / .

(3) سورة المؤمنون : / ١-٢ / .

(4) سورة الحديد : / ١٦ / .

(5) سورة الحج : / ٣٤-٣٥ / .

3- أن يربوا فيهم روح المراقبة لله تعالى في كلّ تصرفاهم وأحوالهم ؛ أن يعلّم الولد أن الله مطلع على كل صغيرة وكبيرة ، على السر وأخفى ، ثم يعلّمه الإخلاص لله في جميع الأعمال والأقوال :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ (١) .

وقوله ﷺ : " إن الله- عزَّ وجلَّ - لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه " (٢) .

والترويض على المراقبة يكون في كل الأحوال ، وهو يفكر وهو يحسّ ، لذلك كان معنى الإحسان :

" أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " (٣) .

وقد أشار البيان الإلهي إلى ذلك :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة البيّنة : / ٥ / .

(٢) رواه أبو داود والنسائي .

(٣) رواه البخاري .

(٤) سورة الأعراف : / ٢٠١ / .

وهذا ديدن علماء التربية والأخلاق – في بلاد الغرب – ذاك الأديب الفرنسي الشهير (فولتير) يسخر من الملحدين الماديين المتشككين فيقول :

" لم تتشككون في الله ؟ ولولاه لخانتني زوجتي ، وسرقني خادمي!!"

أما (كانت) الفيلسوف المشهور فيقول :

" لا وجود للأخلاق دون اعتقادات ثلاثة : وجود الإله ، وخلود الروح ، والحساب بعد الموت " .

[تربية الأولاد في الإسلام : ١/١٦٠]

حينَ جئنا لآلِ بيتِ محمّدِ ...

حين وصل خبر وفاة رسول الله ﷺ إلى صفية بنت عبد المطلب – عمته – بكت بكاءً شديداً ، ثم قالت ترثي رسول الله ﷺ :

لهف نفسي وبت كالمسلوب ... أرقب الليل فعلة المحروب
من هموم وحسرة أرّقتني ... ليت أني سقيتها بشعوب
حين قالوا إن الرسول قد أمسى ... وافقته منية المكتوب
حين جئنا لآل بيت محمدِ ... فأشاب القذال مني مشيبي
حين رأينا بيوته موحشات ... ليس فيهن بعد عيش حبيبي
فعراني لذاك حزن طويل ... خالط القلب فهو كالمرعوب

[الطبقات الكبرى : ٧/٨٨]

هذه خَولةُ بنتُ حَكيم ...

خرج عمر بن الخطاب ﷺ من المسجد والجارود العبدي معه ، فبينما هما خارجان إذ بامرأة على ظهر الطريق ، فسلّم عليها فردّت عليه، ثم قالت : رويدك ياعمر حتى أكلمك كلمات قليلة .

قال لها : قولي ، فقالت له : يا عمر عهدي بك وأنت تُسمى (عميراً) في سوق عكاظ تصارع الفتيان ، فلم تذهب الأيام حتى سُميت (عمر) ثم لم تذهب الأيام حتى سُميت أمير المؤمنين ، فاتق الله في الرعية ، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت !!.

فقال الجارود : هيه ، قد اجترأت على أمير المؤمنين ، فقال عمر : دعها ، أما تعرف هذه يا جارود ؟ هذه (خولة بنت حكيم) التي سمع الله قولها من فوق سمائه ،فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها. وأراد بذلك قوله تعالى :

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [1] .

[مختصر منهاج القاصدين: ١٢٨]

---

[1] سورة المجادلة : / ١ / .

إلى المتشدّدين في تعليم المرأة !! ...

إن من الناس اليوم من ينادون بترك المرأة جاهلةً ، تحت غطاء الغيرة تارةً وتحت غطاء شرعي – حسب زعمهم – تارةً أخرى ، لكن أنأخذ عن أولئك ، أم نأخذ عن الرعيل الأول من أمهات المؤمنين ، ونساء الصحابة ؟!.

يقول الحافظ الذهبي :

(مسند السيدة عائشة رضي الله عنها يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث ، اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً ، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين ، وانفرد الإمام بتسعة وتسعين !!.

أما الذين رووا عنها الأحاديث :

فمن الرجال (١٥٨) رجلاً ، وقد عدد أسماءهم الحافظ الذهبي تفصيلاً .

أما النساء (١٨) منهن : خيرة والدة الحسن البصري ، وبنت طلحة ، ومرجانة ، ومعاذة العدوية ...) (١) .

هذا هو رأي الإسلام في تعلُّم المرأة وتعليمها ، وهذه أم المؤمنين ، فبمن نقتدي اليوم !؟.

(١) بتصرف من سير النبلاء جزء خاص عن عائشة : ١٩ .

يا أبتاه !! ...

روى ابن عبد الله : وقفت فاطمة الزهراء عليها السلام على قبر أبيها ﷺ فقالت :

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها : وغاب مُذ غبت عنّا الوحي والكُتب

فليت قبلك كان الموت صادفنا لّما نُعيت وحالت دونك الكثبُ

وقال أنس بن مالك ﷺ :

لما فرغنا من دفن رسول الله ﷺ أقبلت عليّ فاطمة فقالت : يا أنس، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على وجه رسول الله ﷺ التراب ؟

ثم بكت ونادت : يا أبتاه ! أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه مِنْ ربّه ما أدناه ، يا أبتاه من ربُّه ناداه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه ، ثمّ بكت وقالت :

اغبر آفاق السماء وكوّرت شمس النهار وأظلم العصران

فالأرض من بعد النبي كئيبةٌ أسفاً عليه كثيرة الرجفان

فليبكه شرق البلاد وغربُها ولتبكه مضرٌ وكلّ يمانِ

وليبكه الطود العظيمُ وجوده والبيتُ ذو الأستار والأركان[1]

يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه صلى عليك منزّل القرآن

ووقفت فاطمة على قبر النبي ﷺ ، وأخذت قبضة من تراب القبر ، فوضعتها على عينيها وبكت وقالت :

ماذا على من شمّ تربةَ أحمدٍ ألاّ يشمّ مدى الزمان غواليا[2]

---

(1) الطود : جبل عرفات ، والبيت : البيت الحرام .

(2) غوالي : دواهي .

صبّت عليّ مصائب لو أنها صبّت على الأيام صرن لياليا

وكانت وفاتها بعد رسول الله ﷺ بثلاثة أشهر ، وقيل بعد ثمانية ، وقيل بعد شهرٍ واحد فقط ، والصحيح المشهور أنها توفيت ليلة الثلاثاء ٣ رمضان سنة ١١هـ وهي ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها .

[أخبار النساء في العقد الفريد : ١٨٤]

البر بعد الموت ...

روى الإمام البخاري بسنده المتصل إلى أسيد بن علي بن عبيد عن أبيه أنه سمع أبا أسيد يحدّث القوم قال : كنا عند النبي ﷺ ، فقال رجل : يا رسول الله هل بقي من برّ أبويَّ شيء بعد موتهما أبرّهما ؟.

قال : " نعم ؛ خصال أربع: الدعاء لهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهم".

وعن أبي هريرة ﷺ قال : تُرفع للميت بعد موته درجته ، فيقول : أي رب : أي شيء هذه ؟ فيقال : ولدك ، استغفر لك (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رجلاً قال : يا رسول الله : إن أمي توُفيت ولم توصِ ، أفينفعها أن أتصدّق عنها ؟ قال : " نعم " (٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : " إذا مات العبد انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولدٍ صالح يدعو له " (١) .

---

(١) أخرجه ابن ماجه ومالك في الموطأ .

(٢) أخرجه الترمذي في السنن .

(١) أخرجه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وأحمد .

ملك الموت أم الحجاج ...؟

روى الحافظ ابن الجوزي رحمه الله :

قال زهير بن حسن مولى الربيع بن يونس : قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فصلى عنده ركعتين ، وركب الوليد ، فمشى الحجاج بين يديه ، فقال له الوليد : اركب يا أبا محمد .

فقال : يا أمير المؤمنين ، دعني أستكثر من الجهاد ، فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عن الجهاد زمناً طويلاً ، فعزم عليه الوليد أن يركب ودخل ، فركب مع الوليد ، فبينما هو يتحدث ويقول : ما فعلت بأهل العراق وفعلت ، أقبلت جارية فنادت الوليد ثم انصرفت ، فقال الوليد : يا أبا محمد ، أتدري ما قالت الجارية ، قال : لا ، قال : قالت أرسلتني إليك (أم البنين) بنت عبد العزيز بن مروان ، أن مجالستك هذا الأعرابي وهو في سلاحه وأنت في غلاله غرر ، فأرسلت إليها أنه الحجاج بن يوسف فراعها ذلك .

وقالت : والله لأن يخلو بك ملك الموت أحبّ إليّ من أن يخلو بك الحجاج ، وقد قتل أحباء الله له وأهل طاعته ظلماً وعدواناً .

فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين ، إنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة لا تطلعهن على سرك ، ولا تستعملهن بأكثر من وثبهن ، ولا تكثر مجالستهن صغاراً وذلائم ، ثم نهض فخرج ، ودخل الوليد على أم البنين، فأخبرها بمقالته ، فقالت : إني أحبّ أن تأمره بالتسليم عليّ فسيبلغك بالذي يكون بيني وبينه . فغدا الحجاج على الوليد .

فقال الوليد : ائت أم البنين ، فقال : أعفني ، قال : فلتفعلن ، فأتاها ، فحجبته طويلاً ، ثم أذنت له ، ثم قالت : يا حجاج أنت تفخر على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث ، أما والله لولا أن الله علم أنك أهون خلقه عليه ما ابتلاك بقتل ابن ذات النطاقين ابن حواري رسول الله ﷺ وابن الأشعث فلعمري لقد استعلى عليك حتى عجعجت وولى عليك الهرار حتى عويت ، فلولا أن أمير المؤمنين نادى في أهل اليمن ، وأنت في أضيق من القرن ، فأظلتك رماحهم وعلاك كفاحهم لكنت مأسوراً قد أخذ الذي فيه عيناك وعلى هذا ، فإن نساء أمير المؤمنين قد نفضن العطر عن غدائرهن وبعنه في أعطية أوليائه ، وأما ما أشرت على أمير المؤمنين من قطع لذاته وبلوغ أوطاره من نسائه ، فإن يكن إنما ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين ، فغير مجيبك إلى ذلك، وإن كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به أمك البظراء عنك من ضعف الغريزة وقبح المنظر في الخلق والخلق ، يالكع ، فما أحقه أن يقتدي بقولك ، قاتل الله الذي يقول :

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة ... فتخاءُ تَنْفر من صَفيرِ الصّافرِ

هلا برزت إلى غزالة في الوغا ... أو قد كان قلبك في جناحَي طائر؟

ثم أمرت جارية لها ، فأخرجته ، فلما دخل على الوليد ، قال : ما كنت فيه يا أبا محمد ؟

فقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إليّ من ظهرها . قال : إنها بنت عبد العزيز .

[الأذكياء : ٢٤١]

قصّة الدجاجة ...

روى العلامة الأبشيهي : أن رجلاً جلس يوماً يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية ، فوقف سائل ببابه ، فخرج إليه وانتهره ، فذهب . فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته ، وطلق زوجته ، وتزوجت بعده رجلاً آخر ، فجلس يأكل معها في بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية ، وإذا بسائل يطرق الباب ، فقال الرجل لزوجته : ادفعي إليه هذه الدجاجة . فخرجت بها إليه ، فإذا هو زوجها الأول ، فدفعت إليه الدجاجة ورجعت باكية ، فسألها زوجها عن بكائها. فأخبرته أن السائل الأول كان زوجها ، وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول ، فقال لها زوجها : أنا والله ذلك السائل !!.

[المستطرف : ١٦]

من أحكام الرضاعة ...

كل ما يحرم من النسب يحرم من الرضاع نظيره ، فيحرم على الرجل أن يتزوج أمهاته من الرضاعة وإن علون ، وبناته من الرضاعة وإن سفلن ،

وأخواته من الرضاعة ، وبنات أخواته من الرضاعة وعماته وخالاته من الرضاعة وإن علون دون بناتهن .

فإذا أرضعت امرأة طفلاً الرضاع المعتبر في المدة المعتبرة صارت أماً له بنص كتاب الله ، فتحرم عليه هي وأمهاتها ، وإن علون من نسب أو رضاع ، وتصير بناتها كلهن أخوات له من الرضاعة ، فيحرمن عليه بنصّ القرآن ، وبقية التحريم من الرضاعة استفيد من السنة ، كما استفيد من السنة أن تحريم الجمع لا يختص بالأختين ، بل المرأة وعمتها ، والمرأة وخالتها كذلك ، وإذا كان أولاد المرضعة من نسب أو رضاع أخوةً للمرتضع ، فيحرم عليه بنات إخوته أيضاً ، وقد امتنع النبي ﷺ من تزويج ابنة عمه حمزة وابنة أم سلمة ، وعلل بأن أبويهما كانا أخوين له من الرضاعة (١) .

وتحرم عليه أخوات المرضعة ، لأنهن خالاته ، وينتشر التحريم أيضاً إلى الفحل صاحب اللبن الذي ارتضع منه الطفل ، فيصير صاحب اللبن أبا الطفل ، وتصير أولاده كلهم من المرضعة أو من غيرها من نسب أو رضاع إخوة للمرتضع ، وتصير إخوته أعماماً للطفل المرتضع ، وهذا قول الجمهور من السلف ، وأجمع عليه الأئمة الأربعة ومن بعدهم .

وقد دلّ على ذلك من السنة ما روت عائشة رضي الله عنها : أن (أفلح) أخا أبي القعيس استأذن عليها بعد ما أنزل الحجاب ، قالت عائشة:

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

فقلت : والله لا آذن له حتى أستأذن رسول الله ﷺ ، فــإن أبــا القُعــيس لــيس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأته .

قالت : فلما دخل رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له ، فقال :

" ائذني له ، فإنه عمك تَربت يمينك " (١)

وكان أبو القعيس زوج المرأة التي أرضعت عائشة .

[جامع العلوم والحكم : ٣١١/٢]

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

مصلحة الأم في الإرضاع من الثدي ...

يقول الطب الحديث : إن الإرضاع من الثدي يكون لمصلحة الأم دوماً لأنه :

1ً- يفيد بعملية انطمار الرحم بعد الولادة ، نتيجة منعكس يثيره مصّ الحلمة من قبل الطفل ، فيعود حجم الرحم بسرعة أكبر لحجمه الطبيعي ، وهذا يقلل من الدم النازف بعد الولادة .

2ً- النساء المرضعات أقلّ إصابة بسرطان الثدي من النساء غير المرضعات ، فمن قواعد سرطان الثدي أنه يصيب العذارى أكثر من المتزوجات ، ويصيب المتزوجات قليلات الولادة أكثر من الولودات ، فكلما أكثرت المرأة من الإرضاع قلّ تعرضها لسرطان الثدي .

٣ً- الإرضاع من الثدي هو الطريقة الغريزية المثلى لتنظيم النسل : إذ يؤدي الإرضاع إلى انقطاع الدورة الطمثية بشكل غريزي ، ويوفر على المرأة التي ترغب في تأجيل الحمل أو تنظيم النسل ، خطر الوسائل التي قد تلجأ إليها كالحبوب ، والحقن ، واللولب ... أما آلية ذلك ، فهي أن مصّ حلمة الثدي ، يحرّض على إفراز هرمون البرولاكتين من الفص الأمامي للغدة النخامية ، والبرولاكتين : ينبه الوظيفة الإفرازية لغدة الثدي ، ويؤدي إلى نقص إفراز المنميات التناسلية المسؤولة عن التغيرات الدورية في المبيض ، وهذا ما يحصل عند (٦٠%) من النساء المرضعات .

[مع الطب في القرآن الكريم : ١٠٢]

أحسن من قينة ومزمار !! ...

قال ذو النون المصري - رحمه الله - ضاق صدري في بعض الأيام ، فخرجت أتمشى على شط النيل ، فمرّ بخاطري العبور إلى ذلك الجانب ، فركبت سفينة وجعلت رأسي بين ركبتيّ فلم أرفعها حتى توسطت البحر، فلما رفعت رأسي ، رأيت عن يميني جارية ذات حسن وجمال في حجرها عود وبين يديها خمر ، وعن يمينها شاب حسن الشباب نقي الأثواب ، فقلت في نفسي : بعد عبادة سبعين سنة وقعت في هذه السفينة بين قوم خمارين يعصون الله بالأجهار ، فالتفتت إليّ الجارية وقالت : يا شيخ تشرب شيئاً ؟ فقلت : إن سقاني مولاي شيئاً شربت ، فأشارت الجارية إلى الغلام ، املأ له الكأس واسقه ، فملأ الكأس وأعطاني ، فلما حصل الكأس في يدي لحقني وجد ، فقالت الجارية : يا شيخ لا تشرب من شرابنا ، أتريد أن أغني لك حتى تشرب أو تغني أنت لنا حتى نشرب ، فقلت : بل أنا أغني لكم حتى تشربوا ، فقالت : غنِّ لنا حتى نسمع غناءك ، فقلت :

أحسن من قينة ومزمار ... في ظلمة الليل نغمة القاري
يا حسن والجليل يسمعه ... بحسن صوت ودمعه جاري
وخدّه في التراب عفرّه ... وقلبه في محبة الباري
يقول يا سيدي ويا أملي ... أشغلني عنك ثقل أوزاري
اغفر ذنوبي لأنها عظمت ... ولم تزل يا جليل غفاري
ذاك غدا في الجنان مسكنه ... بدار قدس بقرب جبار
يسكن مع زوجة تشاكله ... يا حسن مختارة المختار

فلما سمعت الجارية ذلك خرت مغشياً عليها ، فلما أفاقت خلعت ما كان عليها من الديباج وكسرت العود ورمت بالخمر إلى البحر وقالت : يا شيخ إذا تبت إليه يقبلني (١) قلت : نعم ، هكذا قال في محكم الآيات.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢) .

فقبلت يدي وقالت : يا سيدي إن كنت السبب في المصالحة فاسأله العفو والمسامحة . وافترقنا و لم أعد أراها ، ثم بعد سنوات ذهبت إلى الحج، وبينما أنا أطوف إذ بجارية شنعاء متعلقة بأستار الكعبة تبكي وتقول : إلهي ، بسكري البارحة وبخماري إلا ما غفرت اليوم أوزاري ، فقلت : مه يا جارية في مثل هذا المقام تقولين هذا الكلام !! فقالت : إليك عني يا ذا النون ، فقلت : من أخبرك أني ذو النون ؟ فقالت يا شيخ : أنا الجارية التي تبت على يديك في نيل مصر ، فقلت : وأين ذلك الحسن والجمال ؟ فقالت :

ذهبت لذة الصبا في المعاصي ... وبعد ذاك أخذ النواصي
ومضى الحسن والجمال إلى ... عمل أرتجيه يوم الخلاص
غير ظني بالله وهو جميل ... فيه أخلصت غاية الإخلاص

ثم جاءت لي بطبق فيه تين وعنب رطب في غير أوانه ، فوضعته بين يدي ، فاختلج في قلبي أني بعد عبادة سبعين سنة لم أصل إلى ما وصلت إليه

(١) للتوسع عن التوبة والإنابة إلى الله تعالى يراجع كتابنا : التوبة والإنابة عند الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى .
(٢) سورة الشورى : / ٢٥ / .

هذه الجارية ، فقالت : يا شيخ لما أتيتُ إليه واعترفتُ بين يديه رزقني صدق التوكل عليه ، ثم أنشدت :

عش غريباً ولا تذّل لخلق — واطلب الرزق في بلاد الحبيب
ثم سر في البلاد شرقاً وغرباً — وتوكل على القريب المجيب
فعسى أن تنال ما ترتجيه — بيد اللطيف من مكان قريبِ

فالتفت فلم أرها ، فهذه والله صفات التائبين ، وهذه علامات المقربين .

[الروض الفائق : ٢٢٨]

منازل الأحبة الخالية تثير الشوق ! ...

روى ابن القيم – رحمه الله – عن إبراهيم بن حسن بن يزيد عن شيخ من ساكني العقيق [1] قال : إني لواقف بالعقيق ، وقد جاء الحاج ، إذ طلعت امرأة على راحلة وحولها نسوة ، فنظرنا إليها ، فأعجبتنا حالها ، فلما كانت حذاء قصر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، عدلت إلينا ، ونحن ننظر ، فنزلت قصراً من تلك القصور ، فأقامت فيه ساعة ثم خرجت ، فركبت ومضت ، وإن عينيها لتنقطان دموعاً ، فقلت : لأنظر ما صنعت هذه المرأة ؟ فدخلت القصر ، فإذا كتاب يواجهني في الجدار ، فقرأته فإذا هو :

أليس كفى حزناً لذي الشوق أن

---

[1] العقيق : مكان نزه قرب مكة .

منازل من يهــوى معطلــةً قفــرا ؟

بلى ، إن ذا الشوق المؤّكــل بــالهوى

يزيد اشتياقاً كلمــا حــاول الــصبرا

وتحته مكتوب : وكتبته آمنة بنت عمــران بــن عبــد العزيــز ، وكــان سفيان بن عاصم زوجها فتوفي عنها .

[أخبار النساء : ٢٥]

أولٌ.. وأولٌ ... !!

... أول امرأةٍ حُملت في نعش : زينب بنت جحـــش أم المـــؤمنين رضـــي الله عنها ، وقيل هي فاطمة الزهراء .

[أخرجه ابن سعد في الطبقات]

... أول من طاف بين الصفا والمروة : هاجر أم اسماعيـــل عليـــه الـــسلام .

[أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن عباس]

... أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة الكبرى هي : سودة بنت زمعة.

[أخرجه ابن سعد]

... أول فتنة في بني اسرائيل : كانت في النساء .

[أخرجه مسلم]

... أول امرأة قتلت رجلاً من المـــشركين : صـــفية عمـــة رســـول الله ﷺ ، قتلت اليهودي الذي طاف بهم في الحصن عـــام الخنـــدق ، وقـــد جـــبن عنـــه حسان .

[أخرجه البيهقي]

... أول بكر هاجرت : أم كلثوم بنت عقبة بـــن أبي معـــيط ، ولا نعلـــم أحداً من القرشيات خرجت من بين أبويهـــا مـــسلمة مهـــاجرة إلى رســـوله إلا أم كلثوم ، خرجت من مكة وحدها وهاجرت إلى المدينة .

[أخرجه ابن سعد]

... أول ما تسأل المرأة يوم القيامة : عن صلاتها ثم عن بعلها .

[أخرجه أبو الشيخ]

... أول فدائية في تاريخ الإسلام : أسماء بنت أبي بكـــر " ذات النطـــاقين " وذلك في أثناء الهجرة ...

... أول شهيدة في الإسلام : سميّة أم عمار بن ياسر

... أول من كسا الكعبة من نساء مصر : شجرة الدّر

... أول امرأة بايعت من الأنصار : أم عامر الأشهلية وقيل بل هي : أم سعد بن معاذ ، كبشة بنت رافع .

[أخرجه ابن سعد]

أمامة المزيرية ...

ذكر لها ابن هشام في السيرة النبويـــة شـــعراً في قـــصة قتـــل أبي عفـــك المنافق، وكان قد أظهر نفاقه ، فقال رســـول الله ﷺ : مـــن لي بهـــذا الخبيـــث؟ فخرج سالم بن عمير أخو بني عمرو بن عوف وهـــو أحـــد البكـــائين فقتلـــه ، فقالت أمامة في ذلك :

تكـــذب ديـــن الله والمـــرءَ أحمـــد لعمرُ الذي أمناك أن بئس مـــا يُمـــني

حباك حنيفٌ آخـــر الليـــل طعنـــةً أبا عفكٍ خذها علـــى كـــبر الـــسّنِ

[طرائف النساء : ١٤٨]

من العابدات الزاهدات :

روى الحافظ ابن الجوزي – رحمه الله – عن رجاء بن مسلم العبدي قال : كنا نكون عند (عجردة العمية) في الدار ، قال : فكانت تحيي الليل صلاة ، وربما نادت بصوتٍ لها محزون : إليك قطع العابدون دُجى الليالي بتكبير الدلج إلى ظُلم الأسحار ، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك ، فبكَ إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في زمرة السابقين إليك ، وأن ترفعني إليك في درجة المقربين ، وأن تلحقني بعبادك الصالحين [1] ، يا كريم . ثم تخرّ ساجدة ، فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر ، فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة .

[صفة الصفوة : ٤/٣١]

أَسْقَاهُمْ مِنْ حبّه شربة ... !!

روى الحافظ ابن الجوزي – رحمه الله – عن أبي سليمان الداراني قال : حدثني سعيد الإفريقي قال : كنت ببيت المقدس مع أصحاب لي في المسجد ، فإذا أنا بجارية عليها درع شعر من صوف ، فإذا هي تقول: إلهي وسيدي ، ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله ، وأوحش خلوة من لم تكن أنيسه ، فقلت : يا جارية ما قطع الله عزَّ وجلَّ عباداً أسقاهم من حبه شربة ، فولهت قلوبهم ، فلم يحبّوا مع الله عزَّ وجلَّ ، ثم قالت تنشد :

---

[1] للتوسع أكثر يراجع كتابنا : لطائف الصالحين .

تزود قريناً من فعالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يعملُ
ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهله ... يقيم قليلاً عندهم ثم يرحلُ

[صفة الصفوة : ٤/٢٥٢]

أَمْرُكِ بيَدِكِ ... !!

روي أن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ قال لامرأته عائشة بنت طلحة : أمرك بيدك .

فقالت : قد كان عشرين سنةً بيدك فأحسنت حفظه ، فلن أضيعّه إذ صار بيدي ساعة واحدة وقد صرفته إليك ، فأعجبه ذلك منها وأمسكها !! .

سيرين تنصحُ خسرو ... !! :

... يُحكى أن (خسرو) كان يحب أكل السمك ، فكان يوماً جالساً في المنظرة ، وامرأته (سيرين) عنده ، فجاء الصياد ومعه سمكة كبيرة وأهداها (لخسرو) ووضعها بين يديه فأعجبته ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقالت (سيرين) : بئسما فعلت ! قال : ولم ؟ قالت : لأنك إذا أعطيت بعد هذا لأحد من حشمك هذا القدر احتقره وقال أعطاني : أقل مما أعطى الصياد !.

فقال (خسرو) : لقد صدقتِ ولكن يقبح بالملوك أن يرجعوا في هباهم وقد فات هذا ، قالت (سيرين) : أنا أدّبر هذه الحالة ، تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر أم أنثى ؟ فإن قال : ذكر ، فقل : إننا أردنا أنثى ، وإن قال أنثى ، فقل إنما أردنا ذكراً .

فنودي الصياد ، فعاد – وكان ذكياً فطناً – فقال (خسرو) ، هذه السمكة ذكر أم أنثى ؟.

فقبّل الصياد الأرض وقال : هذه السمكة خنثى لا ذكر ولا أنثى ، فضحك (خسرو) من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى ، فمضى الصياد وقبض المبلغ ووضعه في جراب كان معه وحملها على عنقه وهمَّ بالخروج ، فوقع منه درهم واحد فوضع الصياد الجراب على الأرض وانحنى إلى الدرهم وأخذه ، والملك وسيرين ينظران إليه ، فقالت (سيرين) : أيها الملك ، أرأيت إلى خسّة هذا الرجل وسفالته ، سقط منه درهم واحد ، فألقى عن ظهره ثمانية آلاف وانحنى عليه فأخذه و لم يتركه لبعض الغلمان ، فانزعج (خسرو) وأمر بإعادة الصياد إليه ، ولما مثل بين يديه قال الملك : يا ساقط الهمّة ، لست بإنسان ؛ وضعت هذا المال عن عنقك لأجل درهم واحد ، وأسفت أن تتركه في مكانه ! فقال الصياد : أطال الله بقاء الملك ، إنني لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندي ، وإنما رفعته عن الأرض لأن على أحد وجهيه صورة الملك ، وعلى الوجه الآخر اسمه ، فخشيت أن يضع أحد قدمه بغير علم عليه فيكون ذلك استخفافاً باسم الملك وصورته ، فأكون أنا المأخوذ بهذا الذنب !

فعجب (خسرو) من كلامه ، واستحسن ما ذكـره ، فـأمر لـه بأربعة آلاف أخرى ، فعاد الصياد من عند الخازن باثني عـشر ألـف درهـم ، فـأمر الملك (خسرو) منادياً ينادي بالناس : لا يتدّبرن أحد برأي النـساء ، فإنـه مـن يتدبر برأيهنّ ، ويأتمر بأمرهنّ خسر درهمه مرتين !!.

[صفوة الأخبار ومنتقى الآثار: ٢٣٤]

تُذْنِبُ ونُستغفرُ لكَ :

قال الإمام السبكي : قال أبو عمـرو بـن علـوان : خرجـت يومـاً إلى سوق الرحبة في حاجةٍ ، فوقعت عيني على امرأةٍ مـسفرة مـن غـير تعمّـد ، فألححت بـالنظر ، فاسـترجعتُ ، واسـتغفرتُ الله ، وعُـدْتُ إلى منـزلي ، فقالت لي عجوز :

سيدي ! مالي أرى وجهك أسود ؟ فأخـذت المـرآة ، فنظـرت ، فـإذا وجهي أسود ! فرجعت إلى سرّي أنظر من أيـن دُهيـت ، فـذكرت النظـرة، فانفردتُ في موضعٍ أستغفر الله ، وأسأله الإقالـة (١) أربعـين يومـاً ، فخطـر في قلبي أن زر شيخك (الجنيد) رحمه الله ، فانحدرتُ إلى بغـداد ، فلمـا جئـتُ الحجرة التي هو فيها ، طرقت الباب ، فقال لي الشيخ :

ادخل يا أبا عمرو ، تذنب في الرحبة ... ونستغفر لك ببغداد (٢).

[طبقات الشافعية : ٢/٢٦٢]

---

(١) الإقالة : الصفح والغفران .

(٢) للتوسع راجع كتابنا الأخلاق الإسلامية للناشئة : ١/٨٩ ط١/ دار المحبة بدمشق .

الأدب مع الأم ...

قال قاضي القضاة ، أبو يوسف – رحمه الله – :

حلفتْ أمّ أبي حنيفة بيمين ، فقالت له : سل القاص – وكان خالي أبو طالب يقصّ – وكانت أم أبي حنيفة تحضر مجلسه ، فدعاه أبو حنيفة، وسأله ، وقال :

إن أمي حلفت على يمين وأمرتني أن أسألك ، فكرهت خلافها .

فقال له أبو طالب : فأفتني بالجواب !

قال : الجواب كذا وكذا ، قال : قل لها عنّي أن الجواب كذا وكذا ، فاخبرها فرضيت بقول القاص .

[أخبار أبي حنيفة وأصحابه : ٥٣]

والبّر مع الأم :

أخرج الإمام البيهقي : ذكروا أن أعرابياً حمل أمه على ظهره ، وراح يطوف بها حول البيت الحرام ، وهو يقول :

إني لها مطيّة لا أذعرُ ... إذا الركاب نفرت لا أنفرُ
ما حملتني وأرضعتني أكثر ... الله ربي ذو الجلال أكبرُ

ثم التفت إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – وقال :

أتراني قضيت حقها ؟

قال : لا والله ، ولا طلقة من طلقاتها .

[شعب الإيمان]

والخوف من عقوق الأم ... !!

قال أبو اسحاق الرقي الحنبلي في ترجمة عبد الله بن عون :

ونادته أمه ، فأجابها ، فعلا صوته صوتها ، فأعتق رقبتين [1] .

[أحسن المحاسن : ٣٤٨]

---

(1) للتوسع في الحديث عن الأمهات يراجع كتابنا : ومضات من حياة الإمام زين العابدين بن الحسين (السجّاد) فصل أدبه وخلقه .

مراقبة الله :

روى ابن عبد ربه : كان عمر بن الخطاب – ﷺ – يجوب شوارع المدينة ليلاً وطال به المسير والطواف حتى أصابه شيء من التعب ، فاتكأ إلى جدار أحد البيوت ، وإذا بأصوات نسائية تخترق حجب الليل وتطرق أذنيه . فتبين حديث امرأة تقول :

قومي يا بنية إلى ذلك اللبن فاخلطيه بالماء ! وعقب عبارتها سكون، فأنصت عمر ، يريد أن يعرف ماذا تجيب الأخرى ، فسمعها تقول :

يا أماه أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين ؟

فقالت الأم : وما كان من عزمته يا بنيّة ؟

قالت : إنه أمر مناديه لفينادي : ألا يشاب اللبن بالماء .

فقالت الأم : قومي يا بنيتي إلى اللبن فاخلطيه بالماء فإنك بموضع لا يراك فيه عمر ولا منادي عمر !!

فقالت البنت : لا ، يا أماه ، والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا ، وإن كان عمر لا يعلم ، فإله عمر يعلم ؟

وسمع عمر ذلك كله فنادى (أسلم) وقال له : يا أسلم ، علّم المكان واعرف الموضع ! ثم مضى إلى بيته ، فجمع أولاده وقال لهم : هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه ؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه أحد منكم إلى هذه الجارية ؟

فقال عبد الله : لي زوجة .

وقال عبد الرحمن : لي زوجة .

وقال عاصم : لا زوجة لي يا أبتاه ، فزوجني .

وهكذا زوج عمر بن الخطاب تلك الفتاة التي أعجبته بقوها وأمانتها وخلقها ابنه عاصم ، فولدت له بنتاً ، وولدت هذه البنت - عمر بن عبد العزيز - ﷺ (1) ...

[العقد الفريد : ١١٩/٣]

(1) للتوسع عن حياة عمر وحرصه على المسلمين ومصالحهم ، راجع كتابنا : علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين ، فصل علي وعمر - ﷺ -

عيشة زوجة الخليفة ... !!

روى الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – عن فاطمة بنة عبد الملك، قالت :

اشتهى عمر بن عبد العزيز يوماً عسلاً ، فلم يكن عندنا ، فوجهنا رجلاً على دابة من دواب البريد إلى بعلبك بدينار ، فأتى بعسل ، فقلت:

يا أمير المؤمنين ، إنك ذكرت عسلاً وعندنا عسل ، فهل لك فيه ؟
قالت : فأتيناه به فشرب ، ثم قال : من أين لكم هذا العسل ؟؟

قالت : وجهنا رجلاً على دابةٍ من دواب البريد بدينار إلى بعلبك ، فاشترى لنا عسلاً .

فأرسل عمر إلى الرجل فقال :

انطلق بهذا العسل إلى السوق فَبِعْهُ ، واردد إلينا رأس مالنا ، وانظر إلى الفضل ، فاجعله في علف دواب البريد ، ولو كان ينفع المسلمين قيء لتقيأت !! .

[الورع : ٥١]

يا أمَّتا : لا تحزَني .. لا تَيأسي :

أرسل الشاعر أبو فراس الحمداني إلى والدته :

لـــولا العجـــوز (بمنـــبجٍ) ... مـــا خفـــتُ أســـباب المنيّـــه
ولكـــان لي عمّـــا سألـــ ... ـــتُ مـــن الفـــدا نفـــسٌ أبيّـــه
لكـــن أردتْ مرادهـــا ... ولـــو انجـــذبتُ إلى الدَّنّيـــه
وأرى محامـــاتي عليـــ ... ـــها أن تُـــضام مـــن الحميّـــه
أمـــست بمنـــبج حـــرّةٌ ... بـــالحزن مـــن بعـــدي حَرِيَّـــه
لـــو كـــان يُـــدْفَعُ حـــادثٌ ... أو طـــارقٌ بجميـــل نيّـــه
لم تَطَّـــرق نُـــوَبُ الحـــوا ... دث أرض هاتيـــك التقيّـــه
لكـــن قـــضاء الله والـــ ... أحكـــامُ تنفـــذ في البريّـــه
والـــصبر يـــأتي كـــلّ ذي ... رزءٍ علـــى قـــدْر الرزيّـــه
لا زال يطـــرق منبجـــاً ... في كـــلّ غاديـــةٍ تحيَّـــهْ
فيهـــا التقـــى والـــدين مجـــ ... ـــموعان في نفـــسٍ زكيـــهْ
يـــا أمَّتـــا ، لا تحـــزني ... وثقـــي بفـــضل الله فيّـــه
يـــا أمَّتـــا ، لا تيأســـي ... لله ألطـــافٌ خفيّـــة
كـــم حـــادثٍ عنّـــا جـــلا ... ه ، وكـــم كَفانـــا مـــن بليّـــهْ
أوصـــيك بالـــصبر الجميـــ ... ل فإنـــه خـــيرُ الوصـــيه

[ديوان أبي فراس الحمداني : ٣٢٠]

فقد كنت أحسبها للعهد راعية ... !!

روى ابن قيم الجوزية – رحمه الله قال : توفي رجل وبقيت امرأته شابة جميلة ، فما زال بها النساء حتى تزوجت ، فلما كانت ليلة زفافها رأت في المنام زوجها الأول آخذاً بعارضتي الباب وقد فتح يديه وهو يقول:

حييتُ ساكن هذا البيت كلهم إلا (الرباب) فإني لا أحيّيها
أمست عروساً وأمسى مسكني جدثٌ بين القبور وإني لا ألاقيها
واستبدلت بدلاً غيري فقد علمت أن القبور تُواري من ثوى فيها
قد كنت أحسبُها للعهد راعيةً حتى تموتَ وما جفّت مآقيها

ففزعت من نومها فزعاً شديداً ، وأصبحت فاركاً [1] وآلت ألاّ يصل إليها رجل بعده أبداً !!.

[أخبار النساء : ١٠٨]

---

[1] فاركاً : مبغضة للأزواج .

عبرة من التاريخ ...

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في قول الله تعالى :

﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ ﴾[1] .

قال : هي خزائن مصر ، ولما استوثق أمر مصر ليوسف عليه السلام وكمل ، وصارت الأشياء إليه ، وأراد الله تعالى أن يعوضه على صبره ، لما لم يرتكب محارمه ، وكانت مصر أربعين فرسخاً في مثلها ، وما أطاع يوسف فرعون – وهو الريان بن مصعب – وناب عنه إلا بعد أن دعاه إلى الإسلام فأسلم ، وكانت السنون التي حصل فيها الغلاء والجوع مات العزيز وتملك يوسف ، وافتقرت زليخا، وعمي بصرها فجعلت تتكفف الناس، فقيل لها : لو تعرضت للملك ربما يرحمك ويعينك ويغنيك ، فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه ، ثم قيل لها : لا تفعلي لأنه ربما يتذكر ما كان منك إليه من المراودة والحبس فيسيء إليك ويكافئك على ما سبق منك إليه ، فقالت : أنا أعلم بحلمه وكرمه ، فجلست على رابية في طريقه يوم خروجه ، وكان يركب في زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته ، فلما أحسَّت به قامت ونادت :

سبحان من جعل الملوك عبيداً بمعصيتهم والعبيد ملوكاً بطاعتهم !!

---

[1] سورة يوسف : / ٥٥ / .

فقال : من أنت ؟ فقالت : أنا التي كنت أخدمك بنفسي وأسرّح شعرك بيدي ، وأكرم مثواك بجهدي ، وكان مني ما كان ، وقد ذقت وبال أمري وذهبت قوتي ، وتلف مالي ، وعمي بصري ، وصرت أسأل الناس ، فمنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحمني ، وبعدما كنت مغبوطة أهل مصر كلها صرت مرحومتهم بل محروقتهم وهذا جزاء المفسدين .

فبكى يوسف – عليه السلام – بكاءً شديداً وقال لها : هل في قلبك من حبك إياي شيء ؟ قالت : نعم والذي اتخذ إبراهيم خليلاً لنظرة إليك أحبّ إليّ من ملء الأرض ذهباً وفضة ، فمضى يوسف وأرسل إليها يقول : إن كنت أيّماً تزوجناك وإن كنت ذات بعل أغنيناك ، فأجابت : أنا أعرف أنه يستهزئ بي ؛ هو لم يردني في أيام شبابي وجمالي ، فكيف يقبلني وأنا عجوز عمياء فقيرة ؟!

فأمر بها يوسف – عليه السلام – فجهزت وتزوج بها وأدخلت عليه فصفّ يوسف – عليه السلام – قدميه وقام يصلي فدعا الله تعالى باسمه الأعظم العظيم ، فردّ الله عليها حسنها وجمالها وشبابها وبصرها كهيئتها يوم راودته ، فواقعها، فإذا هي بكر، فولدت له إفرائيم بن يوسف ومنشا بن يوسف ، وطاب في الإسلام عيشهما حتى فرّق الموت بينهما ...

[المستطرف : ١٢٠]

أتحبّ دخولَ الجنّة ؟ ...

قال ابن عمر – رضي الله عنهما – لرجل :

أتخاف النار أن تدخلها ، وتحب الجنة أن تدخلها ؟

قال : نعم

قال : بِرَّ أمك ، فوالله لئن ألنت لها الكلام ، وأطعمتها الطعام ، لتدخُلنَّ الجنة ما اجتنبت الموجبات .

[١٧٦/٢]

... وعن ابن عمر أيضاً : أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : إني أصبت ذنباً عظيماً ، فهل لي من توبة ؟

قال : هل لك من أم ؟

قال : لا . يا رسول الله

قال : هل لك من خالةٍ ؟

قال : نعم

قال : فبّرها [١] .

[جامع العلوم والحكم : ١٨٣/٢]

---

[١] رواه الترمذي

ماهو حكم إجبار البنت على النكاح ؟ ...

سُئل الإمام ابن تيمية عن إجبار الأب لابنته البكر البالغ على النكاح : هـل يجوز ذلك ، أم لا ؟ .

فأجاب : فيه قولان مشهوران : هما روايتان عن أحمد .

أحدهما : أنه يجبر البكر البالغ ، كما هو مذهب مالك والشافعي وهو اختيار الخرقي والقاضي وأصحابه .

والثاني : لا يجبرها ، كمذهب أبي حنيفة وغيره ، وهو اختيار أبي بكر عبد العزيز بن جعفر،وهذا هو القول هو الصواب ، والناس متنازعون في (مناط الإجبار) هل هو البكارة ؟ أو الصغر ؟ أو مجموعهما ، أو كل منهما ؟ على أربعة أقوال في مذهب أحمد وغيره ، والصحيح أن مناط الإجبار هو الصغر ، وأن البكر البالغ لا يجبرها أحد على النكاح ، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : " لا تنكح البكر حتى تُستأذن ، ولا الثيّب حتى تُستأمر " ،

فقيل له : إن البكر تستحي ؟ فقال : " إذْنُها صماتها " [1]

وفي لفظ في الصحيح : " البكر يستأذنها أبوها " [2] ، فهذا نهي النبي ﷺ : "لا تنكح حتى تستأذن " ، وهذا يتناول الأب وغيره ، وقد صرح بذلك في الرواية الأخرى الصحيحة ، وأن الأب نفسه يستأذنها .

وأيضاً فإن الأب ليس له أن يتصرف في مالها إذا كانت رشيدة إلا بإذنها ، وبضعها أعظم من مالها ، فكيف يجوز أن يتصرّف في بضعها مع كراهتها ورُشدها .

---

(1) صحيح البخاري : رقمه (٥١٣٧) ، صحيح مسلم : رقمه (٦٥) .

(2) صحيح مسلم : رقمه (٦٨) .

وأيضاً : فإن الصغر سبب الحجر بالنصّ والإجماع ، وأما جعل البكارة موجبة للحجر فهذا مخالف لأصول الإسلام ، فإن الشارع لم يجعل البكارة سبباً للحجر في موضع من المواضع المجمع عليها ، فتعليل الحجر بذلك تعليل بوصف لا تأثير له في الشرع .

وأيضاً : فإن الذين قالوا بالإجبار اضطربوا فيما إذا عيّنت كفواً ، وعيّن الأب كفواً آخر ، هل يؤخذ بتعيينها ، أو بتعيين الأب ؟ على وجهين في مذهب الشافعي وأحمد .

فمن جعل العبرة بتعيينها نقض أصله ، ومن جعل العبرة بتعيين الأب كان في قوله من الفساد والضرر والشر ما لا يخفى ، فإنه قد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : " الأيِّم أحقّ بنفسها من وليّها ، والبكر تستأذن وإذنها صماتها " [1] ، وفي رواية : " الثيّب أحقّ بنفسها من وليّها " [2].

فلما جعل الثيّب أحقَّ بنفسها دلَّ على أن البكر ليست أحقّ بنفسها ، بل الوليّ أحقّ ، وليس ذلك إلا للأب والجد ، هذا عمدة المجبرين وهم تركوا العمل بنصّ الحديث ، وظاهره ، وتمسّكوا بدليل خطابه ، ولم يعلموا مراد الرسول ﷺ، وذلك أن قوله : " الأيِّم أحقّ بنفسها من وليّها " يعمّ كل وليّ ، وهم يخصونه بالأب والجد ، والثاني : قوله : " والبكر تستأذن " وهم لا يوجبون استئذانها ، بل قالوا : هو مستحب ، حتى طرد بعضهم قياسه ، قالوا : لما كان مستحباً اكتفى فيه بالسكوت .

وادّعى أنه حيث استئذان البكر فلا بدّ من النطق ، وهذا قاله بعض أصحاب الشافعي وأحمد .

(1) صحيح مسلم : رقمه (٦٦) .

(2) صحيح مسلم : رقمه (٦٧) .

وهذا مخالف لإجماع المسلمين قبلهم ، ولنصوص رسول الله ﷺ ، فإنه قد ثبت بالسنة الصحيحة المستفيضة ، واتفاق الأئمة قبل هؤلاء : أنه إذا زوج البكر أخوها أو عمّها فإنه يستأذنها : وإذنها صماتها .

وأما المفهوم : فالنبي ﷺ فرّق بين البكر والثيّب ، كما قال في الحديث الآخر :

" لا تنكح البكر حتى تستأذن ، ولا الثيّب حتى تستأمر " .

فذكر في البكر لفظ " الإذن " وفي هذه لفظ " الأمـر " وجعـل إذن هـذه الصّمات ، كما أن إذن تلك النطق ، فهذان هما الفرقان اللذان فرق بهما النبي ﷺ بين البكر والثيّب . لم يفرق بينهما في الإجبار وعدم الإجبار ، وذلك لأن البكر لما كانت تستحي أن تتكلم في أمر نكاحها لم تخطب إلى نفسها ، بل تخطب إلى وليّها ، ووليّها يستأذنها ، فتأذن له ، لا تأمره ابتداء ، بل تأذن له إذا استأذنها ، وإذنهـا صماتها ، وأما الثيّب فقد زال عنها حياء البكر فتتكلم بالنكـاح ، فتخطـب إلى نفسها ، وتأمر الولي أن يزوجها ، فهي آمرة له ، وعليه أن يُعطيها فيزوجها مـن الكفؤ إذا أمرته بذلك ، فالولي مأمور من جهة الثيّب ، ومستأذن للبكر ، فهذا هو الذي دلّ عليه كلام النبي ﷺ .

وأما تزويجها مع كراهتها للنكاح ، فهذا مخالف للأصول والعقـول ، والله لم يسوغ لوليّها أن يكرهها على بيع أو إجارة إلا بإذنها ، ولا على طعام أو شراب أو لباس لا تريده ، فكيف يكرهها على مباضعة من تكره مباضعته ومعاشرة من تكره معاشرته ؟ !

والله قد جعل بين الزوجين مودة ورحمة ، فإذا كان لا يحصل إلا مع بغـضها له، ونفورها عنه ، فأي مودة ورحمة في ذلك ؟ .

ثمّ إذا وقع الشقاق بين الزوجين فقد أمر الله ببعث حكم من أهلها ، وحكم من أهله . (والحكمان) كما سماهما الله عزّ وجلّ : هما حكمان عند أهل المدينة، وهو أحد القولين للشافعي وأحمد ، وعند أبي حنيفة .

والقول الآخر : وهما (وكيلان) . والأول أصح .

لأن الوكيل ليس بحكم ، ولا يحتاج فيه إلى أمر الأئمة ، ولا يشترط أن يكون من الأهل ، ولا يختص بحال الشقاق .

ولا يحتاج في ذلك إلى نص خاص ، ولكن إذا وقع الشقاق فلا بد من ولي لهما ، يتولى أمرهما ، لتعذر اختصاص أحدهما بالحكم على الآخر ، فأمر الله أن يجعل أمرهما إلى اثنين من أهلهما ، فيفعلان ما هو الأصلح من جمع بينهما ، وتفريق : بعوض أو بغيره ، وهنا يملك الحكم الواحد مع الآخر الطلاق بدون إذن الرجل .

ويملك الحكم الآخر مع الأول بذل العوض من مالها بدون إذنها ، لكونهما صارا وليين لهما .

وطرد هذا القول : أن الأب يطلق على ابنه الصغير ، والمجنون ، إذا رأى المصلحة ، كما هو في إحدى الروايتين عن أحمد ، وكذلك يخالع عن ابنته إذا رأى المصلحة لها .

وأبلغ من ذلك أنه إذا طلقها قبل الدخول فللأب أن يعفو عن نصف الصداق إذا قيل : هو الذي بيده عقدة النكاح ، كما هو قول مالك ، وأحمد في إحدى الروايتين عنه ، والقرآن يدل على صحة هذا القول .

وليس الصداق كسائر مالها ، فإنه وجب في الأصل نِحْلةً ، وبضعها عاد إليها من غير نقص .

وكان إلحاق الطلاق بالفسوخ ، فوجب ألاّ ينصف ، لكن الشارع جبرها بتصنيف الصداق ، لما حصل لها من الانكسار به .

ولهذا جعل ذلك عوضاً عن المتعة عند ابن عمر والشافعي وأحمد في إحدى الروايات عنه .

فأوجبوا المتعة لكل مطلقة ، إلا لمن طلقت بعد الفرض وقبل الدخول والمسيس فحسبها ما فرض لها ، وأحمد في الرواية الأخرى مع أبي حنيفة وغيره لا يوجبون المتعة إلا لمن طلقت قبل الفرض والدخول .

والمتعة سببها الطلاق ، فتجب لكل مطلقة ، لكن المطلقة بعد الفرض وقبل المسيس متعت بنصف الصداق فلا تستحق الزيادة ، وهذا القول أقوى من ذلك القول ، فإن الله جعل الطلاق سبب المتعة ، فلا يجعل عوضاً عما سببه العقد والدخول ، لكن يقال على هذا .

فالقول الثالث أصح ، وهو الرواية الأخرى عن أحمد : أن كل مطلقة لها متعة ، كما دلّ عليه ظاهر القرآن وعمومه حيث قال :

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[1] .

وأيضاً فإنه قد قال :

﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾[2] .

فأمر بتمتيع المطلقات قبل المسيس ولم يخصّ ذلك بمن لم يفرض لها ، مع أن غالب النساء يطلقن بعد الفرض ، وأيضاً فإذا كان سبب المتعة هو الطلاق ، فسبب المهر هو العقد ، فالمفوضة التي لم يتم لها مهراً فيجب لها مهر المثل بالعقد، ويستقر

---

[1] سورة البقرة : /٢٤١/ .

[2] سورة الأحزاب : /٤٩/ .

بالموت ، على القول الصحيح الذي دلّ عليه حديث بروع بنت واشق، التي تزوجت ومات عنها زوجها قبل أن يفرض لها مهر .

وقضى لها النبي ﷺ بأن " لها مهر امرأة من نسائها . لا وكسٌ ولا شطط "[1]

لكن هذه لو طلقت قبل المسيس لم يجب لها نصف المهر بنصّ القرآن ، لكونها لم تشترط مهراً مسمى ، والكسر الذي حصل لها بالطلاق انجبر بالمتعة .

ولكن المقصود أن الشارع لا يُكره المرأة على النكاح إذا لم ترده : بل إذا كرهت الزوج وحصل بينهما شقاق ، فإنه يجعل أمرها إلى غير الزوج لمن ينظر في المصلحة من أهلها ، مع من ينظر في المصلحة من أهله ، فيخلصها من الزوج بدون أمره ، فكيف تؤسر معه أبداً بدون أمرها .

والمرأة أسيرة مع الزوج . كما قال النبي ﷺ : " اتقوا الله في النساء ، فإنهن عوان عندكم ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله "[2] .

[مجموع الفتاوى : ٣٢/٢٢-٢٤]

(١) سنن الترمذي (١١٤٥) ، سنن أبي داود (٢١٠٢) .

(٢) صحيح مسلم : (١٤٧) ، مسند أحمد :

فتنة النساء ... وصوت المرأة ... !!

يستغل أعداء الإسلام بعض القضايا الحسّاسّة ، فيطرحون منها ما يريـــدون ، ويحذفون بعض الأمور ، على مبدأ الشيطان الذي قال :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾[٢] ، وسكت عن التكملة :

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[٣] .

وردّد بعض الببغاوات ذلك ، ممن يتكلمون بألسنتنا ، ويحملون أسماءً إسلامية .

فما هو القول الفصل في ذلك ؟ أجاب الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله بقوله :

لا توجد قضية التبس فيها الحق بالباطل ، واختلط فيها الصواب بالخطأ ووقع فيها الغلوّ والتقصير ، مثل قضية المرأة في مجتمعاتنا الإسلامية .

فالحق أنه لا توجد ديانة سماوية أو أرضية ، ولا فلسفة مثاليـــة أو واقعيـــة ، كرّمت المرأة وأنصفتها وحمتها ، مثل الإسلام ، فقد كرّمها وحماها إنساناً ، وأنثى ، وبنتاً ، زوجةً ، وأماً ، وعضواً في المجتمع .

كرّم الإسلام المرأة إنساناً حين اعتبرها مكلّفةً مسؤولة كامل المسؤولية والأهلية كالرجل ، مجزية بالثواب والعقاب مثله .

حتى إن أول تكليف إلهي صدر للإنسان كان للرجل والمرأة جميعاً .

حيث قال الله للإنسان الأول ، آدم وزوجه :

---

(٢) سورة الماعون : /٤/ .

(٣) سورة الماعون /٥/ .

﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] .

ومما يذكر هنا أن الإسلام ليس في شيء من نصوصه الثابتة في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة نصّ يُحمّل المرأة تبعة إخراج آدم من الجنة ، وشقاء ذريته من بعده ، كما جاء ذلك في (أسفار العهد القديم) ، بل القرآن يؤكد أن آدم هو المسؤول الأول :

﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمًا ﴾[2] ،

و ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾[3] .

ولكن بعض المسلمين ، للأسف الشديد ، ظلموا المرأة ظلماً كبيراً ، وجاروا على حقوقها ، وحرموها مما قرّره الشرع لها ، باعتبارها إنساناً ، أو أنثى ، أو ابنة ، أو زوجةً ، أو أماً .

والعجب أن كثيراً مما وقع عليها من ظلم وافتئات وقع باسم الدين ، منه براء ، فلقد نسبوا إلى النبي ﷺ أنه قال في شأن النساء : " شاوروهنَّ وخالفوهنّ" وهو حديث موضوع لا قيمة له ولا وزن من الناحية العلمية .

هذا مع أن النبي ﷺ شاور زوجته أم سلمة في أمر من أهم أمور المسلمين ، وأشارت عليه ، فأخذ برأيها راضياً مختاراً ، وكان فيه الخير والبركة .

ونسبوا إلى عليّ ﷺ قوله : " المرأة شرٌّ كلها ، وشرّ ما فيها أنه لا بد منها" وهو قول غير مقبول قط ، ولا من منطق الإسلام ، ولا من نصوصه .

---

(1) سورة البقرة : /٣٥/ .

(2) سورة طه : /١١٥/ .

(3) سورة طه : / ١٢١-١٢٢/ .

كيف والقرآن يقرن المسلمات بالمسلمين ، والمؤمنات بالمؤمنين ، والفاتنات بالفاتنين .... إلى آخر ما هو معلوم من كتاب الله تعالى ؟ .

وقالوا فيما قالوا : إن صوت المرأة عورة ، فلا يجوز لها أن تتكلم مع رجل ، غير زوج ولا محرم ، لأن صوتها بطبيعته الناعمة يُغري بالفتنة ، ويوقظ في القلب الشهوة .

وسألناهم عن الدليل ، فلم نجد لهم دليلاً يُعول عليه ويستند إليه !

ترى هل جهل هؤلاء أن القرآن أجاز سؤال أزواج النبي ﷺ من وراء حجاب ، رغم التغليظ في أمرهنّ ، حتى حرّم عليهنّ ما لم يُحرّم على غيرهنّ ؟ .

ومع هذا قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [1] .

والسؤال يقتضي جواباً ، وهو ما كانت تفعله أمهات المؤمنين ، حيث كنّ يفتين من استفتاهنّ ، ويروين الأحاديث لمن يريد أن يتحملها عنهنّ .

وقد كانت المرأة تسأل النبي ﷺ في حضرة الرجال ولم تجد في ذلك حرجاً ، ولا منعها النبي ﷺ ، وقد ردّت المرأة على عمر رأيه وهو يخطب على المنبر ، فلم ينكر عليها ، بل اعترف بصوابها وخطئه ، وقال : " كل الناس أفقه من عمر " .

وقد رأينا الفتاة ابنة الشيخ الكبير المذكور في سورة القصص تقول لموسى عليه السلام :

﴿ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [1] .

كما تتحدث إليه هي وأختها من قبل حين سألهما :

---

[1] سورة الأحزاب : /٥٣/ .

[1] سورة القصص : / ٢٥/ .

﴿ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[1] .

كما حكى لنا القرآن ما جرى من حديث بين سليمان عليه السلام وملكة سبأ ، ومثل ذلك بينها وبين قومها من الرجال ، وشرع من قبلنا شرعٌ ، ما لم يرد ما ينسخه من شرعنا كما هو المذهب المختار كل ما يمنع هنا هو التكسّر والتميّع في الكلام ، الذي يراد به إثارة الرجل وإغراؤه ، وهو ما عبّر عنه القرآن باسم (الخضوع بالقول) وذلك في قوله تعالى :

﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[2] .

فالمنهي عنه هنا هو هذا الخضوع الذي يُطمع الذين أمرضت قلوبهم الشهوات ، وهذا ليس منعاً للكلام كله مع الرجال كلهم ، بدليل قوله تعالى تتمة للآية :

﴿ قُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[3] .

ومن الأحاديث التي أساءوا فهمها ما رواه البخاري عنه ﷺ أنه قال : " ما تركتُ بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء " .

فقد توهموا وأوهموا أن الفتنة هنا تعني أنهنّ شرٌّ ونقمة ، أو مصيبة يُبتلى بها الإنسان كما يبتلى بالفقر والمرض والجوع والخوف ، وغفلوا عن شيء مهم ، وهو أن الإنسان إنما يفتتن بالنعم أكثر مما يفتن بالمصائب .

وقد قال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[1] .

---

[1] سورة القصص : /٢٣/ .

[2] سورة الأحزاب : /٣٢/ .

[3] سورة الأحزاب : /٣٢/ .

وليس أدلّ على ذلك من اعتبار القرآن الأموال والأولاد ـــ وهما من أعظم نعم الحياة الدنيا وزينتها ـــ فتنة يحذر منها .

كما قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [٢] .

وفتنتها أنها قد تُلهي الإنسان عن واجبه نحو ربه ، وتُشغله عن مصيره .

وفي هذا يقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [٣] .

وكما يُخاف على الناس أن يفتنوا بالأموال والأولاد ، يُخاف عليهم أن يفتنوا بالنساء .

يفتنوا بهنّ زوجات يثبطنهم عن البذل والجهاد ، ويغرينهم بالاشتغال بالمصالح الخاصة عن الواجبات العامة .

وفي هذا جاء التحذير القرآني :

﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [٤] .

ويُفتنوا بهنّ إذا أصبحن أدوات للإثارة ، وتحريك الشهوات ، وتأجيج نيران الغرائز في صدور الرجال ، وهذا هو الخطر الأكبر ، الذي يُخشى من ورائه تدمير الأخلاق ، وتلويث الأعراض وتفكيك الأسر والجماعات .

والتحذير من النساء هنا كالتحذير من نعمة المال والرخاء وبسْطة العيش ، وهو ما جاء في الحديث الصحيح : " والله ما الفقر أخشى عليكم ، وإنما أخشى

---

(١) سورة الأنبياء : /٣٥/ .

(٢) سورة التغابن : /١٥/ .

(٣) سورة المنافقون : /٩/ .

(٤) سورة التغابن : / ١٤/ .

عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلكم كما أهلكتهم" [٢] .

فلا يعني هذا الحديث أن الرسول ﷺ يعمل على نشر الفقر ، وهو الذي استعاذ بالله منه ، وقرنه بالكفر ، ولا أنه يكره لأمته السعة والرخاء والغنى بالمال وهو الذي قال : " نِعْمَ المال الصالح للمرء الصالح" [٣] .

إنما هو يضيء الإشارات الحمراء للفرد المسلم والمجتمع المسلم أمام المزالق والأخطار حتى لا تزلّ أقدامه ويسقط في الهاوية من حيث لا يشعر ، ولا يريد .

[فتاوى المرأة المسلمة : ١٠-١٨]

---

(٢) حديث متفق عليه .

(٣) مسند أحمد : ١٩٧/٤ .

محاولة الاصطياد في الماء العكر ... !!

في ردّ الأديب الكبير عباس محمود العقاد على الأعداء الذين يحاولون دائماً الاصطياد في الماء العكر ، يقول :

ما اتفق خصوم الإسلام عن سوء نيّة على شيء كما اتفقوا على خطة التبشير في موضوع الزواج على الخصوص ، فكلهم يحسب أن المقتل الذي يصاب منه الإسلام في هذا الموضوع هو تشويه سمعة النبي ﷺ ، وتمثيله لأتباعه في صورة معينة لا تلائم شرف النبوة ولا يتصف صاحبها بفضلية الصدق في طلب الإصلاح .

وأي صورة تغنيهم في هذا الغرض الأثيم كما تغنيهم صورة الرجل الشّهوان الغارق في لذات الجسد العازف في معيشته البيئية ورسالته العامة عن عفاف القلب والروح .

وإنهم لعلى أشدّ الخطأ في اختيارهم هذه الخطة بعينها ، إذ إن جلاء الحقيقة في هذا الموضوع أهون شيء على المسلم العارف بدينه المطّلع على سيرة نبيّه .

فإذا بمقتلهم المظنون حجّة يكتفي بها المسلم ولا يحتاج إلى حجة غيرها لتعظيم نبيه وتبرئة دينه من قالة السوء الذي يفترى عليه .

فلا حجة للمسلم على صدق النبي ﷺ في رسالته أصدق من سيرته في زواجه وفي اختيار زوجاته ، وليس للنبوة من آية أشرف من آيتها في معيشة نبيّ الإسلام من مطلع حياته إلى يوم وفاته .

ما الذي يفعله الرجل الشهوان الغارق في لذات الجسد إذا بلغ من المكانة والسلطان ما بلغه رسول الله ﷺ بين قومه ؟

لم يكن عسيراً عليه أن يجمع إليه أجمل بنات العرب وأفتن جواري الفرس والروم على تخوم الجزيرة العربية .

ولم يكن عسيراً عليه أن يوفرّ لنفسه ولأهله من الطعام والكساء والزينة ما لم يتوفّر لسيّد من سادات الجزيرة في زمانه .

فهل فعل محمد ﷺ ذلك بعد نجاحه ؟

وهل فعل محمد ﷺ ذلك في مطلع حياته ؟

كلا لم يفعله قط ، بل فعل نقيضه ، وكاد أن يفقد أزواجه لشكايتهنّ من شظف العيش في داره .

لم يحدث قط أن اختار زوجةً واحدةً لأنها مليحة أو وسيمة .

ولم يَبْنِ بعذراء قط إلا العذراء التي علم قومه جميعاً أنه اختارها لأنها بنت صديقه وصفيِّه وخليفته من بعده أبي بكر ﷺ .

هذا الرجل ﷺ الذي يفتري عليه الأئمة الكاذبون أنه الشهوان الغارق في لذات حسّه ، قد كانت زوجته الأولى تُقارب الخمسين وكان في عنفوان الشباب لا يجاوز الخامسة والعشرين ، وقد اختارته زوجاً لها لأنه الصادق الأمين فيما اشتهر به بين قومه من صفة وسيرة ، وفيما لقبه به عارفوه وعارفوا الصدق والأمانة فيه ، وعاش معها إلى يوم وفاتها على أحسن حالٍ من السيرة الطاهرة والسمعة النقية .

ثمّ وفّى لها بعد موتها فلم يفكّر في الزواج حتى عرضت عليه سيدة مسلمة رقّت له في عزلته فخطبت له السيدة عائشة بإذنه .

ولم تكن هذه الفتاة العزيزة عليه تسمع منه كلمة لا ترضيها غير ثنائه على زوجته الراحلة ووفائه لذكراها ! .

وما بنى ﷺ بواحدة من أمهات المسلمين لما وصفت به عنده من جمال ونضارة ، وإنما كانت صلة الرحم والضنّ بها على المهانة هي الباعث الأكبر في نفسه الشريفة على التفكير في الزواج بهنّ ، ومعظمهنّ كنّ أرامل مأيمات فقدن الأزواج

أو الأولياء وليس من يتقدم لخطبتهنّ من الأكفاء لهنّ إن لم يفكر فيهنّ رسول الله ﷺ .

فالسيدة سودة بنت زمعة مات ابن عمها المتزوج بها بعد عودتها من الهجرة إلى الحبشة ، ولا مأوى لها بعد موته إلا أن تعود إلى أهلها فيكرهونها على الردة، أو تتزوج بغير كفء لها ، أو بكفء لها لا يريدها .

والسيدة هند بنت أمية ـ أم سلمة ـ مات زوجها عبد الله المخزومي ، وكان أيضاً ابن عمها أصابه جرح في غزوة أحد فقضي عليه ، وكانت كهلةً مسنة فاعتذرت إلى الرسول ﷺ بسنها لتعفيه من خطبتها فواساها قائلاً : " سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك وأن يخلفك خيراً " .

فقالت : ومن يكون خيراً لي من أبي سلمة ؟

وكان الرسول ﷺ يعلم أن أبا بكر وعمر قد خطباها فاعتذرت بمثل ما اعتذرت به إليه ، فطيّبَ خاطرها وأعاد عليها الخطبة حتى قبلتها .

والسيدة رملة بنت أبي سفيان تركت أباها وهاجرت إلى الحبشة ، فتنصّر زوجها وفارقها في غربتها بغير عائل يكفلها .

فأرسل النبي ﷺ إلى النجاشي يطلبها من هذه الغربة المهلكة وينقذها من أهلها إذا عادت إليهم راغمة من هجرتها في سبيل دينها .

ولعل في الزواج بها سبباً يصل بينه وبين أبي سفيان بوشيجة النسب ، فتميل به من جفاء العداوة إلى مودةٍ تخرجه من ظلمات الشرك إلى هداية الإسلام .

والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب ، مات زوجها ، فعرضها أبوها على أبي بكر فسكت ، وعرضها على عثمان فسكت ، وبثّ عمر أسفه للنبي ﷺ ، فلم يشأ أن يضنّ على صديقه ووليّه بالمصاهرة ـ التي شرف بها أبا بكر قبله ـ وقال له : " يتزوج حفصة من هو خير من أبي بكر وعثمان " .

والسيدة صفية الإسرائيلية بنت سيد بني قريظة خيّرها النبي ﷺ بين أن يردها إلى أهلها أو يعتقها ويتزوجها ، فاختارت البقاء عنده على العودة إلى ذويها .

ولولا الخلق الرفيع الذي جُبلت عليه نفسه الشريفة لما علمنا أن السيدة صفية قصيرة يعيبها صواحبها بالقصر ، ولكنه سمع إحدى صواحبها تعيبها بقصرها ، فقال لها ما معناه من روايات لا تخرج عن هذا المعنى : " إنك قد نطقتِ بكلمةٍ لو أُلقيت في البحر لكوّرته " ، وجبر خاطر الأسيرة الغريبة أن تسمع في بيته ما يكدّرها ويغضّ منها .

والسيدة زينب بنت جحش ـــ ابنة عمته ـــ زوجها ﷺ من مولاه ومتبناه زيد بن حارثة ، فنفرت عنه وعزّ على زيد أن يروضها على طاعته .

فأذن له النبي في طلاقها ، فتزوجها عليه السلام لأنه المسئول عن زواجها ، وما كان جمالها خفيّاً عليه قبل تزويجها بمولاه ، لأنها كانت بنت عمته يراها من طفولتها ، ولم تفاجئه بروعة لم يعهدها .

والسيدة زينب بنت خزيمة ، مات زوجها عبد الله بن جحش قتيلاً في غزوة أحد ، ولم يكن بين المسلمين القلائل في صحبته من تقدّم لخطبتها ، فتكفّل بها عليه السلام ، إذ لا كفيل لها من قومها .

وهذا هو الحريم المشهور في أباطيل المبشرين ، وهذه هي بواعث النفس التي استعصى على المبطلين أن يفهموها على جليتها ، فلم يفهموا منها إلا بواعث إنسان غارق في لذات الحسّ شهوان .

ولقد أقام هؤلاء الزوجات في بيت لا يجدن فيه من الرغد ما تجده الزوجات في بيوت الكثيرين من الرجال ، مسلمين كانوا أم مشركين ، فاتّفقن على مفاتحته في الأمر واجتمعن يسألنه المزيد من النفقة ، وهي موفورة لديه لو شاء أن يزيد في حصّته من الفيء ، فلا يعترضه أحد ولا يحاسبه عليه .

إلا أن الرجل المحكّم في الأنفس والأموال ــ سيد الجزيرة العربية ــ لم يستطع أن يزيدهنّ على نصيبه ونصيبهنّ من الطعام والزينة فأمهلهنّ شهراً وخيّرهنّ بعده ؛ أن يفارقنه ولهنّ منه حقّ المرأة المفارقة من المتاع الحسن ، أو يقبلْن ما قبل لنفسه من ذلك العيش الكفاف .

وهذا الخبر يعلمه كل من اطّلع على القرآن ووقف على أسباب النزول ، وليس بينها ما هو أشهر في كتب التنزيل من نزول هذه الآيات في سورة الأحزاب : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [1].

أعن مثل هذا الرجل ﷺ يُقال : إنه حِلْس شهوات وأسير لذّات ؟

أعن مثله يُقال : إنه ابتغى من رسالته مأرباً يبغيه الدعاة غير الهداية والإصلاح ؟

فيم كل هذا الشقاء بأهوال الرسالة وأوجالها ، من ميعة الشباب إلى سنّ المتعة فيها لمن صاحبه التوفيق والظفر . أو لمن صاحبته الخيبة والهزيمة ؟ .

من أراد الدعوة لغير الهداية والإصلاح فلماذا يريدها ، وما الذي يغنمه من ورائها؟

أتراه يريدها مخاطراً بأمنه وحياته مستخفّاً بالهجرة من وطنه والعزلة بين أهله، ليسوم نفسه بعد ذلك عيشة لا يقنع بها أقرب الناس منه وأعلامهم شرفاً بالانتماء إليه ؟

---

[1] سورة الأحزاب : /٢٨-٢٩/ .

أمن أجل الحسّ ولذّاته يتزوّج الرجل بمن تزوج بهنّ وهو سيّد الجزيرة العربية وأقدر رجالها على اصطفاء النساء الحسان من الحرائر والإماء ؟

وهل يتزوج بهنّ الشهوان الغارق في لذات الحسّ ليقتدين به في أجواء الترف والزينة وخلوص الضمير للإيمان بالله وابتغاء الدار الآخرة ؟

وما مأربه من كل ذلك إن كان له مأرب في طويته غير مأربه في العلانية ؟ وعلام يجاهد نفسه ذلك الجهاد في بيته وبين قومه إن لم تكن له رسالة يؤمن بها و لم تكن هذه الرسالة أحبّ إليه من النعمة والأمان ؟

إن المبشرين المحترفين لم يكشفوا من مسألة الزواج في السيرة النبوية مقتلاً يصيب محمداً ﷺ أو يصيب دعوته من ورائه ، ولكنهم قد كشفوا منها حجّة ، لا حجة مثلها في الدلالة على صدق دعوته وإيمانه برسالته وإخلاصه لها في سرّه كإخلاصه لها في علانيته ، ولو أنهم يعولون على جهل المستمعين لهم لاجتهدوا في السكوت عن مسألة الزواج خاصة أشدَّ من اجتهادهم في التشهير بها واللغط فيها .

[باختصار من كتابه : خصائص الإسلام وأباطيل خصومه]

لا يجوز للمرأة المشاركة في الأمور الاجتماعية ... !!

احتج بعض المعاندين والمعارضين لمسألة خروج المرأة من بيتها ومشاركتها الآخرين في القضايا الاجتماعية وما إلى هنالك ببعض الآيات القرآنية ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [1] .

---

(1) سورة الأحزاب : /٣٣/ .

فوقفوا عند هذا الأمر الإلهي وراحوا يحللون ويركبون ، ويقدمون ويؤخرون ، فما وجدوا إلا الأمر الإلهي الواضح البيّن للنساء بعدم الخروج من البيت ، ومن ثمّ فلا بدّ لهنّ من الالتزام بالبيوت وعدم الخروج إلى علم أو عمل أو ما إلى هنالك .

لكن هذه الإشكالية تُحلّ من خلال العودة إلى الآية القرآنية ، وإلى ما قبلها وما بعدها .

وبالفعل فالآية الكريمة هي في سورة الأحزاب ، لكن في سياق الحديث عن أمهات المؤمنين . حيث آيات التخيير : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾[1] .

طبعاً إن الخطاب واضح وصريح بأنه يختص نساء النبي لما لهنّ من أمور خصوصية ، خاصة أنهنّ أمهات للمؤمنين .

وفي السياق القرآني نفسه ــ وما يزال الخطاب خاصاً بنساء النبي ﷺ ــ تأتي قضية عدم الخروج من البيت ، قال تعالى :

﴿ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ

---

(1) سورة الأحزاب : /٢٨-٣٠/ .

ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [1] .

وليس في الأمر أي إشكال ، حيث إن الأمر الإلهي بعدم الخروج من البيوت خاص بزوجات رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ، ولا يتعدّى ذلك إلى بقية النساء، أي إن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ [2]

لا يتعدى إلى نساء المؤمنين ، إنما ينحصر في نساء النبي ﷺ ، ذلك لأن السياق القرآني يستمر في مخاطبة نساء النبي بعد ذلك ، وهذا أمر واضح في الآية التي تلي تلك الآيات ، وهي قوله تعالى :

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [3] .

وإلا لو كان الخطاب عاماً لجميع نساء المؤمنين ، فما هو الأمر الذي يُراد من كل النساء أن يذكرنه ؛ والآية تفيد أن تذكر نساء النبي ﷺ كل ما يُتلى من قرآن وسنّة نبوية وحكمة ، وما إلى هنالك .

بل هناك أمر أبعد من ذلك ، وهو ما قاله المفسّر الألوسي رحمه الله تعالى : إن الأمر بالاستقرار في البيوت والنهي عن الخروج ليس مطلقاً ، وإلا لما أخرجهنّ ﷺ

---

(1) سورة الأحزاب : /٣١-٣٣/ .

(2) سورة الأحزاب : /٣٣/ .

(3) سورة الأحزاب : /٣٤/ .

بعد نزول الآية للحج والعمرة ، ولما ذهب بهنّ في الغزوات ، ولما رخص لهنّ بزيارة الوالدين وعيادة المرضى وتعزية الأقارب .

وقد وقع كل ذلك كما تشهد به الأخبار ، وقد صحّ أنهنّ كلهنّ كنّ يحججن بعد وفاة رسول الله ﷺ إلا سودة بنت زمعة .

وفي رواية عن أحمد عن أبي هريرة : إلا زينب بنت جحش وسودة ، ولم ينكر عليهنّ أحد من الصحابة رضي الله عنهم .

وقد جاء في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال لهنّ بعد نزول الآية: " أذن لكنّ أن تخرجنّ لحاجتكنّ " فعلم أن المراد : الأمر بالاستقرار الذي يحصل به وقارهنّ وامتيازهنّ من سائر النساء بأن يلازمن البيوت في أغلب أوقاتهنّ ولا يكنّ خراجات ولاّجات طوّافات في الطرق والأسواق وبيوت الناس وهذا لا ينافي خروجهنّ للحج أو لما فيه مصلحة دينية ، مع التستر وعدم الابتذال [1] .

وقد ثبت في كتب التاريخ والسير أن زوجات رسول الله ﷺ كنّ يخرجنّ في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وأكتفي بمثال واحد :

هو خروج أم المؤمنين عائشة من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، ثم توجهها مع بعض المطالبين بدم عثمان ﷺ كطلحة والزبير ونعمان بن بشير وغيرهم .

فسار الموكب إلى البصرة بالعراق ، ثم كانت موقعة الجمل ، ثم عودتها إلى المدينة المنورة [1] .

فلو كان الأمر الإلهي : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ يعني إطلاق منع خروج النساء ـــ خاصة نساء النبي ـــ من البيت ، فكيف تخرج أم المؤمنين هذه الرحلة الطويلة

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٢٧/١٢ .

[1] يراجع : البداية والنهاية لابن كثير : ٢٨٢/٧ ، فتح الباري لابن حجر العسقلاني : ٤٦/١٣ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٤٧/٣ .

التي استمرت أشهراً وهي من هي ؟ ، في علمها وفهمها لآيات القرآن وسنة رسول الله ، وهي من هي في ورعها وتقواها وخشيتها لله ؟ !

ثم : لو كان الأمر الإلهي : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ عام لجميع نساء المؤمنين ومطلق، فكيف تصلّي النساء في جماعة المسلمين وفي المسجد النبوي دون أن يكون بينهنّ وبين الرجال حواجز ـــ سواءً كانت حواجز من الخشب أو الألمنيوم أو القماش ـــ إنما كان يحجزهنّ عن الرجال صفٌّ من الأولاد فقط ! .

ولقد ثبت في كتب السيرة أن النساء صلين خلف رسول الله ﷺ مع الرجال قرابة ثماني عشرة ألف صلاة !! .

لعلّ من الأفضل ألاّ يضع المتشددون في مسألة خروج المرأة من البيت ، ألا يضعوا عصابة سوداء على عيونهم ، فلا يرون ما هو واضح وبيّن ، وإلا فكتب التفاسير وكتب الأحاديث النبوية ، وكتب التاريخ والسير مليئة بالقصص والأحداث التي توضح بجلاء مسألة عدم قوقعة النساء في البيوت !! .

[النشاطات الاجتماعية للمرأة المسلمة بين التشدد والاعتدال:٤٦-٤٩]

ليست إلا عن طريق الأخلاق الحميدة ، كيف لا ؟ وهو الذي وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (1) .

والقرآن الكريم أوصى الرجال باللطف مع الزوجات ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (2) .

أي : يجب عليكم أيها المؤمنون أن تُحسنوا عشرة نسائكم بأن تكون مصاحبتكم ومخالطتكم لهنّ بالمعروف الذي تعرفه وتألفه طباعهنّ ، ولا يستنكر شرعاً ولا عرفاً ولا مروءة ، فالتضييق في النفقة والإيذاء بالقول أو الفعل ، وكثرة عبوس الوجه وتقطيبه عند اللقاء ، كل ذلك ينافي العشرة بالمعروف ، وفي المعاشرة معنى المشاركة والمساواة ، أي عاشروهنّ بالمعروف وليعاشرنكم كذلك .

وروي عن بعض السلف أنه يدخل في ذلك أن يتزين الرجل للمرأة بما يليق به من الزينة لأنها تتزين له . والغرض أن يكون كل منهما مدعاة سرور الآخر وسبب هنائه في معيشته .

وفي السنة المطهرة والسيرة النبوية نماذج رائعة في ذلك ، فعلى سبيل المثال لا الحصر . يوصي الرسول ﷺ الرجل أن يقف مع زوجته إذا أصابها المرض ، ليكون لها عوناً على مصائب الدهر ، فيساعدها في أمور البيت ، وشؤون الأولاد ، وأن يظهر كل ما يستطيع من لطف أمام هذه الحالة ، مصداق ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت :

---

(1) سورة القلم : / ٤ / .

(2) سورة النساء : / ١٩ / .

فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً ، والناس يفيضون ــ أي يتكلمون كثيراً ــ في قول أصحاب الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، ويريبني في وجعي أني لا أعرف في رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي !

ويضرب الرسول أروع الأمثلة في مسألة اللطف بالنساء ، وذلك من خلال تحمّله رفع أصواتهنّ على صوته ، مصداق ذلك ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نسوة قريش ــ يعني من زوجاته ــ يكلمنه ويستكثرنه ــ أي يطلبن منه أكثر مما يعطيهنّ ــ ، عالية أصواتهن على صوته . فلما استأذن عمر قُمن فبادرن الحجاب ــ أي : اختفين وراء ستار ــ فأذن له رسول الله ، فدخل عمر ورسول الله يضحك .

فقال عمر : أضحك الله سنّك يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : " عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب " .

فقال عمر : فأنت أحقّ أن يهبنَ يا رسول الله ، ثم قال لهنّ : يا عدوّات أنفسهنّ ، أتهبنني ولا تهبنَ رسول الله ﷺ ؟ !

فقلن : نعم ، أنت فظّ وغليظ !! [1] .

ويوصي صلوات الله عليه حادي الجمال أن يخفف السير رفقاً بهنّ ، مصداق ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في سفر ، وكان غلام يحدو بهنّ ــ أي : ببعض أمهات المؤمنين ــ يُقال له (أنجشة) : فقال النبي ﷺ : " رويدك يا أنجشة سوقك بالقوارير " [1] .

وكان ﷺ يضع شيئاً ليّناً على ظهر البعير لتركب إحدى زوجاته فوقه ، بل ويضع ركبته لتصعد عليها ، مصداق ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه قال : ثم خرجنا إلى

---

(1) صحيح مسلم : ١١٥/٧ .

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ١٦١/١٣ .

المدينة ــ قادمين من خيبر ــ فرأيت النبي ﷺ يُحَوِّي لها ــ أي لصفية زوجته ــ وراءه بعباءة ، ثم يجلس عند بعيره ، فيضع ركبته وتضع صفيّة رجلها على ركبتيه حتى تركب ! [٢] .

وإذا زارته واحدة منهنّ وهو في اعتكافه بالمسجد خرج معها ليودعها ﷺ ، فعن صفية رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ في المسجد وعنده أزواجه فَرُحْنَ ، فقال لي : " لا تعجلي حتى أنصرف معك " وكان بيتي في دار أسامة ، فخرج ﷺ معي [٣] .

أجل !! .

أليس النبي ﷺ هو القائل : " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي " ؟ [٤]

.

أليس هو الذي عدَّ تخلّف عثمان في غزوة بدر من أجل مراعاة زوجه المريضة يعادل أجره أجر من شارك في غزوة بدر ؟

أليس هو الذي كان في البيت أنموذجاً رائعاً للقيام بالواجبات ؟

قالت عائشة ــ وقد سُئلت عن عمله ﷺ في البيت ــ فقالت : كان بشراً من البشر ، يفلّي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه [١] .

لقد صدق الله تعالى عندما وصفه بقوله :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٢] .

---

[٢] فتح الباري : ١١/٢٩٦ .

[٣] صحيح مسلم : ٧/٨ .

[٤] صحيح سنن ابن ماجه : (١٦٠٨) .

[١] مسند أحمد : ٦/٢٥٦ .

[٢] سورة التوبة : / ١٢٨ / .

ما هو حكم سبّ أحد الصحابة الأكارم ... ؟!

أصحاب رسول الله ﷺ ، أولئك الصفوة من البشر ، الذين اختارهم الله لحمل دعوة هذا الدين الحنيف ، ولنشر لوائه في أصقاع المعمورة ، وكان اختيار الله لهم فيه شرف كبير ليكونوا فيما بعد وزراء وولاة ، وقبل ذلك كله كان لهم شرف ملازمة النبي ﷺ والذّب عن شريعته ، والدفاع عنه ، وقد بذلوا في ذلك أموراً كثيرة ، فضحّوا بالأموال والأولاد والأوطان والأرواح فداءً لنشر الإسلام .

ولما لهم من قدر كبير عند الله ورسوله ، جاءت الآيات والأحاديث الشريفة تبيّن مقدارهم ومكانتهم ، وتوجه الأمة إلى عدم الوقوع في أخطاء تمسّ بواحد منهم ، وشدّد بعض العلماء في مسألة حكم سبّ الصحابة ، أو الطعن فيهم ، أو انتقاصهم ، أو إعلان بغضهم ، بينما خفّف بعض العلماء في هذه المسألة ، ولكل فريق وجهة نظره .

فمن العلماء الذين قالوا : إن سبّ الصحابة لا يوصل إلى الكفر ، إنما يُتّهم بالفسق والضلال والتغرير والتأديب ، عبد الله بن محمود الموصلي صاحب كتاب (الاختيار الحنفي) ، وكذلك الإمام ابن عابدين فقد ذهب إلى هذا الرأي ، ومما قاله : إن الحكم بالكفر على سبّ الشيخين أو غيرهما من الصحابة مطلقاً قول ضعيف لا ينبغي الإفتاء به ، ولا التعويل عليه [1] .

---

[1] مجموعة رسائل ابن عابدين : ٣٦٦/١ .

كذلك ذهب إلى هذا الرأي : الإمام التفتازي ، والإمام مُلاّ علي القــاري ، والقسطلاني ، والنووي ، والرملي ، وابن حنبل — في إحدى الــروايتين عنــه — والإمام ابن تيمية ، والسبكي ، وابن راهويه ، والمشهور عند الإمام مالك رحمهــم الله تعالى .

ومن العلماء من ذهب إلى تكفير من سبّ صحابة رسول الله ﷺ ، أو انتقص وطعن في عدالتهم أو جاهر بِسَبٍّ ببعضهم ، وقالوا : يحلّ قتله إلا أن يتوب !!

وممن ذهب إلى ذلك الإمام القرطبي ، حيث قال : — بعد أن نقل عن الإمام مالك قوله : - من أصبح من الناس وفي قلبه غيظٌ على أحد من أصحاب الرسول فقد أصابته هذه الآية :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ ﴾ (١)

ثم قال : لقد أحسن مالك في مقالته ، وأصاب في تأويله ، فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد ردّ على الله رب العالمين ، وأبطل شرائع المسلمين (٢) .

ومنهم : أبو زرعة الرازي حيث قال : إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق (٣) .

---

(1) سورة الفتح : / ٢٩/ .

(2) الجامع لأحكام القرآن : ١٦/٢٩٨ .

(3) الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي : ٩٨-٩٩ .

ومنهم : الإمام السرخسي حيث قال : فمن قال فيهم فهو ملحد ، منابذ للإسلام ، دواؤه السيف إن لم يُتب [٤] .

وقد بسط القول في هذه المسألة وفصّلها تفصيلاً دقيقاً الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، ومما قاله :

ونحن نرتب الكلام في فصلين :

أحدهما : في سبّهم مطلقاً .

والثاني : في تفصيل أحكام السابّ .

أما الأول : فسبّ أصحاب رسول الله ﷺ حرام بالكتاب والسنة ، أما الأول فلأن الله سبحانه يقول : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [١] .

وأدنى أحوال السَّابّ لهم أن يكون مغتاباً .

وقال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [٣] .

وهم صدور المؤمنين ؛ فإنهم هم المواجهون بالخطاب في قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [٤] . حيث ذُكرت .

ولم يكتسبوا ما يوجب أذاهم ، لأن الله سبحانه رضي عنهم رضاً مطلقاً بقوله:

---

(4) أصول السرخسي : ١٣٥/٢ .

(1) سورة الحجرات : / ١٢ / .

(2) سورة الهمزة : / ١ / .

(3) سورة الأحزاب : / ٥٨ / .

(4) سورة البقرة : / ١٠٤ / .

﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَـٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَـٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ (5) .

فرضي الله عن السابقين من غير اشتراط إحسان ، ولم يرضي عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان ، وقال تعالى : ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ (6) .

فالرضا من الله صفة قديمة ، فلا يرضى إلا عن عبدٍ علم أنه يوافيه على موجبات الرضا ، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً .

وقوله تعالى : ﴿ إذ يبايعونك ﴾ سواءً كانت ظرفاً محضاً ، أو كانت ظرفاً فيها معنى التعليل ، فإن ذلك لتعليق الرضا بهم ، فإنه يتسمى رضاً أيضاً ، كما في تعلّق العلم والمشيئة والقدرة وغير ذلك من صفات الله سبحانه .

وقيل : بل الظرف يتعلّق بجنس الرضا ، وإنه يرضى عن المؤمن بعد أن يطيعه ويسخط عن الكافر بعد أن يعطه .

ويحب من اتبع الرسول بعد اتباعه له ، وكذلك أمثال هذا ، وهذا قول جمهور السلف وأهل الحديث ، وكثير من أهل الكلام ، وهو الأظهر .

وعلى هذا فقد بيّن في مواضع أُخر أن هؤلاء الذين رضي الله عنهم من أهل الثواب في الآخرة ، يموتون على الإيمان الذي به يستحقون ذلك ، كما في قوله تعالى :

---

(5) سورة التوبة : / ١٠٠ / .

(6) سورة الفتح : / ١٨ / .

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١) .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : " لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة " (٢) .

وأيضاً ، فكل من أخبر عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة ، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح ، فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له ، فلو علم أنه يتعقّب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك .

ومن ثمَّ ، فمحبته الشيء كراهته لضدّه ، فيكون الله يكره السبّ لهم الذي هو ضدّ الاستغفار ، والبغض لهم الذي هو ضد الطهارة ، وهذا معنى قول عائشة رضي الله عنها : أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد رسول الله ﷺ، فسبوهم (١) .

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : الناس على ثلاث منازل ، فمضت منزلتان وبقيت واحدة ، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت .
قال : ثم قرأ :

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ (٣) .

فهؤلاء المهاجرون ، وهذه منزلة قد مضت .

---

(١) سورة التوبة : / ١٠٠/ .

(٢) صحيح مسلم : (٢٤٩٦) ، سنن الترمذي (٣٨٦٠) .

(١) صحيح مسلم : (٣٠٢٢) .

(٣) سورة الحشر : / ٨ / .

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[2] .

فهؤلاء الأنصار ، وهذه منزلة قد مضت .

ثم قرأ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] .

قد مضت هاتان ، وبقيت هذه المنزلة ، فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ، يقول : أن تستغفروا لهم[1] .

ولأن من جاز سبّه بعينه أو بغيره لم يجز الاستغفار له ، كما لا يجوز الاستغفار للمشركين ، لقوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[2] .

وكما لا يجوز أن يستغفر لجنس العاصين مسمين باسم المعصية ، لأن ذلك لا سبيل إليه .

---

(٢) سورة الحشر : / ٩ / .

(٣) سورة الحشر : / ١٠ / .

(١) مستدرك الحاكم : ٢/٤٨٤ .

(٢) سورة التوبة : / ١١٣ / .

ولأنه شرع لنا أن نسأل الله ألا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، والسبّ باللسان أعظم من الغلّ الذي لا سبّ معه .

ولو كان الغلّ عليهم والسبّ جائزاً لم يشرع لنا أن نسأله ترك ما لا يضرّ فعله .

وأما السنة ، ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تسبّوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه " [٣] .

وقوله ﷺ : " لا تسبّوا أصحابي " خطاب لكل أحد ألا يسبّ من انفرد عنه بصحبته .

وهذا كقوله ﷺ : " أيها الناس ! إني أتيتكم ، فقلتُ : إني رسول الله إليكم ، فقلتم : كذبْتَ ، وقال أبو بكر : صدقتَ ، فهل أنتم تاركون لي صاحبي ؟ فهل أنتم تاركون لي صاحبي ؟" [١] .

أو كما قال ــ بأبي هو وأمي ﷺ ــ ، قال ذلك لما عاير بعض الصحابة أبا بكر ، وذاك الرجل من فُضلاء أصحابه ، ولكن امتاز أبو بكر منه بصحبته ، وانفرد بها عنه .

وقال ﷺ : " إن الله اختارني ، واختار لي أصحاباً ، جعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً ، فمن سبّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبلُ الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً" [٢] .

وقال الرسول ﷺ : " الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي ، من أحبّهم فقد أحبني ، ومن أبغضهم فقد أبغضني ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشكُ أن يأخذه" [٣] .

---

[٣] صحيح البخاري : ٢١/٧ ، صحيح مسلم : (٢٥٤٠) .

[١] صحيح البخاري : ٣٥٣/٨ .

[٢] رواه الطبراني : (مجمع الزوائد للهيثمي : ١٧/١٠) .

وقال الرسول ﷺ : " إذا ذكر القدر فأمسكوا ، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا "(٤)

ولما جاء فيه من الوعيد قال إبراهيم النخعي : كان يُقال : شتم أبي بكر وعمر من الكبائر .

وكذلك قال أبو إسحاق السبيعي : شتم أبي بكر وعمر من الكبائر التي قال الله تعالى فيها : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ (٣) .

وإذا كان شتمهم بهذا القدر فأقل ما فيه التعزير ، لأنه مشروع في كل معصية ليس فيها حدّ ولا كفارة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " (٤) .

وهذا مما لا نعلم فيه خلافاً بين أهل الفقه والعلم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان وسائر أهل السنة والجماعة ، فإنهم مجمعون على أن الواجب الثناء عليهم ، والاستغفار لهم ، والترحم عليهم ، والترضّي عنهم ، واعتقاد محبتهم، وموالاتهم ، وعقوبة من أساء فهم القول .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يظهر في أمتي في آخر الزمان قومٌ يُسمون الرافضة يرفضون الإسلام " (١) .

وعنه رضي الله عنه قال : سيكون بعدنا قومٌ ينتحلون مودّتنا ، يكذبون علينا ، مارقةٌ، آية ذلك أنهم يسبّون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما (٢) .

---

(٣) سنن الترمذي : (٣٢٦٢) ، مسند أحمد : ٥/٥٤ .

(٤) المعجم الكبير للطبراني : ٢/٧٨ .

(٣) سورة النساء : / ٣١ / .

(4) صحيح البخاري : (٦٩٥٢) ، سنن الترمذي (٢٢٥٥) .

(١) مسند الإمام أحمد : ١/١٠٣ .

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي : ١٠/٢٢ .

وسُئل الصحابي عبد الرحمن بن أبزى : لو أُتيتَ برجلٍ يسبّ أبا بكر ما كنت صانعاً ؟

قال : أضربُ عنقه ، قال : فعمر ؟ قال : أضرب عنقه .

وقال علي ﷺ : لا يفضلني أحدٌ على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلا جلدته حدّ المفتري [٣] .

وعن أبي ليلى قال : تداروا في أبي بكر وعمر ، فقال رجل من عُطارد : عمر أفضل من أبي بكر ، فقال الجارود : بل أبو بكر أفضل من عمر ، قال : فبلغ ذلك عمر ، قال : فجعل يضربه ضرباً بالدرّة حتى شغر برجله ، ثم أقبل إلى الجاردو فقال : إليك عنّي ، ثم قال عمر : أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ في كذا وكذا . ثم قال : ومن قال غير هذا أقمنا عليه ما نُقيم على المفتري !! [٤] .

فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي رضي الله عنهما يجلدان حدّ المفتري من يفضل علياً على أبي بكر وعمر ، أو من يفضل عمر على أبي بكر ــ مع أن مجرّد التفضيل ليس فيه سبّ ولا عيب ــ عُلم أن عقوبة السبّ عندهما فوق هذا بكثير [١] .

[فضائل الصحابة في ميزان الشريعة الإسلامية : ٩٨-١٠٤]

ماذا عن جهاز الزوجة ؟ !...

---

[٣] السنة لابن أبي عاصم : ٢/٥٧٥ ، مسند أحمد : ١/٨٣ .

[٤] مسند أحمد : ١/٣٠٠ .

[١] الصارم المسلول على شاتم الرسول : ٥٤٤-٥٥٩ (بتصرف واختصار) .

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يجب على المرأة أن تتجهز بمهرها و بشيء منه ، وعلى الزوج أن يعدّ لها المترل بكل ما يحتاج إليه ليكون سكناً شرعياً لائقاً بهما .

وإذا تجهّزت بنفسها أو جهزها ذووها فالجهاز ملك لها خاص بها ، حتى لو كان الزوج قد دفع أكثر من مهر مثلها رجاء جهاز فاخر ، لأن المهر في مقابل المتعة ، والشيء لا يقابله عوضان .

ومن ثمّ : إذا جهّز الأب ابنته بأمتعة من غير تمليك بصيغة فهل تملك بتسلّمه والتسليم لها ؟

اختلف الفقهاء في ذلك ، فذهب الشافعية إلى أنها لا تملك الجهاز إلا بتمليك لها بصيغة ، كأن يقول : هذا جهاز ابنتي فيكون إقراراً بالملك لها ، وإلا فهو عارية ، ويصدق بيمينه إذا ادّعاه في حياتها أو بعد موتها [2] .

وقال الحنابلة : إن تجهيز الأب ابنته أو أخته بجهاز إلى بيت زوجها تمليكٌ وقال الحنفية : إذا جهّز الأب ابنته من ماله دون أن يصرّح أن هذا منه هبة لها أو عارية منه لها ، وادّعى بعد نقل الجهاز إلى دار الزوج أنه كان عارية ، وادّعت أنه كان تمليكاً بالهبة ، فالقول قولها إذا كان العرف يشهد بأن هذا الجهاز المتنازع عليه يقدمه الأب لابنته هبة منه .

وإن كان العرف جارياً بأن الأب يقدمه عارية فالقول قول الأب .

وإن كان العرف متضارباً فالقول قول الأب إذا كان الجهاز من ماله ، أما إذا كان مما قبضه من مهرها فالقول قولها .

لأن الشراء وقع لها حيث كانت راضية بذلك ، وهو بمترلة الإذن منها [1] .

---

(٢) نهاية المحتاج : ٤٠٨/٥ .

(١) حاشية ابن عابدين : ٣٦٦/٢ .

[الموسوعة الفقهية الكويتية : ١٦٦/١٦]

ما هي عدة المختلعة ... ؟

ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة في المذهب) إلى أن عدّة المختلعة عدّة المطلّقة

وهو قول سعيد بن المسيّب ، وسالم بن عبد الله ، وسلمان بن يسار ، وعمر بن عبد العزيز ، والحسن ، والشعبي ، والنخعي ، والزهري ، وغيرهم .

وفي قول عن أحمد : إن عدّتها حيضة ، وهو المروي عن عثمان بن عفان ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأبان بن عثمان ، وإسحاق ، وابن المنذر .

واحتجّ القائلون بأن عدّتها حيضة بما رواه النسائي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما : " أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت منه ، فجعل النبي ﷺ عدّتها حيضة " (١) .

وبأن عثمان رضي الله عنه قضى به .

واحتجّ القائلون بأن عدّتها عدّة المطلقة بقوله تعالى :

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ (٢) .

ولأن الخلع فرقة بين الزوجين في الحياة بعد الدخول ، فكانت العدّة ثلاثة قروء كغير الخلع (٣) .

[الموسوعة الفقهية الكويتية : ١٩/٢٥٢-٢٥٣]

---

(1) سنن أبي داود : ٢/٦٦٩ .

(2) سورة البقرة : / ٢٢٨ / .

(3) فتح القدير : ٣/٢٦٩ ، المغني : ٧/٤٤٩ .

أهم الحالات التي يلزم فيها مهر المثل ...

يجب مهر المثل في الحالات التالية :

١. في حالة عدم تسمية المهر :

وتسمية المهر في العقد مجمع عليه بين أهل العلم ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " أجمع العلماء على جواز عقد النكاح بدون مهر ، وتستحق مهر المثل إذا دخل بها بإجماعهم ، وتستحقه أيضاً إذا توفي عنها ، وهذا ما ذهب إليه فقهاء الحديث وأهل الكوفة ، وهو أحد قولي الشافعي "(١) .

٢. إذا تزوج رجل امرأة على أنه لا مهر لها :

ووجب مهر المثل في حالة اشتراط سقوط المهر هو مذهب أبي حنيفة والشافعي ورواية عن أحمد ، فهم يرون بطلان هذا الشرط ووجوب مهر المثل .

وذهب الإمام مالك وأحمد في رواية أخرى إلى أن الشرط يبطل العقد ، يقول الردير : " والاتفاق على إسقاطه مفسد للعقد "(٢) .

٣. إذا كان المهر المسمّى فاسداً :

ويجب مهر المثل في ما إذا كان المهر المسمى فاسداً ، كأن يكون خمراً أو خنزيراً ، أو غير مملوك كالسمك في الماء والطير في الهواء ، لأن هذا المهر وجوده كعدمه شرعاً ، وهذا مذهب جمهور العلماء . ومنهم الحنفية والحنابلة والشافعية ، وذهب مالك في رواية إلى إفساد العقد ووجوب فسخه مطلقاً ، سواء أكان قبل

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٥٣/٢٩ .

(2) مجموع فتاوى : ٦٢/٣٢ .

الدخول أو بعده ، وهذا قول أبي عبيد ، وذهب مالك في الرواية الأخرى إلى أنـــه إذا دخل بها ثبت لها صداق المثل (١) .

٤. إذا كان العقد فاسداً :

فإذا وقعت الفرقة قبل الدخول في العقد الفاسد فلا يلزم المهر أبداً ،

أما إذا وقعت بعد الدخول فله حالتان :

الأولى : أن يكون المهر قد سمي ، فهنا يجب على الزوج الأقل من المهر المسمى ومهر المثل ، وهذا ما ذهب إليه الحنفية ، والذي نصّ عليه عبد الله بن مـــودود أن الواجب في النكاح الفاسد مهر المثل فحسب (٢) .

الثانية : ألاّ يكون المهر قد سمي ، أو كان قد سمي ، ولكن التسمية فاسدة فإن الواجب في هذه الحالة مهر المثل .

والقول بوجوب مهر المثل في حال فساد المهر المسمى في العقد الفاسد مذهب زُفَر من الحنفية ، وهو مذهب الشافعية والحنابلة (٣) .

[أحكام الزواج في ضوء القرآن والسنّة : ٢٦٨-٢٦٩]

---

(1) بداية المجتهد : ٢٧/٢ ، حاشية ابن عابدين : ١٣٧/٣ .

(٢) حاشية ابن عابدين : ١٣٧/٣ .

(٣) المغني : ١١٨/١٠ ، حاشية ابن عابدين : ١٣١/٣ .

ما أثر الخلوة في المهر ... ؟!

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن مما يتأكد به المهر الخلوة الصحيحة التي استوفت شرائطها ، فلو خلا الزوج بزوجته خلوة صحيحة ثمّ طلّقها قبل الدخول بها في نكاح فيه تسمية للمهر يجب عليه المسمّى ، وإن لم يكن في النكاح تسمية يجب عليه كمال مهر المثل لقوله تعالى :

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (١) .

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من كشف خمار امرأته ونظر إليها وجب الصداق ، دخل بها أو لم يدخل " (٢) .

وهذا نصٌّ في الباب .

وروي عن زرارة بن أبي أوفى أنه قال : قضى الخلفاء الراشدون المهديون أنه إذا أرخى السّتور وأغلق الباب فلها الصّداق كاملاً ، وعليها العدّة ، دخل بها أو لم يدخل ، حكى الطحاوي في هذه المسألة إجماع الصحابة من الخلفاء الراشدين وغيرهم .

وذهب الشافعي في الجديد إلى أنه لا اعتبار بالخلوة في تقرّر المهر ، لقوله تعالى :

---

(1) سورة النساء : / ٢٠-٢١ / .

(2) سنن البيهقي : ٢٥٦/٧ ، سنن الدارقطني : ٣٠٧/٣ ، وفي إسناده ضعف .

﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ [1] . والمراد بالمسّ الجماع .

[الموسوعة الفقهية الكويتية : ١٩/٢٧٣]

أهم الأحكام المتعلقة بالخمار

١. ارتداء المرأة الخمار عموماً :

ارتداء المرأة الحرّة الخمار بوجه عام واجب شرعاً ، لأن شعر رأسها عورة باتفاق ، وقد أمرت المرأة بضرب الخمار على جيبها في قوله تعالى :

﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [2] .

قال الطبري : سبب هذه الآية أن النساء كنّ في ذلك الزمان إذا غطين رؤوسهنّ بالأخمرة ، وهي المقانع ، سدلنها من وراء الظهر فيبقى النّحر والعنق والأذنان لا ستر على ذلك ، فأمر الله تعالى بليّ الخمار على الجيوب ، وهيئة ذلك أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها لتستر صدرها ، قالت عائشة رضي الله عنها : إنما يُضرب بالخمار الكثيف الذي يستر [3] .

٢. المسح على الخمار في الوضوء :

---

(١) سورة البقرة : / ٢٣٧ / .

(٢) سورة النور : / ٣١ / .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٢/٢٣٠ .

مسح الرأس في الوضوء فرض تواترت عليه الأدلّة من الكتاب والسنّة والإجماع ، والفرض الذي تواترت عليه الأدلة هو أصل المسح ، أما صفته ومقدار ما يمسح من الرأس ففيه خلاف وتفصيل .

ومما اختلف فيه كذلك المسح على الخمار :

فقال الحنفية والمالكية والشافعية : لا يجزئ في الوضوء مسح المرأة خمارها وحده دون مسح رأسها ، إلا إذا كان الخمار رقيقاً ينفذ منه الماء إلى شعرها ، فيجوز لوجود الإصابة .

لما روي عن عائشة رضي الله عنها : أنها أدخلتْ يدها تحت الخمار ومسحت برأسها ، وقالت : بهذا أمرني رسول الله ﷺ [1] .

ولأنه لا حرج في نزعه ، والرخصة لدفع الحرج ، ولأن قوله تعالى :

﴿ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ ﴾ [2] .

يقتضي عدم جواز مسح غير الرأس .

قال نافع : رأيت صفية بنت أبي عبيد تتوضأ وتنزع خمارها ثمّ تمسح برأسها ، قال نافع : وأنا يومئذ صغير .

قال محمد بن الحسن : بهذا نأخذ ، لا نمسح على خمار ولا عمامة ، بلغنا أن المسح على العمامة كان فترك .

قال النووي : قال الشافعي في البويطي :

وتُدخل يدها تحت خمارها حتى يقع المسح على الشعر ، فلو وضعت يدها المبتلّة على خمارها قال أصحابنا : إن لم يصل البلل إلى الشعر لم يجزئها ،

---

(1) بدائع الصنائع : ٥/١ .

(2) سورة المائدة : / ٦ / .

وإن وَصَلَ فهي كالرجل إذا وضع يده المبتلّة على رأسه إن أمرّها عليه أجزأه وإلا فوجهان ، الصحيح الإجزاء .

وقال الشافعية : يستحب لمن مسح ناحيته ولم يستوعب الرأس بالمسح أن يتمّ المسح على العمامة ، وقالوا : وهذا حكم ما على رأس المرأة [1] .

وعند الحنابلة قال ابن قدامة : في مسح الرأس على مقنعتها روايتان :

إحداهما : وهي المعتمدة ، واقتصر عليها الحجاوي : يجوز ، لأن أم سلمة رضي الله عنها كانت تمسح على خمارها ، ذكره ابن المنذر ، وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه أمر بالمسح على الخفّين والخمار [2] لأنه ملبوس للرأس معتاد يشقّ نزعه فأشبه بالعمامة .

والثانية : لا يجوز المسح عليه ، فإن أحمد سُئل : كيف تمسح المرأة على رأسها ؟

قال : من تحت الخمار ولا تمسح على الخمار ، قال : وقد ذكروا أن أم سلمة كانت تمسح على خمارها [3] .

٣. لبس الخمار في الصلاة :

اتفق الفقهاء على أن من شروط الصلاة ستر العورة ، ومن العورة التي يشترط سترها في الصلاة شعر المرأة ، فيجب على المرأة الحرّة البالغة أن تخمّر رأسها في الصلاة أي تغطيه بخمار كثيف لا يشفّ ، فإن لم تفعل كانت صلاتها باطلة ، لما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : " لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار " [1].

---

[1] فتح القدير : ١/١٠٩ ، المجموع للنووي : ١/٤٠٧-٤٠٨ .

[2] صحيح مسلم : ١/٣٠٥ .

[3] المغني : ١/٣٠٥ .

[1] سنن أبي داود : ١/٤٢١ .

والمراد بالحائض البالغة ، لأن الحائض فعلاً في أثناء حيضها لا صلاة لها ، لا بخمار ولا بغيره ، فكان التعبير بلفظ الحائض مجازاً عن البالغة لأن الحيض يستلزم البلوغ .

ثم اختلف الفقهاء فيما وراء ذلك من الأحكام :

فقال الحنفية : إن تركت الحرّة البالغة ستر ربع رأسها فأكثر قدر أداء ركن بلا ضعها أعادت .

وفي أحكام الصغار للأُستروشني : وجواز صلاة الصغير بغيرة قناع استحسان ، لأنه لا خطاب مع الصبا ، والأحسن أن تُصلّي بقناع لأنها إنما تؤمر بالصلاة للتعوّد فتؤمر على وجه يجوز أداؤها معه بعد البلوغ .

ثمّ قال : المراهقة إذا صلّت بغير قناع لا تؤمر بالإعادة استحساناً ، وإن صلّت بغير وضوء تؤمر بذلك [٢] .

وقال المالكية : يُندب للمرأة الحرّة الصغيرة المأمورة بالصلاة ستر للصلاة ـــ وهو واجب على الحرّة البالغة ـــ وتُعيد الصلاة ندباً إن راهقت ـــ أي قاربت البلوغ ـــ وتركت القناع ـــ أي تغطية الرأس ـــ في الصلاة .

وقالوا : يكره القناع في الصلاة للرجل إذا كان بصفة معينة ؛ هي أن يلقي ثوباً على كتفه ويغطّي به رأسه ويردّ طرفه على كتفه الآخر ، وهو مكروه للرجال لأنه من زي النساء إلا من ضرورة حرّ ، أو برد ، أو يكون شعار قوم فلا يكره [١]

.

وقال الشافعية : لا تُقبل صلاة الصبية المميزة إلا بخمار [٢] .

---

(2) رد المحتار : ٢٧٠/١ ، فتح القدير : ١٨٠/١ .

(1) جواهر الإكليل : ٥٢/١ .

(2) المجموع : ١٦٦/٣ .

وقال الحنابلة : غير البالغة لا يلزمها ستر رأسها في الصلاة لمفهوم حديث عائشة السابق [٣] .

٤ . لبس الخمار في الإحرام :

اتفق الفقهاء على أن من محظورات الإحرام بالنسبة إلى الرجل تغطية الرأس ، وعلى أن المرأة الحرّة لا تكشف رأسها في الإحرام ـــ كما يفعل الرجل ـــ لأن رأسها عورة يجب سترها .

وعليها أن تخمّر رأسها بما يستره ستراً كاملاً ، ونقل ابن قدامة عن ابن المنذر قوله : أجمع أهل العلم على أن للمحرمة لبس القميص والدروع والسراويلات والخُمر والخفاف .

واتفق الفقهاء على أنه يحرم على المرأة حال إحرامها ستر وجهها ، أو بعضه بما يعدّ ساتراً ، لكنهم قالوا : إن على المرأة الحرّة المحرمة بحج أو عمرة أن تستر من وجهها ما لا يتأتى كشف وجهها إلا به ، لأن المحافظة على ستر الرأس بكامله لكونه عورة أولى من المحافظة على كشف ذلك القدر من الوجه الذي لا يتأتى تمام ستر الرأس إلا به [٤] .

[الموسوعة الفقهية الكويتية : ٢٠/٧-٩]

نظرة المرأة إلى الرجل !!

من المتفق عليه : أن النظر إلى العورة حرام ، بشهوة أم بغير شـــهوة ، إلا إن وقع ذلك فجأة بغير قصد ولا تعمد ، وهو ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه جرير بن عبد الله : سألت النبي ﷺ عن نظر الفجأة .

---

(3) المغني : ٤٧١/٢ .

(٤) رد المحتار : ١٨٩/٢ ، المغني : ٣٢٨/٣ .

فقال : " اصرف بصرك " رواه مسلم .

ولكن يبقى البحث هنا عن عورة الرجل ما هي ؟

فالسوءتان عورة مغلّظة متفق على تحريم كشفها أو النظر إليها ، إلا في حالة الضرورة كالعلاج ونحوه ، وحتى لو كانت مغطاة بما يجسمها أو يشفّ عنها ، فهو محظور شرعاً .

وأكثر الفقهاء على أن الفخذين من العورة ، وأن عورة الرجل ما بين السُّرة والركبة ، وقد استدلّوا على ذلك ببعض الأحاديث التي تسلم من التعليل ، وبعضهم حسَّنها وربما صححها بمجموع طرقها ، وإن كان كل واحد منها في ذاته يقصر عن الاحتجاج به على إفادة حكم شرعي .

وذهب بعض الفقهاء إلى أن الفخذ ليس بعورة ، مستدلين بحديث أنس أن الرسول ﷺ حَسَرَ عن فخذه في بعض المواضع ، ونصر هذا المذهب أبو محمد بن حزم .

ومذهب المالكية المنصوص عليه في كتبهم أن العورة المغلظة من الرجل هي السوءتان فقط : أي القُبُل والدُّبُر ، وهي التي تبطل الصلاة بكشفها أبداً مع القدرة .

وحاول فقهاء الحديث الجمع بين الروايات المتعارضة إن أمكن ذلك ، أو الترجيح بينها ، فقال الإمام البخاري في صحيحه : (باب ما يُذكر في الفخذ : رُوي عن ابن عباس وجرهد ومحمد بن جحش عن النبي ﷺ : أن الفخذ عورة ، وقال أنس : " حَسَرَ النبي ﷺ عن فخذه " ، وحديث أنس أسند ــ أي : أقوى سنداً ــ وحديث جرهد أحوط [1] .

---

[1] يلاحظ أن البخاري علّق الحديث بصيغة التضعيف (رُوي) ، مما يدل على ضعف عنده .

واتجه الشوكاني في (نيل الأوطار) إلى توجيهه الأحاديث التي ذكرت أن الفخذ عورة على أنها حكاية حال لا عموم لها .

أما المحقق ابن القيم فقال في (تهذيب سنن أبي داود) : " وطريق الجمع بين هذه الأحاديث ما ذكره غير واحد من أصحاب أحمد وغيرهم :

أن العورة عورتان : مخفّفة ومغلّظة ، فالمغلّظة السوءتان ، والمخففة الفخذان ، ولا تنافي بين الأمر بغض البصر عن الفخذين لكونهما عورة ، وبين كشفهما لكونهما عورة مخففة ، والله أعلم " .

وفي هذا رُخصة للرياضيين وغيرهم ممن تستلزم هواياتهم وممارساتهم الملابس القصيرة ، مثل (الشورت) ونحوه ، وكذلك من يشاهدونهم ، وكذلك الكشافة والجوّالة، وإن كان يجب على المسلمين أن يفرضوا على تلك المنظمات العالمية طابعهم الخاص وما تقضيه قيمهم الدينية ما استطاعوا .

وينبغي التنبيه هنا ، أن ما كان عورة من الرجل ، فالنظر إليه حرام من المرأة والرجل جميعاً ، وهذا أمر واضح .

وأما ما لم يكن عورة من الرجل ، كالنظر إلى وجهه وشعره وذراعيه وساقيه وما إلى ذلك ، فالقول الصحيح أنه جائز ، ما لم يصحب ذلك شهوة ، أو خوف فتنة ، وهذا هو رأي جمهور فقهاء الأمة .

وهو الذي دلّ عليه عمل المسلمين منذ عصر النبوة ، وما بعده من خير القرون ، ودلّت عليه أحاديث صحيحة صريحة لا تقبل طعناً .

وذهب بعض الفقهاء إلى منع المرأة من رؤية الرجال عامة ، مستدلّين بحديث أن النبي ﷺ سأل ابنته فاطمة رضي الله عنها : " أي شيء أصلحُ للمرأة " ؟ .

قالت : ألا ترى رجلاً ، ولا يراها رجل ! فقبَّلها وقال : " ذريّةٌ بعضها من بعض " .

لكن هذا الحديث ، لا قيمة له من الناحية العلمية ، ولم أره في كتابٍ من كتب أدلة الأحكام ، ولا استدلّ به فقيه من الفقهاء ، حتى المتشددون الذين منعوا المرأة من النظر إلى الرجل لم يذكروه ، وإنما ذكره الغزالي في (الإحياء) ،

وقال الحافظ العراقي في تخريجه : رواه البزار والدارقطني في (الإفراد) من حديث عليّ بسند ضعيف [1] .

واستدلّوا أيضاً بحديث أم سلمة رضي الله عنها :

قالت : كنتُ عند رسول الله ﷺ ، وعنده ميمونة ، فأقبل ابن أم مكتوم ، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب .

فقال النبي ﷺ : " احتجبابه "

فقلنا : يا رسول الله ، أليس هو أعمى لا يُبصرنا ولا يعرفنا ؟

فقال النبي ﷺ : " أفعمياوان أنتما ؟ ! ألستما تبصرانه ؟ ! "

رواه أبو داود والترمذي .

ونجد الرد على هذا ما ذكره ابن قدامة في تلخيص الرأي في المسألة ، حيث قال في (المغني) ــ فأوجز وأحسن ــ : فأما نظر المرأة إلى الرجل ففيه روايتان:

---

(1) إحياء علوم الدين : كتاب النكاح ، باب آداب المعاشرة ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٢/٢٠٢ .

إحداهما : لها النظر إلى ما ليس بعورة .

والأخرى : لا يجوز لها النظر من الرجل إلا إلى مثل ما ينظر إليه منها . اختاره أبو بكر ، وهذا أحد قولي الشافعي .

لما رُوي عن الزهري عن نبهان عن أم سلمة قالت : كنت قاعدة عند النبي ﷺ فاستأذن ابن أمّ مكتوم ،

فقال النبي ﷺ : " احتجبن منه " ، فقلت : يا رسول الله ، إنه ضرير لا يبصر .

قال : " أفعمياوان أنتما لا تبصرانه ؟ " رواه أبو داود وغيره .

ولأن الله تعالى أمر النساء بغضّ أبصارهنّ كما أمر الرجال به ، ولأن النساء أحد نوعي الآدميين ، فحُرِّم عليهنّ النظر إلى النوع الآخر قياساً على الرجال .

يحققه أن المعنى المحرَّم للنظر خوف الفتنة ، وهذا في المرأة أبلغ ، فإنها أشد شهوة وأقلُّ عقلاً ، فتسارع الفتنة إليها أكثر .

ولنا قول النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس : " اعتدّي في بيت ابن أم مكتوم ، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك ، فلا يراك " متفق عليه .

وقالت عائشة رضي الله عنها : " كان رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة ، يلعبون في المسجد " متفق عليه .

ويوم فرغ النبي ﷺ من خطبة العيد مضى إلى النساء ، فذكرهنّ ومعه بلال فأمرهنّ بالصدقة .

ولأنهن لو مُنعن النظر لوجب على الرجال الحجاب كما وجب على النساء لئلا ينظرنّ إليهمَ ، فأما حديث نبهان .

فقال أحمد : نبهان روى حديثين عجيبين ، يعني هذا الحديث ، وحديث : "إذا كان لإحداكنّ مكاتب ، فلتحتجب منه " ، وكأنه أشار إلى ضعف حديثه .

إذ لم يرو إلا هذين الحديثين المخالفين للأصول .

وقال ابن عبد البر : نبهان مجهول ، لا يُعرف إلا برواية الزهري عنه هذا الحديث ، وحديث فاطمة صحيح ، فالحجّة به لازمة .

ثم يحتمل أن حديث نبهان خاص لأزواج النبي ﷺ ، كذلك قال أحمد وأبو داود ، قال الأثرم : قلت لأبي عبد الله : كأن حديث نبهان لأزواج النبي ﷺ خاصة ، وحديث فاطمة لسائر الناس ؟ قال : نعم [١] .

وإن قُدِّر التعارض ، فتقديم الأحاديث الصحيحة أولى من الأخذ بحديث مفرد في إسناده مقال ...... [٢] .

بقي هنا قيد مفروغ منه ، وهو ألاّ يكون مصحوباً بالتلذّذ والشهوة ، إلا حرم .

ولهذا أمر الله المؤمنات أن يغضضن من أبصارهنّ ، كما أمر المؤمنين أن يغضّوا من أبصارهم سواء ، قال تعالى :

---

(1) سنن أبي داود : (٤١١٢) .

(2) المغني : ٦/٥٦٤ .

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [٣] .

صحيح أن المرأة تثير الرجل وتحرّك شهوته ، أكثر ما يُثير الرجل المرأة ، وأن المرأة أكثر جاذبية للرجل ، وهي المطلوبة غالباً ، والرجل هو الطالب ، ولكن هذا كله لا يمنع أن من الرجال من يجذب عين المرأة وقلبها بشبابه ووسامته ، أو بقوته وفحولته ، أو بغير ذلك من المعاني التي ترنوا إليها أعين بعض النساء ، أو تهفو إليها قلوبهنّ .

وقد قصّ علينا القرآن الكريم قصة امرأة العزيز مع فتاها يوسف عليه السلام ، الذي شغفها حباً .

وكيف غدت هي الطالبة لا المطلوبة ، وكيف راودته عن نفسه وقالت :

﴿ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ [٢] .

كما قصّ علينا موقف نسوة المدينة حين رأين أن يوسف عليه السلام لأول مرة بما آتاه الله من شباب وحُسْنٍ ونضارة وقوة :

---

[٣] سورة النور : / ٣٠-٣١ / .

[2] سورة يوسف : / ٢٣ / .

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[1] .

فإذا نظرت المرأة إلى رجل معين ، فتحرّكت فيها عوامل الأنوثة ، فعليها أن تغضّ بصرها ، ولا تتابع النظر إليه ، بُعداً عن مظنّة الفتنة ، ويزداد الأمر خطراً إذا بادلها الرجل النظر بنفس الرغبة والشهوة .

فهذا هو النظر الذي سمّوه (بريد الزنى) ، والذي وُصف بأنه " سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس " .

وهو الذي قال فيه الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشّرر

فالسلامة في البعد عن مواضع الشرر ، ومواقع الخطر .

[فتاوى المرأة المسلمة : ٢٩-٣٥]

---

(1) سورة يوسف : / ٣١-٣٢ / .

مسئولية الآباء والأمهات عن عقوق الأبناء ... !!

إن ظاهرة عقوق الأبناء للآباء وإن كانت قديمة ، إلا أن الإسلام لا شك قد جاء بعلاجٍ لها ، فما رأي فضيلة الشيخ الشعراوي في علاج العقوق ؟

إن كثيراً من الآباء والأمهات يشكون من عقوق الأبناء أو من سلوك الأبناء. وينسى الآباء والأمهات أن فرصة التربية قد ضاعت منهم ، إما في زجر الأبناء في وقت لا يستدعي الأمر إلى زجر ، أو في التقليل من شأن الأبناء ، في وقت يحتاج الابن فيه إلى من يعتني به ويرعاه ؛ ومضت السنوات ، والأب غافل عن ابنه إما بالتجاهل لحياة ابنه وما يلزمها في كل مرحلة ، أو بالغرق في نمط من الحياة بعيداً عن ضرورة رعاية الأبناء .

والأم كذلك لاهية عن الابنة في أمور أنستها مهمتها الأساسية في الحياة ؛ فلا تأخذ الابنة من أمها حناناً وقت الاحتياج إلى الحنان ، ولا تلقى الابنة حزماً وقتما تحتاج إلى حزم ، ولا تنال الابنة حقّ الصداقة والفهم ، وقت أن احتاجت البنت إلى صداقة الأم ، فساد التنافر جوّ الأسرة باسم الحياة المعاصرة .

والعجيب أننا لو تأملنا المجتمعات التي يُقال عنها (معاصرة) ، لوجدنا علماء تلك المجتمعات يعودون إلى منهج الإسلام ، ليأخذوا منه قواعد التربية الصحيحة للأبناء ، لا كدين من عندنا يجب اتباعه ، ولكن كناحية اجتماعية تضمن لهم سلامة حياتهم الاجتماعية .

الحنان والاحترام والمودّة بين الزوجين ، فينشأ الطفل متمتعاً بالوجدان الصافي لتلقّي مسئوليات الحياة .

الحزم واحترام ذاتية الطفل وتعليمه منهج الدين من السابعة إلى الرابعة عشرة ، ليعرف أن المؤمن هو الإنسان الذي يتقن عمله ، حتى تصلح حياته بهذا العمل ،

وأن يعطي من الجهد والتعليم ما يجعله متدرباً على تحمّل المسئولية ومعرفة فنّ إدارة الحياة وفق منهج الله تعالى .

صداقة وفهم وصحبة في ضوء الإيمان ، ليكون الشاب متقبّلاً للحياة المؤمنة ، مخلصاً في أداء عمله ، واعياً بمسؤولياته ، فيقوم المجتمع على أفراد منسجمين بالإيمان مع أنفسهم ، ومع الكون الذي خلقه الله .

وإذا كان الحق سبحانه أوصى الآباء بالأبناء ، فيجب أن نلتفت إلى أنه سبحانه أوصى الأبناء بالآباء ، وكأن ما يزرعه الأب والأم في صغيرهما ينفعهما في كبرهما ، قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[1] .

حتى لا يوجد إنسان في المجتمع ، وهو لا يتحمّل مسئولية من أحسنوا تربيته ، ومسئولية الأبناء الذين تقع عليهم مسئولية حسن تربيتهم ، وذلك حتى يتحقق للمجتمع الراحة والأمان والانسجام .

[فتاوى النساء : ٣٠-٣١]

---
(1) سورة الإسراء : / ٢٣-٢٤ / .

فماذا عن شهادة المرأة ... ؟!

يقول الشيخ محمد الغزالي في ذلك :

ومعروف أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل ، وقد علّل القرآن الكريم ذلك بأن المرأة قد تنسى ، أو تحار ، أو يشتبه عليها وجه الحق ، وعندما تكون معها امرأة أخرى فسوف تتعاونان على الإدلاء بالحقيقة كاملة .

وقد بحثت في هذا الموضوع فأدركت أن المرأة في عادتها الشهرية تكون شبه مريضة ، وأن انحراف مزاجها واضطراب أجهزتها الحيوية يصيبها ببعض الارتباك ، والتثبت في أداء الشهادات واجب .

ذاك سرّ قوله تعالى :

﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [1]

وكان يجب أن يقف الأمر عند هذا الحدّ ، لكن تياراً نشأ في الفكر الديني يستبعد شهادة المرأة استبعاداً تاماً في أهم ميادين التقاضي ! وهو ميدان القصاص والحدود ، أي فيما يتصل بالدماء والأعراض .

وإذا كان اللصوص يسرقون البيوت ليلاً أو نهاراً ، فما معنى رفض شهادة المرأة في حدّ السرقة ؟

---

(1) سورة البقرة : / ٢٨٢ / .

وإذا كان العدوان على النفس والأطراف يقع كثيراً بمشهد من النساء ، فما معنى أن ترى المرأة مصرع ابنها أو أقرب الناس إليها ، ثمّ تُرفض شهادتها ؟

ولماذا لم يلزم نصاب الشهادة كما ذكره القرآن الكريم ؟

إن ابن حزم في تمحيصه للآثار المروية يؤكد أن رفض شهادة النساء في الحدود والقصاص لا يوجد له أصلٌ في السنة النبوية .

ولستُ أحبُّ أن أوهن ديني أمام القوانين العالمية بموقف لا يستند استناداً قوياً إلى النصوص القاطعة ، وإذا كان المسلمون الآن أكثر من مليار نفس ، فما معنى التطويح بكرامة خمسمائة مليون امرأة لقول أحدٍ من الناس ؟

المأساة أننا نحن المسلمين مولعون بضمّ تقاليدنا وآرائنا إلى عقائد الإسلام وشرائعه لتكون ديناً مع الدين ، وهدياً من لدن ربّ العالمين ، وبذلك نصدّ عن سبيل الله !!

وأذكر هنا قصة الناقة التي عرضها صاحبها بعشرة دراهم ، واشترط أن تباع قلادتها معها بألف درهم !

فكان الناس يقولون : ما أرخص الناقة لولا هذه القلادة الملعونة !

وأقول كذلك : ما أيسر الإسلام وأيسر أركانه ، وما أصدق عقائده وشرائعه ، لولا ما أضافه أتباعه من عند أنفسهم ، واشترطوا على الناس أن يأخذوا به ويدخلوا فيه !

ولننقل كلام ابن حزم في موضوع الشهادة من كتابه (المحلّى) .

قال : " ولا يجوز أن يقبل في الزنا أقل من أربعة رجال عدول مسلمين ، أو مكان كل رجل امرأتان مسلمتان عدلتان ، فيكون ذلك ثلاثة رجال وامرأتين ، أو رجلين وأربع نسوة ، أو رجلاً واحداً وست نسوة أو ثمان نسوة فقط .

ولا يقبل في سائر الحقوق كلها من الحدود والدماء وما فيه القصاص ، والنكاح والطلاق والرجعة والأموال إلاّ رجلان مسلمان عدلان ، أو رجل وامرأتان لذلك أو أربع نسوة " .

قال : " وصحّ عن شريح أنه أجاز شهادة امرأتين في عتاقة مع رجل ، وصحّ عن الشعبي قبول شهادة رجل وامرأتين في الطلاق وجراح الخطأ ، ولم يجز شهادة النساء في جراح عمد ولا في حدّ .

وصحّ عن إياس بن معاوية قبول امرأتين في الطلاق .

وعن محمد بن سيرين أن شريحاً أجاز شهادة أربع نسوة على رجل في صداق امرأة .

وعن الزبير بن الخرّيت عن لبيد قال : إن سكراناً طلّق امرأته ثلاثاً ، فشهد عليه أربع نسوة ، فرفع إلى عمر بن الخطاب ، فأجاز شهادة النسوة ، وفرّق بين الزوجين . وعن سفيان بن عيينة عن أبي طلق عن امرأة أوطأت صبياً فقتلته ، فشهد عليها أربع نسوة ، فأجاز عليّ بن أبي طالب شهادتين .

وعن عطاء قال : أجاز عمر بن الخطاب شهادة النساء مع الرجال في الطلاق والنكاح . وفي رواية أخرى عن عطاء بن أبي رباح قال : تجوز شهادة النساء مع الرجال في كل شيء " .

قال ابن حزم : عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال في حديث : " فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل " .

أما ما جاء عن الزهري الذي قال : مضت السنّة من النبي ﷺ ومن أبي بكر وعمر أنه لا تجوز شهادة النساء في الطلاق ولا في النكاح ولا في الحدود ، فبليّة.

لأنه منقطع من طريق إسماعيل بن عياش وهو ضعيف ، عن الحجاج بن أرطأة وهو هالك .

وأما الرواية عن عمر : " لو فتحنا هذا الباب لم تشأ امرأة أن تفرّق بين رجل وامرأته إلا فعلت ذلك " ، فهي عن الحارث الغنوي ، وهو مجهول ، ثمّ إنّ عمر لا يقول هذا الكلام انتقيت هذه السطور من عدة صفحات تضمنت آراء فيها الخطأ والصواب ، ومرويات فيها المقبول والمردود ، ورأيت ــ حتى أنقذ نفسي والنـــاس من هذه اللّجة ــ أن أعتصم بالمتواتر من كتاب الله ، والمشتهر من السنة النبوية ! وأن أقرّر قبول شهادة المرأة في كل شيء ، وفق النصاب الثابت في ديننا .

ومن حقّ كل مسلم أن يتجاوز ما وراء ذلك غير متهم ولا مريب .

ولي أن أتساءل هل من مصلحة الأمن العام إهدار شهادة المرأة في قضايا يقـــع ألوف منها بمحضر النساء ؟

وهل من مصلحة الفقه الأثر ترجيح مذهب يسيء إلى الإسلام أكثر مما يحسن؟

ثمّ نختم هذا الباب بقول ابن حزم : " وجائز أن تلي المرأة الحكم " ، وهو قول أبي حنيفة ، وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه ولّى الشفاء ــ امرأة من قومـــه ــ السوق .

فإن قيل : قد قال رسول الله ﷺ : " لن يُفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة " .

قلنا : إنما قال ذلك رسول الله ﷺ في الأمر العام الذي هو الخلافة .

برهان ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : " المرأة راعية على مال زوجها ، وهي مسئولة عن رعيتها " .

وقد أجاز المالكيون أن تكون وصية ووكيلة [1] :

(ولم يأت نصّ من منعها أن تلي بعض الأمور !) .

---

[1] وأجاز الأحناف توكيلها بالخصومة (المحاماة) .

هل الذكور أفضل من الإناث ... ؟!

كلمة (ذرية) تُطلق على الواحد وعلى الاثنين ، وعلى الثلاثـة أو أكثـر ، والذرية هنا بالنسبة لمريم عليها السلام هي عيسى عليه السلام ، وتنتهي المسألة.

وبعد دعاء امرأة عمران :

﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [1].

يجيء قوله سبحانه :

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ [2].

وكلمة (آدم) حينما تتكلم بها تجدها ــ في اللغة ــ مذكّرة ، والمذكّر يقابله المؤنث ، وقد خلق الحق الأعلى سبحانه الذكورة والأنوثة ، لأنه من تزاوجهمـا سيخرج النسل .

إذن : فكان لا بدّ من التمييز بين النوعين للجنس الواحد ، فالذكر والأنثى ، هما بنو آدم ، ومنها ينشأ التكاثر ، لكن العجيب أن الله تعالى حين سمّى آدم ونطقناه اسماً مذكّراً ، وسمى (حواء) ونطقناه اسماً مؤنثاً ، وجعـل سـبحانه الاسم الأصيل الذي وُجد منه الخلق هو (نفس) ، لقد قال الحق سبحانه :

---

(1) سورة آل عمران : / ٣٦ / .

(2) سورة آل عمران : / ٣٧ / .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [1] .

لقد سمّى الحق سبحانه آدم بكلمة نفس ، وهي مؤنثة ، إذن : فليس معنى التأنيث أنه أقلّ من معنى التذكير ، ولكن (التذكير) هو فقط علامة لتضع الأشياء في مسمّياتها الحقيقية . وكذلك التأنيث .

إن الحق سبحانه يطلق على كل إنسان منا (نفس) وهي كلمة مؤنثة ، وحينما تكلّم الحق سبحانه كلاماً آخر عن الخلق قال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2] .

وكلمة (ناس) تعني : مجموع الإنسان ، وهكذا نعرف أن كلمة (إنسان) تُطلق مرة على المذكر ، ومرة على المؤنث .

إذن : فالحق سبحانه قد أورده مرة لفظاً مذكّراً ، ومرة أخرى أُطلق لفظاً مؤنثاً ، وذلك حتى لا تقول : إن المذكّر أفضل وأحسن من المؤنث ، ولكن ذلك وسيلة للتفاهم فقط ، وبذلك يبيّن لنا الحق سبحانه أنه قد وضع الأسماء لمسمياتها لنتعارف بها: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [3]

---

(1) سورة النساء : / ١ / .

(2) سورة الحجرات : / ١٣ / .

(3) سورة الحجرات : / ١٣ / .

ومعنى : (لتتعارف) أي : أن يكون لكلٍّ اسمٌ يُعرف به عند الآخرين ، وفي حياتنا العادية ــ ولله المثل الأعلى ــ نجد رجلاً عنده أولاد كثيرون ، لذلك يُطلق على كل ابن اسماً ليعرفه المجتمع به ، والعجيب في هذه الآية الكريمة :

﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ أننا نجد كلمة (شعوباً) مذكّرة ، وكلمة (قبائل) مؤنثة .

إذن : فلا تمايز بالأحسن ، ولكن الكلمات هنا للتعارف ، والحق الأعلى سبحانه يقول : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾[1] .

إذن : فما وضع النساء اللاتي آمنّ ؟ إنهنَّ يدخلن ضمن ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ .

ولماذا أدخل الله المؤنث في المذكّر ؟ لأن المذكر هو الأصل ، والمؤنث جاء منه فرعاً ، إذن : فالمؤنث هو الذي يدخل مع المذكّر في الأمور المشتركة في الجنس .

ويقول الحق سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3] .

وهذا يعني أن (المؤنث) عليه أن يدخل في تكليف العبودية لله .

والمعنى العام يحدد أن المطلوب منه العبادة هو الإنسان كجنس ، وبنوعية الذكر والأنثى ، وفي الأمر الخاص بالمرأة ، يحدد الله تعالى المرأة بذاتيتها .

---

(1) سورة العصر : / ١-٣ / .

(3) سورة البقرة : / ٢١ / .

فالحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾ (١) لماذا ؟

إن المسألة هنا تشمل النوعين من الجنس الواحد : الرجل والمرأة ، زوجاً وزوجة، فمثلاً نجد زوجاً يريد تطليق زوجته ، فيأتي الحق سبحانه بتفصيل يوضّح ذلك .

وإذا كان هناك أمر خاص بالمرأة ، فالحق سبحانه وتعالى يحدّده ، كما في قوله الحكيم : ﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (٢) .

[فتاوى النساء للشعراوي : ٥١-٥٣]

(1) سورة الأحزاب : / ٣٦ / .

(2) سورة الأحزاب : / ٣٢ / .

ماذا تعني كلمة القوامة ... ؟!

إذا قيل : إن فلاناً قائم على أمر فلان ، فما معنى ذلك ؟

هذا يوحي بأن هناك شخصاً جالساً ، والآخر قائم ، فمعنى : ﴿قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [1] . أهم مكلّفون برعايتهنّ والسعي من أجلهنّ وخدمتهنّ ، إلى كل ما تفرض القوامة من تكليفات .

إذن فالقوامة تكليف للرجل ، ومعنى : ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [2] .

ليس تفضيلاً من الله عزّ وجلّ للرجل على المرأة ، كما يعتقد الناس ، ولو أراد الله هذا لقال : بما فضل الله الرجال على النساء ، ولكنه قال: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [3] .

فأتى ببعض مبهمة هنا وهناك ، وهذا معناه : أن القوامة تحتاج إلى فضل مجهود، وحركة ، وكدح من جانب الرجل ، ليأتي بالأموال ، يقابلها فضل من ناحية أخرى وهو أن المرأة لها مهمة ، لا يقدر عليها الرجل ، فهي مفضلة عليه فيها ، فالرجل لا يحمل ولا يلد ولا يُرضع ولا يحيض ، ولذلك قال تعالى في آية أخرى : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [4] .

---

(1) سورة النساء : / ٣٤ / .

(2) سورة النساء : / ٣٤ / .

(3) سورة النساء : / ٣٢ / .

(4) سورة النساء : / ٣٢ / .

لمن الخطاب هنا ؟

إنه للجميع ، وأتى بكلمة ﴿ بَعْضٍ ﴾ أيضاً ، لكي يكون البعض مفضلاً في ناحية ، ومفضولاً عليه من ناحية أخرى .

ولا يمكن أن نُقيم مقارنة بين فردين لكل منها مهمة تختلف عن الآخر ، ولكن إذا نظرنا إلى كل من المهمتين معاً ، سنجد أنهما متكاملتان ، فللرجل فضل القوامة بالسّعي والكدح ، أما الحنان والرعاية والعطف فهي ناحية مفقودة عند الرجل ، لانشغاله بمتطلبات القوامة .

ولذلك فإن الله عز وجل يحفظ المرأة لتقوم بمهمتها ، ولا يحمّلها القوامة بتكليفاتها ؛ لكي تفرغ وقتها للعمل الشاق الآخر الذي خُلقت من أجله .

ولكن الشارع أثبت لنا أن الرجل عليه أن يساعد المرأة ، فقد كان الرسول ﷺ إذا دخل البيت ووجد أهله منشغلاتٍ بعمل يساعدهنّ فيه ، مما يدل على أن مهمة المرأة كبرى ، وعلى الرجل أن يعاونها .

وإن المرأة تتعامل مع أرقى الأجناس على الإطلاق وهو الإنسان ، فهي تربّي سيّد الوجود ، بينما يتعامل الرجل مع الجماد والتراب ، ومع النبات والحجر والحيوان .

[فتاوى النساء للشعراوي : ٩٩-١٠٠]

خطر أدباء الجنس ... !!

يقول الدكتور مصطفى السباعي في ذلك :

وفي يقيني أن هؤلاء الذين يحرضون المرأة في أدبهم على الخروج على الآداب الصالحة التي عُرفنا بها ، ويغرونها بأن تتبع طريق المرأة الغربية ويعملون على حرمانها من هدوئها وسعادتها ، يحملون أكبر وزر من انحراف المرأة والمجتمع في هذا التيار الضار ،

وقد كان الظنّ بهم أن يكونوا رواد نهضة حقيقية تبعث في الأمة روح الكفاح وتحبّب لها حياتها الأسروية الهانئة ، ليكون مجتمعنا في نهضته الجديدة مجتمعاً متماسكاً قوي البنيان ، إن هؤلاء الناس من أدباء الجنس يحملون بأيديهم معاول التهديم في صرح كياننا الداخلي المتين ، وهم في هذا الطريق الذي اختطّوه لا يريدون بذلك مصلحة الأمة ولا يندفعون وراء عقولهم ، بل وراء أهوائهم وشهواتهم ، وهم يبغون منه الإثراء المادي بنشر هذا الأدب الرخيص المدمّر بين الشباب والفتيات ليقبلوا عليه ويلتهموا ما فيه .

إني لا أرى فرقاً بين أثرياء الجنس وأثرياء الحرب ، فكلاهما يجد في الأزمات فرصة للربح والكسب ، بل في رأيي إن أثرياء الجنس أشدّ خطراً وأسوأ أثراً ، فلماذا نتركهم يخربون بيوتنا باسم الحرية ؟

وما كانت الحرية الخالصة من الشوائب إلا حرية بناء لا تهديم ، وحرية تقدّم حقيقي لا رجوع إلى الوراء آلاف السنين حين كان الإنسان ينطلق وراء شهواته لا يبالي بمجتمع ولا يتقيّد بنظام ؟!

ومن الغريب أن أدباء الجنس يقصرون إنتاجهم كله على هذا النوع المؤدي إلى تفسّخ الأخلاق وانحلال الأسرة وشيوع الميوعة ، بينما نعيش أخطر مرحلة من تاريخنا كله ، مرحلة الكفاح مع إسرائيل ، والكفاح ـ كما تعلم ـ يقتضي أدب الرجولة لا أدب الميوعة ، وأدب القوة لا أدب الضعف ، وأدب التضحية لا أدب المنفعة ، وأدب الحرمان لا أدب اللذّة وإحياء الغرائز والشهوات .

إني لأهيب بعقلاء الأمة ، وشباها وفتياتها الفاضلات الطاهرات ، وبجمعياتها النسائية ، أهيب بكل مخلص في هذه الأمة رجالاً ونساءً ، أن يقفوا في وجه هؤلاء العابثين يمنعوهم من التخريب باسم حرية الكلمة ، ويشعروهم أن شرف الكلمة قبل حريتها ، وأن تنظيم الطاقات الجنسية هو غير كبتها كما يزعمون ، وأننا في معركة لا سلاح لها إلا العلم والإيمان والأخلاق ، وإن كل من يريد أن يُدخل إلى بيوتنا إلى بناتنا إلى زوجاتنا مرض الإباحية والتحلل الأخلاقي .

إنما هم لصوصٌ سارقون ، سارقون لأشرف ما تحتفظ به الأمة من أخلاق ، وأكرم ما تعتزّ به من فضائل .

نحن نقول لهؤلاء : اتركوا لنا بناتنا عفيفات ، اتركوا لنا زوجاتنا وفيّات مخلصات ، اتركوا لنا شبابنا ثورة وكفاحاً ، لا شباب ميوعة وانحلال .

إن الذي يريد أن يهدم بيتي لا أتركه يُتمّ جريمته باسم الحرية ، ولكن آخذ على يده باسم القانون ، ولا أتركه يحرق بيتي باسم الفنّ ، ولكن أحول بينه وبين ما يريد باسم الحق ، باسم الكرامة ، باسم القوة التي نحن أحوج ما نكون إليها .

والفن إذا لم يخدم مبادئ النهضة الأساسية في الأمة كان عبثاً ولهواً وفساداً .

[المرأة بين الفقه والقانون : ١٥٧-١٥٨]

" تخيّروا لنُطفكم ... "

الوراثة حق ، ولكن شأنها يدعو للحيرة ، فنحن لا ندري بدقة مـاذا ينتقـل للفروع من الأصول ، وما الذي يظهر في العقب القريب ، وما الذي يكمن ليظهر في الأعقاب التالية ، وما الذي يتلاشى إلى الأبد .

ثم إن هذه الموروثات تتفاعل مع البيئة التي تستقبلها تفاعلاً غامضاً ، فهنـاك بيئات تعين ، وهناك بيئات تعوق ، وقد تصادف بعض الخصائص النفـسية مـا يضاعف نماءها ووهجها ، وقد تصادف ما يقفها مكانها لا تتحرك ولا تثمر .

إن ذلك كله من الأقدار التي يستحيل أن نخترق أسوارها ، بيد أنه يجـب أن نفعل ما يأمرنا الشارع به ، ففيه خيرنا العاجل والآجل .

من ذلك ضرورة اختيار زوجة صالحة عند الاتجاه إلى بناء الأسرة ، فإن الزواج ليس قضاء وطر ، وإراحة بدن ثائر ، والأمر أسمى من ذلك .

وقد جاءت في ذلك آثار نذكرها على ما بها : " إياكم وخضراء الدّمن !

قالوا : وما خضراء الدّمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السّوء ! " .

وقال : " تخيّروا لنطفكم فإن العرق دسّاس " .

وهذه الأحاديث قد تكون ضعيفة ، ولكن يجبر ضعفها ما جاء في الصحاح : " الناس معادن " ، وما دُمنا قد خلقنا من الأرض ، فالأرض نفسها ليست سواء في نواحيها الكثيرة ، هناك الخصب ، وهناك الجدب ، هناك السّهل وهناك الوعر !

وطالب الزواج عليه أن يرتاد لنفسه ويطلب الأزكى والأنقى ، ونحن عـادةً نحبُّ الجمال الباهر ! أو نحب الغنى الواسع ، أو نحبُّ العِـزْوةَ القويـة ، ولـست أطالب الشباب بتجاهل هذه البواعث ! لكن لتكن ثانوية عند البحث ، ولـيكن

الغرض الأول امرأة ذات خلق وتقى ! فإن هذا الغرض إذا ضاع لم يبقَ ما يحرص عليه .

لفت نظري وأنا أطالع درساً في عالم البحار منظر السمك الملون ، كانت حراشف السمكة مليئةً بالنقوش الرائعة والزخارف التي تسبي العيون باتساق الألوان وغرابة الرسوم .

ثم عرفت أن هذا النوع من الأسماك سامٌّ كله !

فقلت : يا عجباً ! المنظر حلو والمخبر مؤذٍ ، ما أكثر هذا بين البشر :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [1] .

أنصح طالب الزواج ألاّ تخدعه الظواهر المزوّقة ، وليكن همُّه الباطنَ الشريف !

تقول : ومن يعرف الغيوب ؟

وأجيب : البيوت أمارة مصدوقة ، ويغلب أن تكون البنت مثل أبيها أو أمها، وعلينا أن نستشير وأن نستخير .

ولذلك أرشدت منظمة الصحة العالمية طالبي الزواج أن يختاروا زوجاتٍ ترعرعنَ في بيئةٍ صالحة ، وتناسلن من نطفة انحدرت عن أصل كريم .

وقد أوصى عثمان بن أبي العاص الثقفي أولاده في تخيُّر النطف وتجنّب عرق السوء ، فقال لهم : يا بني ! الناكح مغترس ــ زارع ــ فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه ، والعرق السوء قلما يُنجب ، فتخيّروا ولو بعد حين .

وأجاب عمر بن الخطاب أحد أبنائه لما سأله : ما حق الولد على أبيه ؟

بقوله : أن ينتقي أمه ، ويحسن اسمه ، ويعلّمه القرآن .

---

(1) سورة البقرة : / ٢٠٤ / .

إن السعادة الزوجية من مطالب المؤمنين ، فالمؤمن يكره أن يعيش مستوحشاً قلقاً لا قرار له ، ومن ثمّ جاء في دعاء عباد الرحمن : ﴿ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (1) .

ولنذكر ما روته عائشة رضي الله عنها مرفوعاً :

" تخيّروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء " .

[قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : ١٠٤-١٠٥]

(1) سورة الفرقان : / ٧٤ / .

حقّ الأم في أجرة الرضاع ... !!

للأم طلب أجرة المثل بالإرضاع ، سواء كانت في عصمة الأب أم خليّة ، لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ (١) .

وإلى هذا ذهب الشافعية والحنابلة (٢) .

وقال الحنفية : إن كانت في عصمة الأب أو في عدته فليس لها طلب الأجرة، لأن الله تعالى أوجب عليها الرضاع ديانة مقيداً بإيجاب رزقها على الأب بقوله :

﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (٣) .

وهو قائم برزقها حالة بقائها في عصمته أو في عدّته ، بخلاف من لم تكن في عصمته ولا في عدّته ، فتقوم الأجرة مقام الرزق ، ولأن إلزام البائن بالإرضاع مجاناً مع انقطاع نفقتها عن الأب مضارة لها ، فساغ لها أخذ الأجرة بالرضاع بعد البينونة (٤) .

وقال تعالى : ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا ﴾ (٥) ، فإن طلبت الأم أكثر من أجرة المثل ووجد الأب من ترضع له مجاناً أو بأجرة المثل جاز له انتزاعه منها ، لأنها أسقطت حقها بطلبها ما ليس لها ، فدخلت في عموم قوله تعالى :

﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾ (٦) .

---

(1) سورة الطلاق : / ٦ / .

(2) المغني : ٦٢٨/٧ ، نهاية المحتاج : ٢٢٧/٧ ، حاشية ابن عابدين : ٦٧٥/٢ .

(3) سورة البقرة : / ٢٣٣ / .

(4) حاشية ابن عابدين : ٦٧٥/٢ .

(5) سورة البقرة : / ٢٣٣ / .

(6) سورة الطلاق : / ٦ / .

وإن لم يجد الأب من ترضع له بأقل مما طلبته الأم لم يسقط حقها في الرضاعة، لأنها تساوت مع غيرها في الأجرة ، فصارت أحقّ بها ، كما لو طلبت كل واحدة منها أجرة المثل [1] .

وقال المالكية : إن كانت الأم ممن يُرضع مثلها ، وكانـــت في عـــصمة الأب فليس لها طلب الأجرة بالإرضاع ، لأن الشرع أوجبه عليها فلا تستحق بواجـــب أجرة ، أما الشريفة التي لا يرضع مثلها ، والمطلقة من الأب ، فلها طلب الأجرة ، وإن تعينت للرضاع أو وجد الأب من ترضع له مجاناً [2] .

[الموسوعة الفقهية الكويتية : ٢٢/٢٤٠-٢٤١]

---

(1) المغني : ٦٢٨/٧ .

(2) حاشية الدسوقي : ٥٢٦/٢ .

عش في حدود يومك ... !!

من أخطاء الإنسان أن ينوء في حاضره بأعباء مستقبله الطويل !

والمرء حين يؤمل ينطلق تفكيره في خطّ لا نهاية له ، وما أسرع الوساوس والأوهام إلى اعتراض هذا التفكير المرسل ، ثم إلى تحويله هموماً جاثمة ، وهواجس قابضة ، لماذا تخامرك الريبة ويخالجك القلق ؟ عش في حدود يومك ، فذاك أجدر بك ، وأصلح لك .

ولقد ساق (ديل كارنجي) عدداً من التجارب التي خاضها رجال ناجحون، رجال لم يتعلقوا بالغد المرتقب ، بل انغمسوا إلى الأذقان في حاضرهم وحده يواجهون مطالبه ويعالجون مشكلاته ، فآمنوا بهذا المسلك الراشد يومهم وغدهم جميعاً ، ثمّ أهدوا لنا خلاصات تجاربهم في هذه الكلمات :

" ليس لنا أن نتطلع إلى هدف يلوح لنا باهتاً من بُعد ، وإنما علينا أن ننجز ما بين أيدينا من عمل واضح بيِّن " ، وهي نصيحة للأديب الإنكليزي (توماس كارليل) .

ويزيد عليها دكتور (أسلو) فأمر طلبته في جامعه (ييل) أن يبدؤوا يومهم بالدعاء المأثور عن السيد المسيح : " أعطنا خبزنا كفاف يومنا ! " .

وذكرهم بأن هذا الدعاء كان من أجل خبز اليوم فحسب .

إنه لم يحزن على الخبز الرديء الذي حصل عليه أمس ، ولم يصح : يا إلهي لقد عمَّ الجفاف ، ألا نجد القوت في الخريف القادم !

أو : ترى كيف أُطعم نفسي وأولادي لو فقدت وظيفتي .

إنه لم يرتبك مقدّماً لهذه الدواهي المتوقعة ، إنه يطلب خبز اليوم وحده ، لأن خبز اليوم وحده هو الذي يمكنك أن تأكله في ذلك اليوم .

والعيش في حدود اليوم ـــ وفق هذه الوصايا ـــ يتّسق مع قول الرسول ﷺ :

" من أصبح آمناً في سِربه ، معافى في بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها " أخرجه الإمام الترمذي في سننه .

إنك تملك العالم كله يوم تجمع هذه العناصر كلها في يـــديك ، فاحـــذر أن تحرقها .

إن الأمان والعافية وكفاية يوم واحد ، قوى تتيح للعقل النيّر أن يفكّر في هدوء واستقامة تفكيراً قد يغير به مجرى التاريخ كله .

وإن هذه النعم الميسرة ضمان كبير لصاحبها كي يقطع من الزمن فترة كاملـــة الإنتاج ، مطردة السير ، مراحة من العوائق والمثبطات .

والحق أن استعجال الضوائق التي لم يحن موعدها حمق كبير ، وغالباً ما يكون ذلك تجسيداً لأوهام خلقها التشاؤم ، ولو كان المرء مصيباً فيما يتوقع ، فإن إفساد الحاضر بشئون المستقبل خطأ صرف ، والواجب أن يستفتح الإنسان يومه ، وكأن اليوم عالم مستقل بما يحويه من زمان ومكان ، ولذلك كان الخليل إبراهيم عليـــه السلام إذا طلع عليه الصباح يدعو : " اللهم هذا خلقٌ جديد فافتحه عليَّ بطاعتك ، واختمه لي بمغفرتك ورضوانك ، وارزقني فيه حسنة تقبلها منّي وزكها وضاعفها لي ، وما عملتُ من سيئة فاغفر لي ، إنك غفور رحيم ودود كـــريم " أخرجـــه الترمذي في سننه .

وسيرة رسول الله ﷺ تلفتنا إلى صحة هذه الطريقة في تجزئة الحياة ، واستقبال كل جزء منها بنفس محتشدة وعزم جديد ، فهو إذا أصـــبح يقـــول : " أصـــبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا شريك له ، لا إله إلا هو وإليه النشور ".

وإذا أمسى قال مثل ذلك ، وكان صلوات الله يدعو مثل ذلك بقوله : " اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر ، فأتمم نعمتك عليَّ وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة " أخرجه أبو داود في سننه .

وبعض الناس يستهين بما أولاه الله من سلامة وطمأنينة في نفسه وأهله ، وقد يزدري هذه الآلاء العظيمة ، ويضخم آثار الحرمان من حظوظ الثروة والتمكين ، وهذه الاستهانة غمط للواقع ومتلفة للدين والدنيا .

فقد روي أن رجلاً سأل عبد الله بن عمرو بن العاص : ألست من فقراء المهاجرين ؟

فقال له عبد الله : ألك امرأة تأوي إليها ؟

قال : نعم .

قال : ألك مسكن تسكنه ؟

قال : نعم .

قال : فأنت من الأغنياء !

قال : فإن لي خادماً ؟

قال : فأنت من الملوك !!! (أخرجه الإمام مسلم في صحيحه) .

إن الاكتفاء الذاتي ، وحسن استغلال ما في اليد ، ونبذ الاتكال على المنى ، هي نواة العظمة النفسية وسرّ الانتصار على الظروف المعنتة .

والذين لا يشكون الحرمان ـــ لأنهم أوتوا الكثير ـــ قلما ينتفعون بما أوتوا إذا هم فقدوا الطاقة النفسية على استغلال ما معهم والإفادة مما حولهم .

وهذه حقيقة يؤكدها النبي الكريم ﷺ مطلع كل صباح ، فيقول : " ما طلعت شمس قط إلا بُعث بجنبتها ملكان ـــ يُسمعان أهل الأرض إلا الثقلين ـــ : يا أيها الناس ! هلمّوا إلى ربكم ، فإن ما قلّ وكفى خير مما كثُر وألهى . ولا غربت شمس

قط ، إلا وبُعث بجنبتها ملكان يناديان : اللهم عجِّل لمنفقٍ خلفاً ، وعجّل لممسكٍ تلفاً " .

آخر هذا الحديث وعد للكرام بالعوض ، ووعيد للبخلاء بالمقت ، وأوله مقارنة قد تُحسب تفضيلاً للقلة على الكثرة ، والحقيقة أنها تفضيل للقلة الكافية على الكثرة الملهية .

أما الكثرة التي تغني صاحبها ثمّ يبقى فيها فضل يسع الحاجات ويسدّ الحقوق فإنها بمنزلة أسنى من القلة المحصورة ، ولم يتعرض لها الحديث هنا ، كل ما عني به هذا الأثر النبوي تحريض المؤمنين على الكرم ، والجراءة في البذل ، دون خشية من إملاق ، أو تبرّم بكفاف ، وهذا الفقه في معالجة الحياة يورث المؤمنين شجاعة هائلة.

واسمع قول (أبي حازم) : إنما بيني وبين الملوك يوم واحد .

أما أمس فلا يجدون لذّته !

وأنا وهم من غدٍ على وَجَل !

وإنما هو اليوم ، فما عسى أن يكون اليوم ؟

هذا الفقير الصالح يتحدّى الملوك ، إنّ لذائذ الماضي تفنى مع أمس الذاهب، ما يستطيع أحد إمساك بعضها .

والغد في ضمير الغيب يستوي السادة والصعاليك في ترقّبه ، فلم يبقَ إلا اليوم، الذي يعيش العقلاء في حدوده وحدها .

وفي نطاق اليوم يتحوّل إلى ملك من يملك نفسه ويبصر قصده ، فما وجه الهوان ؟ وما مكان التفاوت ؟

على أن العيش في حدود اليوم لا يعني تجاهل المستقبل ، أو ترك الإعداد له، فإن اهتمام المرء بغده وتفكيره فيه حصافةٌ وعقل .

وهناك فارقٌ بين الاهتمام بالمستقبل والاغتمام به ، بين الاستعداد له والاستغراق فيه ، بين التيقّظ في استغلال اليوم الحاضر ، وبين التوجّس المربك المحيّر مما قد يفد به الغد ! إن الدين في حظره للإسراف وحبّه للاقتصاد إنما يؤمن الإنسان على مستقبله ، بالأخذ من صحته لمرضه ، ومن شبابه لهرمه ، ومن سلمه لحربه ، وكان سفيان الثوري من كبار التابعين ، وكان له ثروة حسنة ، وكان يُشير إليها ويقول لولده : لولا هذه لاستبدل بنا هؤلاء ! ـ يقصد بني أمية ـ

يعني أن غناه حماه من حكام زمنه ، فلم يحتج إلى مداهنتهم وتملقهم ، والواقع أن ذلك مسلك يعين على بلوغه إحسان العيش في حدود اليوم ،

فإن الحاضر المكين أساس جيد لمستقبل ناجح ، ومن ثم يجب نبذ القلق ،

كما قال الشاعر :

سهرتْ أعينٌ ونامتْ عيونٌ ... في شئون تكون أو لا تكون
إنَّ ربّاً كفاكَ بالأمسِ ما كا ... ن سيكفيكَ في غدٍ ما يكون

أتدري كيف يسرق عمر المرء منه ؟

يذهل عن يومه في ارتقاب غده ، ولا يزال كذلك ، حتى ينقضي أجله ، ويده صفر من أي خير .

كتب (ستيفن ليكوك) يقول : " ما أعجب الحياة ! يقول الطفل : عندما أشبُّ فأصبح غلاماً ، ويقول الغلام : عندما أترعرع فأصبح شاباً ، ويقول الشاب : عندما أتزوّج ، فإذا تزوّج قال : عندما أصبح رجلاً متفرّغاً، فإذا جاءته الشيخوخة تطلّع إلى المرحلة التي قطعها من عمره ، فإذا هي تلوح وكأن ريحاً باردة اكتسحتها اكتساحاً !!

إننا نتعلّم بعد فوات الأوان أن قيمة الحياة في أن نحياها ، نحيا كل يوم منـــها وكل ساعة " .

وفي هؤلاء الذين ضيّعوا أعمارهم سدى ، وتركوا الأيام تفلت من أيديهم لُقَىً ، يقول تعالى :

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [1] .

ويقول سبحانه : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [2] .

[جدّد حياتك : ٢٣-٢٧]

القرآن .... والجمال ... !!

وإذا كانت روح الفنّ هي الإحساس بالجمال وتذوّقه ، فهذا ما عني القـــرآن بالتنبيه عليه وتأكيده في أكثر من موضع .

فهو يُلفت النظر بقوة إلى عنصر (الحُسن) أو (الجمال) الذي أودعه الله في كل ما خلق ، إلى جوار عنصر (النفع) أو (الفائدة) فيها .

كما أنه شرع للإنسان الاستمتاع بالجمال أو (الزينة) مع المنفعة أيضاً .

يقول الله تعالى في معرض الامتنان بالأنعام : ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [1] .

---

(1) سورة الروم : / ٥٥ / .

(2) سورة النازعات : / ٤٦ / .

(1) سورة النحل : / ٥ / .

وفي هذا تنبيهٌ على جانب المنفعة والفائدة ، ثم يقول : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [2] .

فهذا تنبيه على الجانب الجمالي ، حيث يلفتنا إلى هذه اللوحة الربّانيّة الرائعة، التي لم ترسمها يد فنّان مخلوق ، بل رسمتها يد الخالق سبحانه .

وفي السّياق نفسه يقول سبحانه : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [3] .

فالركوب يحقّق منفعة مادية مؤكدة ، أما الزينة فهي متعةٌ جمالية فنية ، بها يتحقق التكامل للوفاء بحاجات الإنسان ، كل إنسان .

وفي هذا السياق من نفس السورة امتنّ الله تعالى بتسخير البحر ، فقال :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [4] .

فلم يقصر فائدة البحر على العنصر المادي المتمثل في اللحم الطري الذي يُؤكل، فينتفع به الجسم ، بل ضمّ إليه الحلية التي تُلبس للزينة ، فتستمتع بها العين والنفس.

وهذا التوجيه القرآني تكرّر في أكثر من مجال ، ومن ذلك : مجال النبات والزرع والنخيل والأعناب والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه ،

(2) سورة النحل : / ٦ / .

(3) سورة النحل : / ٨ / .

(4) سورة النحل : / ١٤ / .

يقول تعالى في موضع من سورة الأنعام : ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ (١) .

وفي موضع آخر من السورة نفسها يقول بعد ذكر الزرع وجنّات النخيل والعنب : ﴿ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

فكما أن الجسم في حاجة إلى الأكل من الثمر إذا أثمر ، فإن النفس في حاجة إلى الاستمتاع بالنظر إلى ثمره إذا أثمر وينعه ، وبهذا يرتفع الإنسان أن يكون همه الأول أو الأوحد هو همّ البطن !

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ (٣) .

فأخذ الزينة لحاجة الوجدان ، والأكل والشرب لحاجة الجثمان ، وكلاهما مطلوب .

وكذلك نجد الاستفهام الإنكاري في الآية الثانية ينصبّ على أمرين :

---

(1) سورة الأنعام : / ١٤١ / .

(2) سورة الأنعام : / ٩٩ / .

(3) سورة الأعراف : / ٣١-٣٢ / .

تحريم : ﴿ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ ، وتحريم : ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ ، و ﴿ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ تجسّد عنصر الجمال الذي هيأه لعباده ، بجوار عنصر المنفعة الذي يتمثّل في ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ .

وتأمّل هذه الإضافة ـــ إضافة كلمة ﴿ زِينَةَ ﴾ إلى لفظ الجلالة : ﴿ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ ففيها تشريف لهذه الزينة وتنويه لها .

وفي هذا السياق جاء قبل هاتين الآيتين قوله تعالى في شأن اللباس : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٌ﴾[4] .

فقد جعلت الآية اللباس ـــ الذي امتنّ الله تعالى بإنزاله ـــ أنواعاً ، وإن شئت قلت: جعلت له مقاصد ومهمات : مقصد (الستر) المعبّر عنه بقوله : ﴿ يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾، ومقصد (التجمل والزينة) المعبّر عنه بقول: ﴿ وَرِيشًا ﴾ ، ومقصد (الوقاية) من الحرّ والبرد ، المعبّر عنه بقوله : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ .

[الإسلام والفنّ : ١٤-١٧]

---

(4) سورة الأعراف : / ٢٦ / .

الشريعة الإسلامية ميّزت ، أم ساوت : بين النساء والرجال ... ؟!

هناك بعض الأمور التي ميّزت فيها الشريعة الإسلامية بين النساء والرجال ، أهمها :

١. في الميراث : قال تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾[1] .

٢. في القوامة : قال تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾[2] .

٣. في الأعباء الاقتصادية : كالنفقة على التربية والحضانة ، وفي حال الطلاق ، وما إلى هنالك .

٤. في بعض التكاليف الدينية : كإعفاء المرأة من الصلاة في أثناء الحيض والنّفاس .

٥. في قضية الشهادة : كالشهادة في جريمة الزنا وما إلى هنالك .

٦. في تولّي منصب الخلافة ــ أو رئاسة الدولة ــ .

لكن الشريعة الإسلامية ساوت بين النساء والرجال ، وذلك في كثير من الحالات ، أهمها :

---

(1) سورة النساء : / ١١ / .

(2) سورة النساء : / ٣٤ / .

١. المساواة في العمل الصالح ، وفي جزائه : كما في الآية / ٩٧ / من سورة النحل .

٢. المساواة في الولاء والمناصرة : كما في الآية / ٧١ / من سورة التوبة .

٣. المساواة في المعصية والعقوبة ، وفي الجزاء : كما في الآية / ٦٧ /و / ٦٨/ من سورة التوبة .

٤. وتبقى المسألة كما قال الله سبحانه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [1] .

[رفقاً بالقوارير : ٢٩-٣٠]

---

(١) سورة الملك : / ١٤ / .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

١محرم ١٤١٥ هجري

المراجع:

١. البداية والنهاية : لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة٧٧٤ هـ ، ط/دار الكتب العلمية ببيروت .

٢. الفقه الإسلامي وأدلته: الدكتور وهبة الزحيلي، الطبعة الثالثة، دار الفكر بدمشق.

٣. إحياء علوم الدين: محمد أبي حامد الغزالي، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٣م، دار الخير بدمشق.

٤. تفسير آيات الأحكام (روائع البيان): محمد علي الصابوني ، الطبعة الثالثة (١٩٨٠م) مكتبة الغزالي .

٥. جامع العلوم والحكم : لابن رجب الحنبلي البغدادي ، تحقيق د.وهبة الزحيلي ، الطبعة الأولى : دار الخير .

٦. المستطرف في كل فنٍ مستظرف: شهاب الدين محمد الأبشيهي ، شرح د. مفيد قميحة ، ط١ دار الكتب العلمية .

٧. مكارم الأخلاق : لابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١ دار الكتب العلمية .

٨. الأدب المفرد للحافظ البخاري تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١ دار الكتب العلمية .

٩. الصحاح والسنن الستة : لأصحاب الحديث المشهورين .

١٠. الإصابة في تمييز الصحابة : للحافظ ابن حجر العسقلاني .

١١. أخبار النساء : لابن القيم ت(٧٥١هـ) الطبعة الأولى دار الكتب العلمية ببيروت لبنان .

١٢. طرائف النساء : إعداد رضا ديب ، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت .

١٣. أخبار النساء في العقد الفريد: جمع عبد منها وسمير جابر ط أولى دار الكتب العلمية بيروت .

١٤. طرائف الخلفاء والملوك: إعداد عبد مهنا ، طبعة أولى دار الكتب العلمية بيروت .

١٥. صفحات مشرقة من حياة السابقين: جمع نذير مكتبي ، ط أولى دار البشائر الإسلامية بيروت .

١٦. صفوة الأخبار ومنتقى الآثار: جمع موسى الأسود ، ط أولى (١٩٨٨م) مكتبة دار التراث بالكويت .

١٧. الروض الفائق في المواعظ والرقائق : للشيخ الحريفشي ، ط أولى دار البشائر دمشق .

١٨. مع الطب في القرآن الكريم : د. عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز ط/أولى (١٩٨٠م) مؤسسة علوم القرآن بدمشق .

١٩. الأذكياء : للحافظ ابن الجوزي البغدادي (ت٥٩٧هـ) الناشر مكتبة الرياض الحديثة .

٢٠. تربية الأولاد في الإسلام (مجلدين) : عبد الله علوان ط/دار الشهاب (باتنته) الجزائر .

٢١. تأملات إسلامية حول المرأة: محمد حسين فضل الله ، ط٢ دار الملاك بلبنان .

٢٢. سير النبلاء (جزء خاص بترجمة السيدة عائشة) تحقيق سعيد الأفغاني، ط/٢دار الفكر) .

٢٣. البخلاء : لأبي عثمان الجاحظ ، تحقيق إسماعيل اليوسف إصدار دار كرم بدمشق .

٢٤. نفقات الزوجة في التشريع الإسلامي: الشيخ عارف البصري ط٢ الدار الإسلامية بلبنان .

٢٥. غريزة أم تقدير إلهي؟ شوقي أبو خليل، الطبعة السادسة (١٩٨٧) دار الفكر دمشق .

٢٦. القلائد من فرائد الفوائد : د. مصطفى السباعي ، الطبعة الرابعة المكتب الإسلامي بدمشق .

٢٧. لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر:د. يوسف القرضاوي، ط١مكتبة وهبة بالقاهرة .

٢٨. نساء صنعن التاريخ : مزين حقي ط/١٩٦٩ .

٢٩. الأخلاق الإسلامية للناشئة : محمد عمر الحاجي، الطبعة الأولى، دار المحبة بدمشق .

٣٠. قضايا المرأة بيت التقاليد الراكدة والوافدة : محمد الغزالي ط٣/دار الشروق القاهرة .

٣١. جواهر الأدب: السيد أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف بيروت لبنان .

٣٢. أسئلة حرجة وأجوبة صريحة : محمد متولي شعراوي منشورات دار النصر ببيروت .

٣٣. ديوان الإمام علي : منشورات مؤسسة الأعلمي .

٣٤. عيون الأخبار لابن قتيبة ، وزارة الثقافة بمصر (١٩٦٣) .

٣٥. وفيات الأعيان لابن خلكان ، دار صادر بيروت .

٣٦. طبقات الشافعية للسبكي : ط١/عيسى البابي بمصر (١٩٦٤٠) .

٣٧. أخبار أبي حنيفة : للصميري ، حيدر أباد الهند (١٩٧٤) .

٣٨. حياة الصحابة : للكاندهلوي ، مطبعة السعادة: مصر (١٩٦٨) .

٣٩. برد الأكباد عن فقد الأولاد : ابن ناصر الدين الدمشقي، ط١ دار البشائر بدمشق .

٤٠. (٤٠) نصيحة لإصلاح البيوت : محمد صالح المنجد ، ط١ دار ثوار الوطن للنشر .

٤١. تاريخ بغداد (مدينة السلام) : للحافظ البغدادي ، دار الكتاب العربي ببيروت

٤٢. جامع الأصول في أحاديث الرسول: تحقيق الأرناؤوط، دار الفكر،ط/أولى .

٤٣. ديوان المتنبي : المكتبة الثقافية ببيروت .

٤٤. ديوان الشريف الرضي: وزارة الإفرشاد الإسلامي بإيران .

٤٥. ديوان أبي فراس الحمداني: منشورات المستشارية الإيرانية بدمشق.

٤٦. واحة الصالحية : إعداد محمد عمر الحاجي .

٤٧. مختصر منهاج القاصدين : لابن قدامة المقدسي دار البيان .

٤٨. صفة الصفوة : للحافظ أبي الفرج بن الجوزي .

٤٩. حلية الأولياء : لأبي نعيم الأصفهاني ط مصر (١٣٥١هـ) .

٥٠. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : المكتبة الثقافية لبنان .

٥١. فتاوى المرأة المسلمة ، الدكتور يوسف القرضاوي ، ط ١ /١٩٩٦ م ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

٥٢. أحكام الزواج في ضوء القرآن والسنّة ، الدكتور عمر سليمان الأشقر ، ط ٢ /١٩٩٧م ، دار النفائس ، الأردن .

٥٣. السنّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، محمد الغزالي ، ط١٠/١٩٩٢م ، دار الشروق ، القاهرة .

٥٤. فتاوي النساء ، محمد متولي الشعراوي ، ط٢/٢٠٠٠ ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

٥٥. أخبار النساء في العقد الفريد ، جمع عبد مهنا وسمير جابر ، ط١/١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٦. النشاطات الاجتماعية للمرأة بين التشدد والاعتدال ، الدكتور محمد عمر الحاجي ، ط١/٢٠٠١م (د.ت) .

٥٧. المرأة بين الفقه والقانون ، الدكتور مصطفى السباعي ، ط٨/٢٠٠١م دار الوراق ، دمشق .

٥٨. قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ، محمد الغزالي ، ط٣/١٩٩١م ، دار الشروق القاهرة .

٥٩. إطلالة قرآنية على بيت النبوة ، الدكتور محمد الحاجي ، ط١/٢٠٠١م ، دار غار حراء ، دمشق .

٦٠. جـــدّد حياتـــك ، محمـــد الغـــزالي ، ط١/١٩٩٨م ، دار الـــدعوة ، الاسكندرية بمصر .

٦١. الموسوعة الفقهيـــة ، وزارة الأوقـــاف والـــشئون الإســـلامية الكويتيـــة ، ط١٩٩٢/٢م ذات السلاسل بالكويت .

٦٢. الإســـلام والفـــنّ ، الـــدكتور يوســـف القرضـــاوي ، ط١/٢٠٠٠م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٦٣. رفقاً بـــالقوارير ، الـــدكتور محمـــد عمـــر الحـــاجي ، ط١/٢٠٠٠م ، دار الحافظ ، دمشق .

٦٤. الجامع الـــصحيح في فتـــاوي المـــرأة المـــسلمة ، للإمـــام ابـــن تيميـــة ، ط١/٢٠٠١م ، عالم الكتب ، بيروت .

٦٥. الشّفا بتعريف حقـــوق المـــصطفى ، القاضـــي عيـــاض ، ط١/٢٠٠٠م ، مكتبة الغزالي ، دمشق .

.... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهرس

١	من وحي التنزيل	....	٣
٢	الإهداء	....	٤
٣	المقدمة	....	٥
٤	بلاغة عجيبة	....	١١
٥	ما تفردت به السيدة عائشة	....	١١
٧	امرأة فاسق	....	١٢
٨	أمي أمي	....	١٣
٩	أم كلثوم وعمر	....	١٤
١٠	عالم جليل يتعلم التأويل من أعرابية	....	١٥
١١	الخنساء ترثي صخراً	....	١٦
١٢	الدنيا دار زوال	....	١٧
١٣	هل تخرج النساء إلى صلاة العيد	....	١٧
١٤	ما علي أن تكون جارية	....	٢٢
١٥	إذا ابتلي الرجل بمحبة امرأة	....	٢٣
١٦	ربط الولد بالقرآن	....	٢٤
١٧	احوال غريبة	....	٢٥
١٨	إذا دخلت عليه قام إليها	....	٢٨

١٩ كانت من ذوات الاقتصاد ٢٨

٢٠ قال : إذا متُّ تزوجي ٣٠

٢١ لماذا قتل النبي يحيى ٣٢

٢٢ أفاطم قد أبليت في نصر أحمدِ ٣٣

٢٣ تطاول هذا الليل فالعين تدمع ٣٤

٢٤ إلهي أنصفني من عمر ٣٥

٣٥ ما هو تأثير المرأة على الزوج ٣٦

٣٦ أم الشهداء الستة ٣٩

٣٧ الموقف السليم منقضية تحديد النسل ٤٠

٣٨ من لطيف التعزية ٤٤

٣٩ اللعنة على قاطع الرحم ٤٥

٤٠ أعرابي يتزوج امرأتين ٤٧

٤١ مسلمة تغزو قبرص ٤٨

٤٢ العلم الشرعي في البيت ٤٩

٤٣ كنا نجلس إلى أم الدرداء ٥١

٤٤ هل يجوزللمسلمة أن تظهر أمام الكافرة ٥٢

٤٥ هارون الرشيد وفصاحة عربية ٥٥

٤٦ القرآن يبين أن المراة عاقلة مدبرة ٥٦

٤٧ من لها إلا علي ٥٧

٤٨ ماذا عن تعدد الزوجات عند النبي ٥٩

٤٩	ما هي صفات الزوجة الصالحة	٦١
٥٠	برّ الأم	٦٣
٥١	السارق والمرأة الصالحة	٦٤
٥٢	لو أن فاطمة بنت محمد سرقت	٦٤
٥٣	من أي جنس هؤولاء	٦٥
٥٤	زفاف ينفق فيه مالا ينفق بغيره	٦٦
٥٥	النظر إلى الوالدين حجة مبرورة	٦٧
٥٦	لطف الرسول بعائشة	٦٩
٥٧	الفصيحة البليغة أم الخير	٧١
٥٨	من الدستور الإلهي	٧٥
٥٩	بر الوالدين – أو الوالدة – المشركين	٧٦
٦٠	المأمون وزبيدة زوجة الرشيد	٧٨
٦١	ليلى التي مات الخفاجي من حبها	٧٨
٦٢	ولا تسرفوا	٨٠
٦٣	امرأة توقف حرب قيس وذبيان	٨١
٦٤	هكذا تاب داود الطائي	٨٤
٦٥	رأي	٨٤
٦٦	وراي آخر	٨٥
٦٧	إذاً أيهما أفضل	٨٦
٦٨	كيف نصلح الصغار	٨٧

٦٩ عن العرب اشتقّت اسم الضرتين من الضرّ ٩٠
٧٠ بنت الشاعر ... شاعرة ٩٣
٧١ يا حبيب القلب مالي سواكا !! ٩٤
٧٢ ففيهما فجاهد ٩٦
٧٣ من اطاعهن شرّ منهنّ ٩٧
٧٤ امرأة فاجرة تغري أحد التابعين ٩٧
٧٥ اقل المهر ٩٨
٧٦ ما لأبي حمزة لا يأتينا ؟ !! ١٠٠
٧٧ صدقت فانكحك الصِّدق ١٠١
٧٨ اين دينها منها يومئذٍ ١٠٢
٧٩ أعرابي يتحدث عن أفضل النساء ١٠٢
٨٠ الأبن يضرب أباه ؟ ١٠٢
٨١ برّ الوالدين ١٠٣
٨٢ أين الوفاء ١٠٤
٨٣ لكن من أعظم الوفاء ١٠٤
٨٤ هل أتاك خبر حمالة الحطب ١٠٥
٨٥ أمّا (درّة) بنتُ أبي لهب ١٠٦
٨٦ إذا أعسر الزوج بالنفقة ١٠٧
٨٧ هندُ تجيب هنداً !! ١٠٨
٨٨ لكلٍّ وظيفة ١٠٩

٨٩	هـــــــــــذه أمُّ عُمـــــــــــارة	١١٢
٩٠	أتـــــــــــــــــــــرك وليّ الله !!	١١٣
٩١	فاشـــــكر محاســــــن والـــــديك	١١٥
٩٢	الحزنُ في القلــب ، أمـا النياحــة فــلا	١١٦
٩٣	زوجٌ مـــن عـــود .. خـــيرٌ مـــن قعـــود	١١٨
٩٤	آبــــــاء وأمهــــــاتٌ لم يلـــــــدوا	١١٩
٩٥	مـــــــــــع الـــــــــــشعبي	١٢٠
٩٦	مـــــا هــــــي هــــــذه القرابـــــة ؟	١٢١
٩٧	أمــــــا تعـــــرفين هــــــذا ؟!	١٢١
٩٨	حمـــــرة التفـــــاح مـــــع قدرتـــــه	١٢٢
٩٩	والـــــذي قـــــدّر فهــــــدى	١٢٤
١٠٠	ابــــــن يرثــــــي والدتــــــه	١٢٦
١٠١	إلى أن يقــــــــــــــــــول	١٢٧
١٠٢	مـــــن بركـــــات رســــول الله	١٢٨
١٠٣	تُبـــدي صـــدوداً أوتخفـــي تحتــه صـلة	١٢٨
١٠٤	الــــــشاعرة : أمّ ذرّ الغفـــــاريّ	١٢٩
١٠٥	نـــــــصحت ... فــــــأوجزت	١٣٠
١٠٦	وأي شـــــأنه لم يكـــــن عجبـــــاً ؟!	١٣٠
١٠٧	العلـــم يرفـــع ولـــو بعـــد حـــين	١٣٢
١٠٨	مـــــــن تقلـــــــــد ؟	١٣٤

١٠٩ النظـــرة ســـهم مـــن ســـهام إبلـــيس ١٣٥

١١٠ لكن مـــا القـــصد مـــن الغـــض هنـــا ؟ ١٣٦

١١١ مـــــن وفــــــاء النــــــساء ١٣٨

١١٢ يـــــا لــــــشجاعة خولــــــة ١٣٩

١١٣ الحـــــــــــــــــــق ١٤٣

١١٤ هـــل أتـــاك خـــبر (أمُّ ربيعـــة) ؟ ١٤٣

١١٥ لـــو كنـــتِ ذكـــرتني لفعلـــت !! ١٤٥

١١٦ هـــــل مـــــن غـــــذاء ؟ ١٤٦

١١٧ هل النكاح في العدة صـحيح ام فاسـد ؟ ١٤٧

١١٨ غـــيرة المـــرأة كفـــــر !! ١٤٩

١١٩ شـــهداء عليهـــا – والله – بـــالزور !! ١٥٣

١٢٠ كتمـــــت حبـــــك ١٥٤

١٢١ حـــين جئتنـــاك لآل بيـــت محمّـــد ١٥٨

١٢٢ هـــذه خولـــة بنـــت حكـــيم ١٥٩

١٢٣ إلى المتـــشددين في تعلـــيم المـــرأة ١٦٠

١٢٤ ياأبتـــــــــــاه !! ١٦١

١٢٥ الـــبر بعـــد المـــوت ١٦٢

١٢٦ ملـــك المـــوت أم الحجـــاج ؟ ١٦٣

١٢٧ قـــــصة الدجاجـــــة ١٦٥

١٢٨ مـــن أحكـــام الرضـــاعة ١٦٥

١٢٩	مصلحة الأم في الإرضاع من الثدي	١٦٨
١٣٠	احسن من قنبة ومزمار !!	١٦٩
١٣١	منازل الأحبة الخالية تثير الشوق	١٧١
١٣٢	أولٌ ... وأول	١٧٣
١٣٣	أمامة المزيرية	١٧٤
١٣٤	من العابدات الزاهدات	١٧٥
١٣٥	أسقاهم من حبّه شربة	١٧٥
١٣٦	أمرك بيدكِ	١٧٦
١٣٧	سيرين تنصح خسرو	١٧٦
١٣٨	تذنب ونستغفر لك	١٧٨
١٣٩	الأدب مع الأم	١٧٩
١٤٠	والبرّ مع الأم	١٧٩
١٤١	والخوف من عقوق الأم	١٨٠
١٤٢	مراقبة الله	١٨١
١٤٣	عيشة زوجة الخليفة	١٨٣
١٤٤	يا أمتا : لا تحزني .. لا تيأسي	١٨٤
١٤٥	فقد كنت أحسبها للعهد راعية	١٨٥
١٤٦	عبرة من التاريخ	١٨٦
١٤٧	أتحب دخول الجنة ؟	١٨٧
١٤٨	ما هو حكم إجبار البنت على النكاح ؟	١٨٩

١٤٩	أهم الحالات التي يلزم فيها مهر المثل	٢٢٦
١٥٠	ما أثر الخلوة في المهر	٢٢٨
١٥١	أهم الأحكام المتعلقة بالخمار	٢٢٩
١٥٢	نظرة المرأة إلى الرجل !!	٢٣٣
١٥٣	مسؤلية الآباء والأمهات عن عقوق الأبناء	٢٤١
١٥٤	فماذا عن شهادة المرأة ؟	٢٤٣
١٥٥	هل الذكور أفضل من النساء	٢٤٨
١٥٦	ماذا تعني كلمة القوامة ؟	٢٥٢
١٥٧	خطر أدباء الجنس	٢٥٤
١٥٨	تخيروا لنطفكم	٢٥٦
١٥٩	حقّ الأم في أجرة الرضاع	٢٥٩
١٦٠	عش في حدود يومك	٢٦١
١٦١	الشريعة الإسلامية ميزت أم ساوت : بين النساء والرجال ؟	٢٦٩

الفهرس

إليكِ يا أُختاه

دار آيـة
بيروت

دار المحبة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - ص.ب: ٣٠٧٩٦
دمشق - حلبوني تلفاكس: ٢٤٥٣٨٣٥
دمشق - ركن الدين تلفاكس: ٢٧٧٦٥٢٥

NAssMa Design Tel:03-335716